الدعوة الإسلامية

منجزات - مشكلات - طرق المعالجة

سعيد الأعظمي الندوي

الناشر

مكتبة الفردوس

مكارم نغر، برولیا، لكناؤ، الهند

Mob. 9235729750, 9839214572

الدعوة الإسلامية

منجزات - مشكلات - طرق المعالجة

حقوق الطبع محفوظة

عدد الصفحات : ٣١٠

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

الطبعة الثانية

اهتم بالطبع :

ارشاد أحمد الأعظمي الندوي

الكتابة على الكمبيوتر :

محمد عثمان الندوي

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

الناشر

مكتبة الفردوس

مكارم نغر، بروليا، لكناؤ، الهند

Mob. 9235729750, 9839214572

الدعوة الإسلامية

منجزات - مشكلات - طرق المعالجة

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة الإسلامية

منجزات - مشكلات - طرق المعالجة

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وإمام المتقين ، سيدنا محمد بن عبد الله الأمين ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد :

فإن فضيلة الأخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي شخصية علمية محافظة على الدين ، يؤدي واجبه العلمي والأدبي والدعوي منذ أكثر من خمسين عاماً ، وهو صاحب خبرة علمية مطلع على قضايا الأمة الإسلامية الراهنة وما يتجدد منها في الأوضاع السائلة في العالم الإسلامي بتأثير اتصال الغرب مع الشرق ، وبتأثير تضارب الأهداف والاتجاهات في المجتمع العالمي المعاصر ، وهو يكتب في مختلف شؤون العالم الإسلامية والأمة الإسلامية منذ بدء مجلة "البعث الإسلامي" الشهرية وصحيفة "الرائد" النصف شهرية منذ خمسين سنة ، فإنه رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي" الشهرية التي هي مجلة تقوم بالتوعية في مجال الفكرة الدعوية والتربوية الإسلامية على مبدأ "إلى الإسلام من جديد" .

إن الأخ الأعظمي بدأ رئاسة تحريرها مع زميله الكاتب الإسلامي البليغ الداعية المرحوم محمد الحسني المؤسس الأول

للمجلة ، ودامت زمالته معه في رئاسة تحريرها أكثر من عشرين سنة ، توفي بعدها المرحوم محمد الحسني ، واستمرت رئاسة المجلة معه وهو يكتب فيها افتتاحيات ومقالات يودع فيها أفكاره ويقدم خواطره ونظراته حول القضايا الراهنة ولم ينفرد عمله لمجلته بكتاباته بل استمر بكتاباته من منبر صحيفة "الرائد"، العربية الإسلامية النصف شهرية أيضاً وهي تحت عنوان "كلمة الرائد" يقدم فيها آراءه حول الموضوعات التي تغطيها صحيفة "الرائد" وهي موضوعات عامة وخاصة مما تتصل بالوقائع والأحداث التي تهم المسلمين عربهم وعجمهم ، فقد وقعت أحداث قاسية وفلجعة لأبناء الفكرة الإسلامية في ساحتي العالم العربي والإسلامي في مختلف فترات هذه الحقبة من الزمن ، فصدرت من قلم فضيلته السيال كلمات مفيدة للمتضررين بالأحداث ، ويطلع بها قارؤوها على تعليقاته المفيدة عليها ، وبذلك كانت تصبح هذه الكلمات التي حررها الأخ في صحيفة "الرائد" عرضاً مفيداً واستعراضاً حسناً للشؤون المهمة في هذه الحقبة للمسلمين ، واجتمعت هذه الكلمات في عدد تألفت منه مجموعة يتكون منها كتاب فاقترح محبوه أن يلقي نظرة عليه ليصبح جديراً بالنشر، وأن يسمح له بالنشر. فهذا هو الذي بين أيدينا الآن .

والأخ الكريم الدكتور سعيد الأعظمي الندوي لم تنحصر ميزته العلمية في كتابة افتتاحيات وكلمات توعية

إسلامية ، بل إنه مارس هـذا العمـل كعمـل جـانبي لعملـه الأساسي وهو التعليم والتدريس ، فقد شغل منصب مدرس وأستاذ للغة العربية وعلومها في دار العلوم نـدوة العلمـاء ، وأدى مسئولياته في هذا العمل منـذ أكـثر مـن خمسـين سـنة وهو يدرس ويفيد ، وكمدير دار العلوم ندوة العلماء منذ عام ٢٠٠٠م يؤدي مسـئولياته في كـل جـانب مـن هـذه الجوانـب الثلاثة .

كما أنـه زار البلـدان العربيـة والتقـى بشـخصياتها العلمية والأدبية واستمر علـى اتصـالات بـهم وبدوائرهـم العاملة في مجال التربية والدعوة والتوعية الإسـلامية وحضـر في ملتقيات علمية وتربوية مختلفـة عقـدت فيـها ، وكـان لـه تبادل الرأي مع شـخصياتها النابغـة ، فحصلـت لـه بذلـك معرفة للشؤون والهموم التي يمر المسلمون من خلالها في هـذه المنطقة التي لها اتصال أساسي بالإسلام ، فعنده تجربة علميـة واسعة ونظر في شـؤون الحيـاة العلميـة والعمليـة المختلفـة ونظره هذا يتجلى في كلماته التي يشتمل عليها هذا الكتاب ، فأرجو أن القارئ يجد فيه مادة مفيلة وممتعة يستفيد بها ويطلع على ما يهم المسلمين في الوقت الراهن .

ومن الله التوفيق

محمد الرابع الحسني الندوي
الرئيس العام لندوة العلماء
لكناؤ - الهند

١٤٢٨/٣/١٣هـ
٢٠٠٧/٤/٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين والمتقين ، خاتم النبيين محمد ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد : فإن هذا الكتيب يحتوي على مجموعة من المقالات والكلمات التي وفقني الله تعالى إلى كتابتها في صحيفة "الرائد" منذ صدورها في عام ١٩٥٩م ، برئاسة العلامة الأديب سعادة الشيخ الجليل محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء ورئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند اليوم .

فقد كان لي حظ السير على درب الصحافة الإسلامية بقياده أديب العربية سعادة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، وكان قد ألزمني بكتابة "كلمة الرائد" في كل عدد يصدر مرتين في الشهر .

وقد طلب مني بعض المحبين المخلصين أن أجمع هذه الكلمات في مجموعة توخياً منها بعض الفوائد اللغوية والأدبية التي طالما يحتاج إليها طلاب اللغة العربية في

المدارس والجامعات الإسلامية في الهند، ولكنني كنت متردداً في قبول هذا الاقتراح نظراً إلى قلة بضاعتي وتضايق ذرعي في مجال الكتابة العربية والتعبير العربي الجميل، ثم لما تكرر هذا الطلب من بعض إخوتي الذين لا يقصرون في أداء أمانة الكلمة، نظرت في هذا الموضوع، واستخرت الله سبحانه وتعالى وسألت عما إذا كان هذا العمل فيه نفع أو شبه نفع لإخوتي الأعزة من طلبة العلم والعربية الذين يحبون اللغة العربية ويحرصون على إتقانها كتابة وخطابة وحواراً وتعبيراً، فعسى أن تمهد لهم هذه المجموعة من "كلمة الرائد" طريقاً نحو تحقيق الهدف المنشود، وذاك ما شرح صدري وشجعني على إصدار هذا الكتاب وتقديمه إلى أوساط المحبين للغة العربية والحنينين إلى تعلمها من خلال أي إمكانية أو فرصة تساعد في التوصل إلى الغرض المتوخىً.

وبدا لي أن أوزع هذه المجموعة في علة فصول، يشمل كل فصل عدداً من الكلمات وتحت عناوين مختصة، ذاك أن الروح التي تسرى فيها والغاية التي تُقصد منها ليست إلا واحلة، وهي: العودة إلى الإسلام من جديد، ومن ثم يجد القارئ العزيز ترابطاً واضحاً بين جميع المقالات والكلمات التي ينتظمها هذا المجموع الميسر، الذي هو بمتناول كل يد بغاية من السهولة.

وإنني إذ أكتب هذه السطور المتواضعة كتقديم لهذا الإصدار يتمثل أمامي ذلك العطف الكبير والاعتناء البالغ

اللذان يتناولني بهما أستاذي الجليل العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي منذ أن حضرت إلى دار العلوم لندوة العلماء في عام اثنين وخمسين وتسع مائة وألف الميلادي الموافق عام واحد وسبعين وثلاث مائة وألف الهجري ، ورجوته أن يضمني إلى تلاميذه المخلصين ، ويسمح لي بالإفادة منه من كل نوع ، فكان من سماحة طبيعته وعلو منزلته أن حقّق أمنيتي ، وذلك يتجلى في كل حرف من مقدمته التي دبّجها لهذا الكتيب ، ولا يسعني تجاه هذه الثقة التي أكرمني بها إلا أن أتمنى على الله تعالى أن أكون دائماً عند حسن ظنه بي .

وإنني إذ أنسى فلن أنسى ذلك الجهد المخلص الغالي الذي بذله أخي في الله والمحب العزيز الأستاذ محمد وثيق الندوي مدرس اللغة العربية في دار العلوم لندوة العلماء ، والمسئول عن مكتب معتمد التعليم لندوة العلماء سعادة الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، فلولا جهده الكبير في تنقيح الكلمات التي نشرت في "الرائد" العربية ، ولولا حرصه الشديد على نشر هذه المجموعة لم أحظ بتقديم هذه الهدية المتواضعة إلى إخواني طلبة العلم في المدارس والجامعات التي تعنى بتعليم اللغة العربية .

وإنني إذ أشكر الزميل العزيز الأستاذ محمد وثيق الندوي على هذا التعاون الغالي ، أبتهل إلى الله تعالى أن يوفقنا إلى

الاعتراف بالجميل ، وأداء واجب الشكر الجزيل ، والله المستعان وهو وليّ التوفيق .

وصلى الله تعالى على خير خلقه ، محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلّم .

سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
الصادرة من ندوة العلماء
لكناؤ (الهند)

١٤٢٨/٢/١٥هـ
٢٠٠٧/٣/٦م

المسلمون
أمة الدعوة والقيادة

الإسلام دين خالد وكامل

إننا نؤمن كامل الإيمان بأن شريعة الإسلام ليست ذات واجهة واحدة من جسد ومادة وحياة دنيوية ونعيم ولذات فانية ، ولكنها روح ومادة ، قلب وعقل ، علم وإيمان ، وفقه وتدبير ، وغاية ووسيلة ، وأن عطاء الإسلام لا يتوقف على جانب واحد من هذين الجانبين ، ولكنه يعم الحياة بأكملها ، ويغطي المناحي كلها ، فلا يضع حداً على نشاط علمي أو عقلي أو مادي ولا يخط خطاً فاصلاً بين الروح والمادة ، بل الحق أنه يجمع بينهما جمعاً دقيقاً متزناً ويجعل من كلتيهما مزيجاً غريباً ، له تأثيره في الحياة فردية وجماعية ، ودوره في إعطاء هذا العالم حقه من الهدوء والاستقرار ، وكم كان الخطأ جسيماً حينما زعم كثير من أفراد الطبقة المثقفة ، بل كثير من المسلمين أن الدين الإسلامي لا يساير الحياة ويتقاصر عنها في أغلب الأحوال والظروف التي تستجد ، والمشكلات التي تبرز على ساحة الوجود ، ولقد كان هذا التفكير في شريعة الإسلام نابعاً من عقل ضعيف ومحدود ، ومن هنالك تستطيع أن تطلع على ما يتحمس له تلك الفئة المتجددة - أعني طبقة المتجددين من المسلمين - من إدخال

تحسينات في التشريع الإسلامي ، وليتهم درسوا الإسلام بروحه الخالدة الباقية التي تفيض على الحياة خيراً مستمراً دون انقطاع ، وبعطائه المتجدد المتوافر في المجالات كلها ، ولم ينظروا إليه بالمنظار العلمي فحسب ولا بالعين المجردة عن العاطفة والروح ، ولو أنهم فعلوا ذلك لوصلوا إلى الحقيقة التي لم يدركوها إلى الآن﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[1].

ويسعدني أن أنقل هنا قطعة من البحث القيم الذي وضعه سماحة أستاذنا الكبير العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) حول "الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية" يقول :

"إن الإسلام ـ بخلاف ما يعتقده كثير من المسلمين وبعكس ما يصوره أكثر المستشرقين والمؤرخين الغربيين ـ ليس حضارة عهد خاص ، ولا فن فترة من فترات التاريخ تمثله آثار ذلك العهد ومبانيه ، ويعيش في الأحجار والرسوم والصور ، لا في واقع الحياة ، وقد فقد صلاحيته للحياة وأدى رسالته ، كالذي نتحدث عن الحضارة اليونانية والرومية ، أو الفن التركي والمغولي ، إنه دين حي ورسالة خالدة ، إنه حي كالحياة نفسها ، وخالد كخلود الحقائق الطبيعية ونواميس الحياة ، إنه تقدير العزيز العليم ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2]، وقد ظهر في شكله النهائي وطوره الكامل ، وأعلن

---

[1] النساء : ٦٦

[2] النمل : ٨٨

يوم عرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[١] فهو يجمع بين الكمال الذي لا انتظار بعده لدين آخر ، ولا حاجة معه إلى رسالة جديدة ، وبين الحيوية التي لا نفاد لها والنشاط الذي لا آخر له ، ولذلك استطاع أن يساير الحياة ويراقبها في وقت واحد ، ويتابعها في صلاحها واستقامتها ، وينكر عليها في انحرافها وزيغها ، فلا هو مساير مائع ككثير من الأديان المحرفة ، ولا هو مراقب جامد ككثير من الفلسفات النظرية ، وذلك مثل الدين الكامل ومثل الدين الحي للإنسان الحي ، الذي يشعر بشعوره أو يعترف بحاجاته ، ويرشده في مشاكله ويعارضه في اتجاهاته الفاسدة .

وقد استطاعت الأمة الإسلامية أن تواجه التقلبات التي لا تكاد تنتهي والقضايا التي لا يأتي عليها الحصر، ولا يحدها قياس ، واختلاف الزمان والمكان ، وتنوع البيئات والملابسات ، وقد أمكن ذلك بقوتين :

القوة الأولى : هي الحيوية الكامنة في وضع الإسلام نفسه وصلاحيته للحياة والإرشاد في كل بيئة وفي كل محيط ، وفي كل عهد من عهود التاريخ ، فقد خص الله محمداً صلى الله عليه وسلم برسالة وتعاليم كاملة للإنسان ، صالحة لكل زمان ومكان ، وتستطيع أن تواجه ما يتجدد من الشؤون وأطوار الحياة ، وتحل كل ما يعتري من المشكلات والمعضلات ،

---

[١] المائدة: ٣

والدراسة العميقة الشاملة للقرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح ومصادر الإسلام كافلة بالاقتناع بما أقول .

والقوة الثانية: هوأن الله قد تكفل بأن يمنح هذه الأمة التي قضى ببقائها وخلودها رجالاً أحياء أقوياء في كل عصر، ينقلون هذه التعاليم الإسلامية إلى الحياة ، ويطبقونها على العصر، ويحلون في ضوء الأصول والنصوص التي وهبتهم إياها الشريعة الإسلامية ، وفي ضوء مقاصد الشريعة وروحها ، المشاكل الطريفة والمسائل المعقدة والقضايا المتجددة ، فلم تعدم هذه الأمة في عصر من عصورها أئمة في العلم والعماليق في الفكر، لا يوجد نظيرهم ـ لا في الكمية ولا في الكيفية ـ في أمة من الأمم"[1]

فليتفهم المتجددون في كل مكان أن المقاييس التي يطبقونها على الشريعة الإسلامية لا أصل لها في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنهم يضعون طاقاتهم فيما لا يعود عليهم بطائل ، بل الواقع أنهم بذلك يجاهدون في غير عدو ، وأن شريعة الله لغنية عن أفكارهم وآرائهم ، وبريئة عن خدماتهم وجهودهم ، فليبحثوا لهم عن مجال آخر يصلح لمستواهم العلمي والفكري ، ويتركوا عمل التشريع والاجتهاد الإسلامي لعلماء هذه الأمة ومفكريها المخلصين .

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين .

---

[1] الاجتهاد ونشأة المذاهب الفقهية ، ص: ٦-٩ .

الدين الذي يغير و لا يتغير

لم تكن الظروف مواتية بأي حال للتأمل فيما بعث به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من رسالة الإسلام ، ونـزل عليه الوحي بتصحيح مسيرة الحياة التي كانت راكضة نحو وجهة غير معلومة ، بغاية من السرعة ، ولكن الوحي الإلهي لم يكن ليكف عن عمله وتأثيره وفق التوجيه السماوي ، فقد كان دين الإسلام الفرصة الأخيرة للإنسان ، لكي يرعوي عن غيه ، ويستجيب لنداء الفطرة التي فطره الله عليها ، وإلا لم يكن هناك مبرر لبقاء هذا العالم بما يحويه من خلق وكائنات ، وآيات وآثار، وعقل وصناعة ، لقد كان من الصعب جداً أن تتغير الطبائع بسرعة البرق ، ويعرض الناس عما ألفوه وعاشوه من طرق وأساليب للحياة والمجتمع ، وكان من العسير أن يترك المرء ما قد أشرب في قلبه ، ومزج بلحمه ودمه من عبادة أوثان وأصنام ورثها كابراً عن كابر، وعكف على أداء ضريبة الإعجاب بها من أيام غارقة في القدم .

إن التاريخ الإسلامي في فترته الأولى شهد نماذج عديدة لرجال أكرموا بالإسلام ، ولكن صعب عليهم أن يتركوا جميع ما كانوا قد ألفوه من عادات ، فلما أسلموا

سألوا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أن يسمح لهم بممارستها إلى فترة ليتخلصوا منها رويداً رويداً ، ولكن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يرض بذلك ، وعمل لهم ما كان سبباً لتركهم إياها ، وانصرافهم ونفورهم عنها بتاتاً ، وما قصة الوفد الإسلامي الذي زار النبي من بعد فتح الطائف ، من بني ثقيف وهم يسألون النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إبقاء صنمهم الكبير المعروف باللات إلى ثلاث سنوات ، ولكن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم رفض ذلك، فطلبوا منه سنتين ، ثم سنة واحدة ، ولكن ما زال يرفض طلبهم حتى تنازلوا إلى مدة شهر ، ولكن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم رفض ذلك أيضاً ، وأرسل أبا سفيان بن حرب ، ومغيرة بن شعبة إلى الطائف ، وأمرهما بأن يهدما اللات ، كما أن أهل الوفد طلبوا من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أن يُعفيهم عن الصلاة ، فقال لهم:"لا خير في دين ليس فيه ركوع"[1].

ومن لا يدري أن الظروف الدعوية في مكة المكرمة أيام بعثة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كانت مضادة لأي دين جديد ، أو دعوة جديدة ، فقد واجه النبي الكريم

[1] أخرجه أبو داود في كتاب الإمارة رقم الحديث: ٣٠٢٦ عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله ﷺ أنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا عليه أن لا يُحشروا ولا يُعشروا ولا يُجبوا، فقال رسول الله ﷺ: لكم أن لا تحشروا ولا تعشروا، ولا خير في دين ليس فيه ركوع.

صلى الله عليه وسلم وأصحابه القليلون من الشدة والأذى من مشركي مكة ما يعرفه الجميع ، لقد كانوا أشداء غلاظاً ، قست قلوبهم ، وتحجرت عن قبول الدعوة ، بل ما كانوا يحبون أن يسمعوا كلمة واحدة ضد الجاهلية ، والشرك ، وعبادة الأوثان ، فكانت حكمة الدعوة تقتضي أن لا يعلن بتكرار وجهار ووضوح كامل عن البراءة عن عبادة الكافرين ، وتأكيد عبادة المسلمين ، ولكن الله تعالى أمر نبيه الحبيب صلى الله عليه وسلم بأن لا يرضى بأي مداهنة ، ولا يراعي أي مصلحة في ملازمة عبادة الله تعالى ، ومحاربة عبادة الأصنام ، فأمر في ذلك الجو الخانق بإعلان التوحيد والتأكيد عليه ، فقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ، وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ﴾[١] إلى آخر السورة .

من هنا نستطيع أن نقدر أن الإسلام ليس ديناً ، ولا نظاماً يقوم على أساس من المصلحة ، ويراعي الظروف والأوضاع في العقيدة والشريعة ، وليس فيه مجال للنقص والزيادة والتغيير والتعديل بحسب الظروف والمناسبات ، ليست فيه نسب مختلفة من الأرباع والأنصاف ، ومن القلة والكثرة ، إنما هو دين كامل شامل ، ونظام عادل لا يتجزأ ولا يتوزع ، إنه وحدة كاملة لا تقبل أي تقسيم ، ولا يمكن أن يكون المرء مسلماً ما لم يكن متمسكاً بجميع أجزاء هذه الوحدة ، وملتزماً بكلها ، فإذا كانت الديانات والأنظمة

---

[١] الكافرون، الآية : ١–٤

الوضعية تقبل من أصحابها الأرباع والأنصاف ، فإن الإسلام يدعو إلى الدخول فيه مائة في المائة ، كما أمر الله سبحانه بذلك في قوله:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[١].

فإذا كان قد نشأ في المجتمع الإسلامي فئات وطوائف يمثلها أفراد لا يرون بأساً في التنازل عن بعض الثوابت الشرعية والمسلمات العقدية ، نظراً إلى بعض المصالح الطارئة والظروف الخاصة ، فإن دين الله تعالى لا يسمح لهم بذلك في أي حال ، ولا يرضى بأي تعديل أو تغيير في شأن من شؤونه سواء كانت فردية أو جماعية أو كانت لها علاقة بأي جانب من جوانب الحياة .

[١] البقرة الآية : ٢٠٨

المسلمون أمة و ليسوا كتلة

إذا كانت الديانات الإنسانية السابقة والفلسفات الاجتماعية توزع البشر بين طوائف وكتل وفئات ، وكانت تقر لهم بالتفاوت الطبقي والعنصري ، وتقسمهم بين خلايا كثيرة من الجنس والوطن ، واللغة ، فإن دين الإسلام قد جمع البشر كلهم على منصة واحدة لأول مرة ، واعتبر الجميع أبناء أب واحد وأم واحدة ، وجاء رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم فأعلن عن ذلك مدوياً مجلجلاً ، وقال:"يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، كلكم من آدم وآدم خلق من تراب"[1].

ولو لا أن هذه المساواة التي أعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قائمة على أساس متين من الدليل ، ولو لا أن الجميع ينتمي إلى أب واحد لكان قد أثار ذلك ضجة كبيرة في أوساط البشر يومذاك ، وكانت سبباً لفساد كبير لدى أولئك الذين كانوا ينظرون إلى الإنسان من خلال

---

[1] مسند الإمام أحمد ج ٥، ص:٤١١

منظورات متعــددة : ويعاملونــه مــن اعتبــارات كثـيرة ، ففــي حضارة الفرس وحدها كان الإنسان موزعاً في طبقات عديدة : عالية وخاصة ، ومتوسطة وسافلة ، وعامــة ، تبلـغ أحيانـاً إلى درجة البهائم والدواب والأنعام ، وقد كان رجال الحكم فيـها وملوكها وقادتها في قمة من العلو، وكانوا يطلون منها علــى المجتمعات البشرية فإذا بها تبدو كالخدم والعبيد لهم .

ولما فتح المســلمون المدائـن ، ووطئـوا أرض الفـرس بحوافـر خيـول المسـلمين وأقـدام المجـاهدين الأبطـال ، ظـن حكامها أنهم لم يفعلوا ذلك إلا لحاجة اقتصادية ، وبحثـاً عـن الرزق والمال ، بعد ما عاشوا في الفقر والضيق والخشونة مدة طويلة ، ولم يفكروا فيهم أكثر من ذلك ـ فقد كان هـو مبلـغ تفكيرهـم ـ وأراد رستم قائد قواد الفرس تصديق هذا الظن، فبعث إلى ربعي بن عامر لكـي يستنطقه عـن هـذا الواقـع ويستوثق ما كــان يظـن في المسـلمين المتواضعـين العائشـين بالكفاف ، فجاء إليه ربعي ، ولما سأله رستم بلهجته القوية ، وقال له :"ما جاء بكم؟ وكان يتوقع أن يكون رده من منطلــق السياحة في الأرض بحثـاً عـن الرفاهيـة ، ولكـن خـاب ظنـه حينما سمع رده الإيماني النابع من قلب المؤمـن المخلـص ، لمـا سمع أنه يقول بغاية من الثقة والطمأنينة ، والشجاعة والقـوة : "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبـادة العبـاد ، إلى عبـادة الله وحده ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيـا إلى سعتها".

اندهش وكاد يخر مغشياً عليه ، فقد كان لهذا الكلام وقع شديد في نفسه ، وأيقن أنه لا قوة تستطيع أن تمنع المسلمين عن الغلبة ، ولابد من أن تنتشر كلمتهم في الأرض ، وينتقل زمام الحكم إلى هؤلاء الذين لا يهمهم إلا أن تسود عبادة الله في الأرض ، دون أن يعنيهم شأنهم أو تهمهم احتياجاتهم .

ذلك لأن الحضارة الفارسية لم تكن قائمة على المصلحة الجماعية ، ولا كانت تنادي بعبادة الله ، التي هي فوق كل غرض ، وأساس كل غاية ، لم يكن فيها إلا أن يتنعم أصحاب الطبقة العليا على حساب الطبقة الدنيا ، لم يكن هناك أي تصور للاجتماعية والمساواة على أساس الخضوع أمام الله تعالى ، لم يكن في هذه الحضارة أي مراعاة لحقوق الخلق ولا لحقوق الخالق ، وإنما كان القوي يحظى بكل نعمة ومتعة ولذة ، والضعيف يشقى بكل معنى من معاني الشقاء والذلة .

وإنما هو الإسلام وحده الذي عاد بالإنسان إلى طبيعته وعين مقياساً واحداً للعز والذل ، وللسعادة والشقاء ، والشرف والضعة ، وهو مقياس التقوى ، والذي يميز من لا يتقي ممن يتقى ، ويرفع مكانته ويربطه بالملكوت الدائم ، ومن ثم تتحقق له السعادة بمعناها الكامل ويعيش في الدنيا وهو ينظر إلى الآخرة ، ويقوي رابطته مع ربه تبارك وتعالى ويعرف واجبه نحوه ونحو إخوانه ، ويعتبر نفسه عضواً كريماً

من أسرة الأمة التي اختارها الله سبحانه للقيام بمهمة الدعوة إلى عبادة الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبذلك يؤدي المسلمون دور الأمة الإسلامية ، ويتحاشون من كل ما يعكر عليهم صفو هذا المفهوم أو يبعدهم عن جادة التعاون والتضامن .

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1].

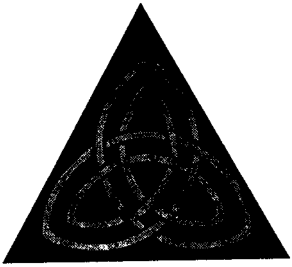

[1] المائدة: ٢

أمة العطاء والسعادة

كفى المسلمين فخراً أن يكونوا أمة أخرجها الله سبحانه كخير أمة أخرجت للناس ، واختيرت لهداية الإنسانية ، وقيادة العالم البشري ، وإنقاذ سفينة الحياة من أمواج الجاهلية العاتية التي كانت تتموّج بالشقاء والعداء والحيد عن طريق الحق والعدل ، وكان أعضاؤها يعيشون في الرذائل الخلقية وينغمسون فيها إلى الآذان ، لم يكن لديهم وازع ديني ولا خلقي يحول دون ارتكاب السيئات ، وممارسة الفواحش ، ووأد البنات ، وقتل الأولاد خشية إملاق ، ورغم أن الروم والفرس كانوا يتزعمون حضارات إنسانية ويفرضونها على سكان العالم كله ، إلا أن جزيرة العرب كانت بمعزل عن اهتماماتهم ، وكانوا مقتنعين بالأحوال المرذولة التي ارتضاها أهلها لأنفسهم ، فتركوهم على شفا حفرة من النار.

وجاء الإسلام وبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رحمة للعالمين فأخذ بيد الإنسانية كلها على الإطلاق ، بما فيها أهل الحضارات وغيرهم فحدب عليهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة ، ومن الوثنية

الجارفة لجميع القيم الخلقية والمثل العليا إلى التوحيد الخالص ، وربط مصير الإنسان بشريعة الله تعالى ، ووصله بعتبة الرب تبارك وتعالى وعبادته التي إذا اختارها العبد أكرمه المعبود بالسعادة والفوز، وبالنجاة من عبودية الإنسان ، وجور الأديان ، والركوع أمام الأوثان ، ورفع مكانته إلى أعلى ما يتصور في الدنيا ، وأكرم ما يثاب به في الآخرة .

ولذلك كان رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم من المرسلين الذين ارتفع الإنسان بواسطته إلى مكانة القيادة العالمية وتمثيله أروع نموذج للإنسانية ، التي كانت تعيش في الدرك الأسفل من الشقوة والذلة ، ولولاه ﷺ لما نال الإنسان هذا الشرف العظيم ، ولم تهتد البشرية إلى الصراط المستقيم ، ولقد أقسم الله بالقرآن الحكيم يشهد بأنه لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، فكان سبباً لحياة الإنسانية من جديد ، وميلاد العالم الذي كان قد أشرف على النهاية الأخيرة إلى ولادته من جديد : ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[١] .

سجل التاريخ الإنساني العالمي منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم نماذج عالية للفضائل الإنسانية التي تساعد الحياة على أداء وظيفتها ، وربطها بمصدر العقيدة والإيمان ، ولم يكن ذلك إلا واقعاً ملموساً شهدته فترات التاريخ المختلفة ومجتمعات البشر على مدار التاريخ الإنساني .

يس الآية : ٢–٥

ولكن زعماء الحضارات المادية اليوم يريدون أن يشوهوا وجه التاريخ الحضاري الذي كان عطاء الإسلام للإنسان في كل زمان ومكان بوجه خالد وطريق دائم ، واخترعوا لتحقيق هذا الغرض الخبيث صوراً هزيلة وأساليب مشئومة للحياة ، ومثلوها أمام الناس بأسماء مشرقة ولافتات جذابة ، وأكدوا أن الحضارة الحديثة هي في الواقع حاجة الإنسان في العالم الحديث ، ومن غير ذلك فإنه لا يكاد يساير العالم الراقي المتطور ، ويعيش في تخلف مشين يسم حياته بما يقلل قيمته ويحرمه من كل نعمة وهناء .

إن أهل العقل والذكاء والبصيرة والفقه يعرفون ما لحضارة الإسلام من أهمية وقيمة في كل عصر وجيل ، وأنها هي سفينة النجاة في كل طوفان ، وبابها مفتوح لكل من يريد أن يدخله:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[1].

❁ ❁ ❁

[1] الأنعام الآية : ١٥٣

المسلمون أمة فذة و خالدة

الإسلام دين كامل ونظام شامل ومنهج خالد للحياة الإنسانية؟

هذا ما يقوله المسلمون المثقفون إذا أرادوا أن يصفوا الإسلام ومحاسنه الدينية والاجتماعية ، إن هذا الوصف وإن كان جديراً بمكانة دين الإسلام ، ولكن قلما يعيه جماهير المسلمين ويصورونه في حياتهم العملية ، والسبب الكبير في ذلك يرجع إلى فقدان الوعي الديني في مجتمعات المسلمين بوجه عام حيث إن مجهودات التربية الإسلامية ، والتوجيه الديني تضاءلت لدى المسئولين عنها أو انحسرت في نطاق ضيق محدود لم يحظ بالشمول ، ولم يبلغ إلى درجة العموم .

نتيجة لهذه الجهود القاصرة سادت فكرة محدودة عن الحياة الإسلامية ، وبدأ كثير من الناس يظنون أن هناك طقوساً ورسوماً وعادات وتقاليد تختص بالمسلمين دون غيرهم وتعتبر ميزة لهم بالنسبة إلى أتباع الديانات الأخرى ، فركزوا عليها بكل ما في وسعهم من جهود وقوة ، وعاشوا في شبه غني عن العقائد الأساسية والفكرة الإيمانية التي يتميز بها الإسلام عن كل ديانة وفكرة ونظرة وفلسفة ، ومنهج ونظام ، والتي لا يتكامل إسلام المرء بغيرها .

والـذي زاد الطين بلـة أن نشـأت هنـاك في مجتمـع المسلمين وبلدانهم جماعة من أنصاف المثقفين ، ممن يحملـون أفكاراً فجة عن الإسلام وتعاليمه ، بإيعاز من مناوئ الإسلام والحاقدين عليه ، وقاموا بشرح الفكر الإسلامي ومفاهيمه بما لا يلائم روح الإسلام ولا يتفـق والمعتقـدات الإيمانيـة حتـى كأنهم يحاولون تغيير شكل الإسلام وتشويه صورته الجميلـة وجوهره الأصيل .

وقد اغتر كثير من سـذج المسـلمين بـهذا الأسـلوب الكاذب لشرح مفاهيم الإسـلام وبيـان تأثـيره وخصائصـه ، لذلك فإن هؤلاء المخدوعـين ضمـوا أصواتـهم إلى أصـوات دعاة التحرر والانطلاق من قيود العقائد والخصائص الدينية ، ممن ينادون بأن مصدر الأديان كلها واحد وغايتها واحدة فـلا بأس فيما إذا تمسك الإنسان بمبدء المرونـة والتسـامح فيـها ، وتظاهر بعبوديته حيث ما شاء ، وبأي طريقة أعجبته ، فسـواء أن يلتزم الإنسان بالإسلام أو بالنصرانية واليهودية والبوذيـة والهندوسية لأنها كلها تدعو إلى غاية واحدة .

إنـها مغالطـة صريحـة يغـالط بـها أعـداء الإسـلام وأتباعـهم أمـة الإسـلام الـتي ليسـت ككـلٍ أمـة ، ليسـت كالنصارى واليهود والبوذيين والهندوس مثلاً ، وإنما هي خـير أمة أخرجها الله تعالى لهداية الأمم وإخراجـها مـن الظلمـات إلى النور ومن عبادة النفس إلى عبادة الله فلا تماثلها بأي حـال أي أمة ولا جماعـة ولا فرقـة ولا حـزب ولا طائفـة ، ولذلـك

وصفها الله تعالى بأحسن ما توصف به أمة فقال:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

فلنحذر من مثل هذه المغالطات والتحريفات ، ولنستق من منابع الإسلام الأصيلة ، ونرى في مرآتها صورة الحياة التي نعيشها ، حتى نكمل ما قد نقص فيها ، ونبني ما قد هدمته عوامل الزمان .

---

[1] آل عمران الآية : ١١٠

المسلمون هم أمة الخير و القيادة!

يزخر التاريخ الإسلامي بأمثلة كثيرة للقادة والحكام المسلمين الذين كانوا غرة على جبين الإنسانية ، ومفخرة للأمة الإسلامية ، فعاشوا في شعور مرهف بالمسئولية ، وتفقدوا أحوال الرعايا ، ولم يهدأوا ما لم يطمئنوا إلى أن أمور الدولة تتأدى في غاية من الدقة والأمانة ، والإحسان ، ولم يقر لهم قرار ما لم يعلموا أن جميع أفراد الرعايا يتمتعون بالعدل والهدوء والهناء في ظل الحكومة.

وما كان ذلك إلا بدافع ديني خالص ، حيث إن تعاليم الإسلام تفرض المسئوليات وتوزعها على جميع أفراد المجتمع ، بحسب مكانة كل نوع من الناس في البيت والمجتمع ، فقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ، ومسئول عن رعيته"[1].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب الجمعة رقم:٨٩٣، ومسلم في الإمارة رقم: ٤٧٢٤ ، واللفظ للبخاري.

ومن هنا أصبح كل فرد في المجتمع الإسلامي يشعر بمسئوليته ويهتم بأدائها بأحسن وجه وبكل أمانة، ومن هنا أضحى كل مسلم يهتم بأمر أخيه ويشاطره في آماله وآلامه، في أفراحه وأتراحه، ويساعده كلما دعت الحاجة إلى ذلك ويتعاون معه على البر والتقوى، ويواسيه في النكبات والكوارث، فلم يكن هناك للحسد والبغض والعداوة سبيل.

إنما هي الأخوة الإسلامية والمودة والحب والثقة التي كانوا يتبادلونها، ويعيشون تحت ظلالها الوارفة في أمن ودعة وسلام.

وكان المسلم في الشرق يتألم بما ألم بأخيه في الغرب من نازلة أو بما أصيب به من كارثة، يهتم بأحواله ويفتش عن أسباب الشقاء والمصيبة، ثم يبذل وسائله وقدرته لإزالة تلك الأسباب، والعودة به إلى سابق حاله أو أحسن منها، ما كان يفعل كل ذلك إلا أنه يعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى مفهوم الاهتمام بأمر المسلمين، إشعاراً بمسئولية الأخوة والنصح والطاعة والامتثال الكامل، فذاك عنصر قوي ذو أهمية عظيمة في جهاز المجتمع الإسلامي الذي لا يكتمل بغيره، ولا يستقر بدون الاعتماد عليه في جميع شؤونه وأحواله.

وكم يفرح المسلم ويطمئن حينما يرى أن المسلمين ـ رغم ضعف الوعي الديني ـ يتسابقون في الإسهام في المبرّات

لنصر إخوانهم المنكوبين في الأحداث، والمصابين بشدائد المحن في مختلف أنحاء العالم ممن يتعرضون لأبشع أنواع الظلم والإهانة والعدوان، والتدمير والتشريد، مثلاً في البوسنة والهرسك، وفي الصومال، والفلبين، وأفغانستان، والمجازر الرهيبة الأخرى التي تقام اليوم في العراق وفي أجزاء كثيرة من العالم.

إن المملكة السعودية والكويت ودول الخليج وغيرها من دول المسلمين الغنية، قامت بمساعدات سخية وتبرعت للمنكوبين شعباً وحكومة في كل مكان، وحتى إن المسلمين في الدول الفقيرة لم يبخلوا بتقديم ما تيسر لهم لمساعدة المنكوبين من إخوانهم، وحتى لم يبخلوا بتقديم الإغاثة للمنكوبين والمتضررين في الحوادث مهما كان دينهم أو وطنهم كما قد ظهر ذلك في التبرعات التي وصلت إلى المنكوبين بالزلازل في الهند في الفترة الأخيرة، وهكذا يكون دائماً.

هذه الروح الإيمانية وروح الاهتمام بأمور وشؤون وحاجات المسلمين في العالم أصبحت ميزة خاصة للمسلمين بتأثير التعاليم الإسلامية، التي توفر لأتباعه دوافع التراحم والتناصح على أساس الإنسانية قبل كل شيء، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث شريف:"الراحمون يرحمهم الرحمن، فارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"[1] وقد غفر للمرأة الفاجرة ذنوبها لأنها سقت الماء

[1] أبو داود كتاب الأدب باب في الرحمة رقم: ٤٩٤١، والترمذي كتاب البر والصلة، باب ماجاء في رحمة الناس رقم: ١٩٢٤

كلباً عطشاناً .

إن بقاء هذه الروح الإيمانية في المسلمين من بشائر الخير الكبير ، ونرجو أن ينمّي الله سبحانه هذه الروح الفياضة في عباده المؤمنين في العالم كله ويكرمهم بقيادة النوع البشري إلى ساحة الأمن والرحمة والسلام ، وإنقاذه من جحيم الأثرة وشرور النفس والشقاء .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أمة الدعوة في مجال الدعوة!

الدعوة إلى الخير ليست مهنة كسائر المهن التي يمارسها الناس في مختلف قطاعات الحياة ، إنها ليست كمهنة التجارة التي تشغل صاحبها باهتمامات تجارية متعبة للذهن ، ومرهقة للجسم ، فهو لا يعيش إلا هموم المقارنة بين الربح والخسارة ، والاعتماد على وسائل الربح مع التوقي من كل ما يسبب خسارة أو ضعفاً في الموارد المرجوة ، إن الدعوة إلى الخير وظيفة الإنسان الطبيعية ، فمن شأنه أن لا يحصر المنافع والمصالح لنفسه دون النظر إلى أخيه أو جاره أو صديقه أو زميله ، ومن غير مراعاة لظروف المجتمع الذي يعيش فيه ، ومصالح الآخرين من أعضاء تلك الأسرة الاجتماعية.

بل الواقع أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وخلع عليه لباس الإنسانية الجميل ، وكرمه من بين سائر المخلوقات ، فرض عليه ضريبة الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، فبذلك تكمل فيه "الإنسانية" بأروع مظاهرها ، ويأخذ أهبته لتمثيل دور القيادة نحو المكارم الخلقية ، والفضائل الإنسانية ، ومن ثم يفترق الطريق بين الإنسان القائم بمسئولية الدعوة إلى الخير

بشكلها الحقيقي ، والإنسان الذي ضل به الطريق ، وانحرف إلى ما يضاد الفطرة ، ويعاكس طبيعة الداعية إلى الحق ، فلا يفكر إلا في أمور تجر إلى الفساد والزيغ ، ويعكر صفو "الإنسانية" التي جاء الإسلام لانتشالها من حضيض الشهوانية ، ومتاعب الوثنية ، وشقاء الظلم والعداء والهمجية ، فقد كان الإنسان يوم ذاك واقفاً على شفا حفرة من النار والدمار، ولو لا دين الإسلام ، ودعوته الخالدة ، لم يكن للإنسانية ذلك الحظ العظيم من العز والكرامة والسعادة ، الذي نالته بالإسلام ، ولم يحظ الإنسان بذلك الدور العظيم الذي أكرمه الله به من القيادة والريادة والتوجيه إلى مكارم الأخلاق ، والمثل العليا التي لم يكن لها مفهوم في معاجم الأمم ، والشعوب الجاهلية يوم ذاك .

لقد خطط الإسلام بكل دقة ودراسة عميقة لطبيعة الإنسان برامج العمل التي تؤدي إلى العيش في أمن ودعة وسلام ووئام ، وتفتح للمرء أبواب الخير والمناعة والنصح والمودة ، وجميع الصفات الخلقية والفضائل الإنسانية ، وتعين له الطريق إلى توطيد العلاقات ، وتمتين الصلات بين البشر والحياة والمجتمع ، وبين العبد وربه تبارك وتعالى ، وليست الدعوة إلى الله تعالى التي هي ميزة المسلم في كل زمان ومكان إلا لتحقيق هذا الغرض ، لتطهير الحياة من جميع شوائب الآثام والأهواء ، وبالتالي تزكية القلب من جميع الأفكار الواهية والآثار السيئة ، ثم تطهير المجتمع البشري من

الرذائل الخلقية والاجتماعية ، ومن ثم كانت أمة الإسلام فوق جميع الأمم والشعوب ، ونالت لقب :﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ودُعيت بأمة الدعوة ، وأمة الهداية ، وأمة القِيادة العالمية ، ونيط بها ذلك العمل العظيم الذي يؤسس الحضارة الإنسانية ، ويرفع صرحها عالياً ، ويمنح بها أرفع مكانة للإنسان في هذه الدنيا ، وليس له في الآخرة إلا الجنة والنعيم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً، خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾[1] .

كانت الأعمال الصالحة نتيجة الإيمان بالله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[2] وكلما جاءت الهداية إلى قلب المرء أقبل صاحبه على ما يرضى الله ورسوله ، وعلى الطاعة لهما ، واتباع الصراط المستقيم الذي تسير عليه الحياة نحو الغاية المقصودة من غير عائق أو مانع ، فذلك هو الإيمان الذي يمهد الطريق إلى الله ، ويقرب المؤمن إلى ربه ، ويوطد صلته به ، فلا يعيش إلا لله ، ولا يهنأ له عيش إلا مع الله ، فإليه يرجع ، وبه يستعين ، ومنه يرجو ، وبه يلوذ ، فبذلك يتعين جزاؤه في الدنيا في أشكال شتى من نعمة الأمن والهدوء والسعادة والهناء .

﴿أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا﴾[3] وتأتيه البشرى بالجنة الموعودة للمتقين المؤمنين﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ

[1] الكهف الآية : ١٠٧-١٠٨
[2] التغابن الآية : ١١
[3] حم السجدة : ٣٠

توعدون﴾[1].

مع هذه الإعدادات النفسية والفكرية والعملية تخطو هذه الأمة نحو ساحة الدعـوة إلى الله وتـدرس الوضـع الـذي يحيط بالمدعوين أولا، ثم تقدر الجو النفسي والمستوى العقلي اللذين يعيشون فيهما ، وفي ضوء جميع هذه الملابسات يتقـدم دعاة الأمة إليهم ، ويعرضون أمامهم الدعوة بالمراعاة الكاملـة للبيئة وعندئذ يكون أسلوب الدعوة ذا تأثير عميق في نفوس من توجه إليهم الدعوة ، وهـم يقبلـون عليـها ، ويصوغـون الحياة في قالبها.

أما الحكمة والموعظة الحسنة ، فلا تفارقان الدعـاة إلى سبيل الرب تبارك وتعالى في أي حال ، لأنهما حجر الأسـاس في بناء الدعوة ، ذلك أن هـذا البنـاء إذا قـام على غـير هـذا الأساس ، أو على أساس ضعيف ، فسوف لا يغني عن تأثـير الدعوة في النفس شيئا ، وتذهب الجهود الدعوية التي بذلت إلى الآن سدى ، ويعود الأمر إلى ما كان عليه قبل بدء العمـل الدعوي .

ولذلك نـرى أن القـرآن الكريـم الـذي هـو كتـاب الدعوة والهداية يلفت نظر الداعية إلى هـذا الجـانب المـهم ، وفور ما يؤمر النبي الكريـم صلـى الله عليـه وسـلم بالقيـام بالدعوة إلى سبيل ربه ، يوجــه إلى الأخـذ بأسـلوب الحكمـة والموعظة ، والجدال والنقاش كلما مست الحاجـة إليـه أثنـاء

[1] حم السجدة : ٣٠

العمل الدعوي ، ولكن يلزم أن يكون هذا الجدال بالطريقة التي هي أحسن ، ذلك أن المحادة في الجدال ، بحيث تثير الحفائظ ، وتجر الجانب الثاني إلى الاعتماد على السلب دون الإيجاب ، إنما تؤدي إلى إخفاق صاحب الدعوة والإضرار بالعمل الدعوي ، اقرأوا ما يقوله الله تبارك وتعالى في هذه المناسبة : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾[1].

هذا بالنسبة إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الذي أكرمه الله تعالى برسالته ودعوته ، وخصه بلقب الداعي إلى الله بإذنه ، من بين الألقاب الأخرى ، فقال:﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾[2]، فكان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة بأسلوب يتضمن الحكمة والموعظة والمجادلة بالتي هي أحسن ، أما أمة الدعوة فقد طلب منها أن تدرس الأساليب ، والحكم التي اختارها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في مختلف مراحل دعواتهم ، ومع الشعوب والأقوام المختلفة ، ثم أمرت أخيرا بالدعوة إلى الله تعالى مقرونة بالعمل الصالح ، وأمر الداعي بالاعتزاز بالإسلام ، وتمثيله في كل شأن من شؤون الحياة .

---

[1] النحل الآية: ١٢٥
[2] الأحزاب الآيتان: ٤٥-٤٦

﴿ومَنْ أحْسَنُ قولاً مِمَّنْ دَعَا إلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾[١]. وبذلك يتحقق أن الدعوة إلى الله تجمع بين القول والعمل الصالح ، وتطلب من الداعية أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان ، ومفعماً بالثقة في الدين الذي يدعوه إليه ، حتى يكون فخوراً به ، وعارفاً بدوره العظيم في تنظيم مسيرة الحياة ، وذلك ما يقول الله تعالى:﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢] .

[١] حم السجدة : ٣٣

[٢] آل عمران الآية: ١٠٤

الإسلامية والانطلاق

الإسلام ينظم حياة الإنسان وفق الطبيعة التي فطر عليها ، ويضبط جميع تحركاته ونشاطاته وميوله ، ورغباته في إطار الفطرة ، ويقيم عليها حارساً أميناً يراقبها بغاية من الدقة والأمانة ، لكيلا تعدل عن الوجهة الطبيعية ، ولا تتجاوز عن حدودها المرسومة ، ولا تنصرف عن وظيفتها الأصيلة إلى ما ليس من شأنها في شيء ، وبذلك تسير حياة الإنسان في اتزان وقصد ، وتحظى بالسعادة والهناء ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [١].

لقد عاش الناس ويعيشون بوحي من النفس الأمارة بالسوء ، وباغراءات شيطانية من غير تقيد بالفضائل الخلقية ومن غير خضوع لقوانين الطبيعة ، ظانين أن السعادة هي الانطلاق الشهواني ، والخوض في نهب اللذات والمتع والزخارف بكامل الحرية ، وكانت الحضارات المادية تعبر عن هذا المفهوم للسعادة ، وتشرح الحياة الإنسانية في ضوء النهم المادي ، والحرص على الاستمتاع من الشهوات بل التنافس فيه ، فمن أحرز فيه قصب السبق كان أسعد ، وأحظى

---

[١] الروم الآية : ٣٠

بالعيش في ظل الرفاهيـة والهنـاء المزعـوم ، وكـان أحـق بـأن يسمى سعيداً بالمفهوم المادي .

ولكن الإسلام لا يوافق هـذا التعبـير للسـعادة ، ولا يسمح بالانطلاق في الشهوات من غـير وازع ديـني ، ولكنـه يرسم الحدود الواضحة للتمتع بالزخارف واللذات ، ويضـع للحياة منهجاً عملياً يعيش المرء تحت مظلته بشـيء مطلـوب من العدل والمساواة والتوازن وتحت تصـور واقعـي لإعطـاء كل ذي حق حقه من الرعاية والاهتمام .

إنه لا يرضى حب الشهوات بتاتاً ولا يكبلها بـأغلال منها إلاّ بقدر ما تتحمله الفطـرة ، ويستسيغه الواقـع﴿زُيِّـنَ لِلنَّـاسِ حُـبُّ الشَّـهَوَاتِ مِـنْ النِّسَـاءِ وَالْبَنِـينَ وَالْقَنَاطِـيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْـلِ الْمُسَـوَّمَةِ وَالأَنْعَـامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[1].

يتميز الإسلام بالتنظيم الدقيق للحيـاة الإنسـانية في جميـع نواحيـها الظـاهرة والباطنـة ، وفيمـا يتعلـق بـالعقل والقلب ، وبالروح والجسد ، وبالدين والدنيـا ، وتلـك هـي الميزة العظيمة الـتي جعلـت الإسلام دينـاً ممتـازاً عـن جميـع الديانات والأنظمة والمناهج العمليـة والفكريـة وعـن جميـع النظرات والحضارات ، إنه لا يسمح حتى للجانب التعبـدي بأن يطغى على الجانب المادي ، أو الناحيـة الروحيـة تسـيطر على الناحية الجسدية ، كما قد حدث عـن بعـض الصحابـة

[1] آل عمران الآية : ١٤

رضي الله عنهم أنهم جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفرله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال:"أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[1].

بهذا وأمثاله من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يتحقق أن الإسلام لا يرضى بالانطلاق عن الحدود ولا يسمح بالتجاوز عن طريق القصد والاعتدال في أي خال من الأحوال، إنه يعتبر ذلك: الغلو في الدين، رهبانية ابتدعها المغالون في الديانات القديمة، ويسمي التجاوز عن الحدود في الدنيا انطلاقا وحشيا وتحررا بهيميا ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾[2].

من هنا كان الإسلام قد أنزله الله تعالى إلى الناس

---

[1] صحيح البخاري، كتاب النكاح رقم:٥٠٦٣، وصحيح مسلم كتاب النكاح رقم: ٣٤٠٣

[2] الأعراف الآية: ١٧٩

كافة لتنظيم الحياة وتعديل الموازين ، وتصحيح المقاييس ، وبذلك تتحقق السعادة والهناء ، وتتنزه المجتمعات ، وتتزين عقول الناس بالأفكار السليمة المتزنة ، وتتحلى القلوب بالروابط النزيهة المخلصة بالله تبارك وتعالى ، وتتذاوب الفروق والفواصل المادية ، ويتعلق الإنسان بربه الكريم في كل شأن وقضية وعمل ونشاط .

إذن لا داعي إلى التخوف من "الإسلامية" التي تتجلى اليوم في كثير من أوساط الشباب ومجتمعات المسلمين والتي لا تدعو إلا إلى تنظيم الحياة على أسس الفضائل الخلقية ، وتصحيح موازينها في ضوء شريعة الله الخالدة الباقية النامية .

ولا حاجة إلى دعوة للانطلاق والبهيمية ، ولا داعي للتشاؤم بالإسلام والإسلامية ، بل الإسلام في الواقع العملي حاجة الإنسان الطبيعية في كل زمان ومكان ، وفي كل حضارة ومجتمع .

فتجربة الإسلام من جديد خير من مقاومته بغير تدبر وتفكير﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾[1] .

---

[1] آل عمران الآية ٨٥

ثلاث طبقات في أمة الوحدة والتضامن

يمكن أن نوزع المسلمين اليوم بين ثلاث طبقات، ولعلّ هذه الطبقات الثلاث وجدت من قديم وفي كل زمان ومكان.

الذين يقولون فقط ولا يفعلون.

الذين يقولون ويفعلون.

الذين يفعلون من غير أن يقولوا.

ولكن الطبقة الغالبة لأصحاب القول، أولئك الذين يتحدثون عن الإسلام فيسحرون، ويتحدثون عن تعاليم الإسلام في جميع مجالات الحياة فيأتون بالعجائب، ويشرحون فلسفة الإسلام بغاية من الدقة والعمق وغزارة المادة والمعلومات، فيفحمون الخصم، ويتكلمون حول النظرة الإسلامية نحو الكون والحياة والإنسان بشيء كثير من بلاغة القول والمعنى فيعجزون، أما أن يطبقوا هذا الإسلام على حياتهم، أو ينفذوا تعاليمه في أسرتهم وبين أبنائهم وعائلتهم فلا يفعلون، فإذا سئلوا عن هذا التناقض بين القول والعمل يقولون: نحن مسئولون عن البلاغ، وإفادة الناس بفضل الإسلام وخلود رسالته وواقعية كلمته، أما

العمل فهو أمر شخصي وشأن ذاتي أنا مسئول عنه أمام ربي لا أمامك .

وبهذه المناسبة تذكرت حكاية يحكيها الأمهات والعجائز في البيوت لأولادهن:

كان أحد المشايخ في قرية يعظ الناس دائماً ويحثهم على الإنفاق في سبيل الله ، ورعاية الفقراء وأصحاب الحاجات ، ويعدهم على ذلك بمثوبة من عند الله خالصة ، وبجنة ونعيم في الآخرة ، وبينما هو كان في قريته يعظ الناس ويبين لهم فضل الإنفاق ويحثهم على الصدقة ، وكانت زوجته تسمع وعظه وكلامه الرقيق حول الإنفاق ، وما له من درجة عالية عند الله رجعت إلى البيت وتصدقت بكل ما كان لديها من مال ، فلما عاد زوجها الشيخ إلي بيته أخبرته بأنها حال ما سمعت الوعظ رجعت وتصدقت بكل مال كان في البيت ، فتعجب الشيخ مما فعلت زوجته وتناولها بالزجر والتوبيخ وقال: ألم تعلمي أن هذا الوعظ كان لغيرنا لا لنا ، فنحن أصحاب الوعظ لسنا مسئولين عن التطبيق العملي ، إنما هم غيرنا .

فإذا استعرضنا علماءنا ودعاتنا اليوم - بوجه عام - وجدنا أن أكثرهم تنطبق عليهم هذه الحكاية ، فإنهم يجيدون شرح الإسلام بكل ما يمكنهم من أسلوب وبيان ، إنهم يستطيعون أن يتحدثوا عن فضل الإسلام وكونه رسالة إنسانية خالدة ، فيطيلوا ويفيضوا ، ويأتوا بفلسفات دقيقة

ويكشفوا فيها عن جوانب جديلة ، وأسرار دقيقة ، ظلت خافية على الناس حتى الآن .

أما أن يتبعوا القول العمل ويمثلوا نموذجاً رفيعاً لحياة خالصة ، فذلك أمر لا وجود له ، إذ أنهم يرون من مسئوليتهم الإسلامية أن يبلغوا إلى الدنيا ما في الإسلام من فضائل وما فيه من حكمة ، وما فيه من سمو ونزاهة وعظمة .

وذلك لأنهم أصحاب القول لا أصحاب العمل .

وذلك لأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ويرون العمل من شؤون الإنسان الشخصية والخاصة به ، من غير أن يكون لأحد حق التدخل في الشؤون الداخلية .

أما طبقة "القائلين الفاعلين"الذين يقولون و يفعلون فهي قليلة تعاني من قلة العدد ما يجعلها في حيز "المعارضة" وهي في الحقيقة حزب"المعارضة" في برلمان الأغلبية الذي لا يستطيع أن يثير انتباه "الحزب الحاكم"إلا في بعض الشؤون التي تتعلق بتصحيح المفاهيم وتسديد بعض الأفكار الزائفة ، بحيث إن أعضاء الأغلبية يستمعون إلى ما يرتفع من أصوات من الجانب المعارض ، سواء قبلوا ذلك الرأي أم لا ، وأحياناً تنجح "المعارضة" في تغيير بعض الاتجاهات الخاطئة وتصحيح بعض الأفكار الزائغة .

والواقع أن هذه الطبقة هي حاجة هذه الأمة ، التي تحدث الله عنها في كتابه العزيز وسماها خير أمة أخرجت للناس ، وقرن لها القول بالعمل ، حيث قال:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أخرجت للناس تـأمرون بـالمعروف وتنـهون عـن المنكـر وتؤمنون بالله﴾[1]، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقرون بالإيمـان بـالله ، ومعلـوم أن الإيمـان بـالله ليس كلمـة تقـال باللسـان ، أو تتردد على الأقلام ، بل إنه حقيقة ذات مغـزى عميق تحتل في شغاف القلب وتخالط بشاشته ، وهـو عقيـدة ذات تكاليف وتبعات ومسـئوليات لا يتخلـى عنـها المؤمـن للمحة واحدة ، بل إنه يسعى في أدائها ويركـض إلى إنجازهـا بأعماله وأحواله .

فالإيمان قول وعمل في وقت واحـد ونـداء وجـهاد في وقت واحد ، ألم تروا كيف يخاطب الله تعـالى عبـاده المؤمنـين فيقول:﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مـا لا تفعلـون ، كـبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[2].

أما أن ينادي الإنسان بالجهاد والعمل ويكتفي بذلك ، أما أن يعلق على كلمة الإيمان تعليقات طويلات ، ويسـتغرق أيامـا وأسـابيع في شـرح معانيـه وكشـف غوامضـه ، وبيـان مذاهب الناس فيه وآرائـهم وأفكـارهم حولـه فليـس ذلـك حاجة الأمة الإسـلامية اليـوم وهـي لا تعـود منـها بنقـير أو قطمير في مجال العمل والتطبيق ، وفي ساحة العمل والجهاد ، وحيث هي إلى حقيقة الإيمان وحلاوته أحوج منها إلى صـورة الإيمان ومظاهره .

---

[1] آل عمران الآية: ١١٠

[2] الصف الآيتان : ٢-٣:

ونحن إذ ندلي ببياننا هذا لا نقلل شأن الطبقة التي تعمل في خفاء وتجاهد من غير إعلان ، بل إن طبيعة العمل في الإسلام تأبى إلا الإسرار في معظم الأحوال ، وخاصة في المجال الشخصي والنطاق الفردي ، فالطبقة التي تفعل ولا تقول لها قيمتها في ذاتها ، وإن لم تتعد فائدتها إلى غيرها إلا في أحوال خاصة وظروف معينة .

إلا أن عالمنا المعاصر الذي يزخر بالنظريات والفلسفات الزائفة ، والأفكار والآراء والأيديولوجيات ، فإنه لأحوج ما يكون إلى جماعة "تقول وتفعل" جماعة تشرح الإسلام بمعانيه الحقيقية وأشكاله الصحيحة ، مع إبراز جماله وخصائصه وتفنيد المذاهب الباطلة والأفكار الكاذبة ، والدعوة إلى العمل والتطبيق وتمثيل السيرة الإسلامية المثالية في حياة أفرادها وأتباعها ، وتقديم النموذج العالي للأخلاق الفاضلة ، والمكارم الإسلامية التي لا تكتمل حياة المسلم بدونها .

فلنكن أمة القول والعمل ، أمة النداء والجهاد ، أمة الشرح والتطبيق ، حتى نتمكن من قيادة هذا العالم من الوجهة المنحرفة إلى سواء الصراط.

أمة العطاء تتحول إلى أمة الأخذ

تتضافر الجهود العدائية والمخططات الإرهابية ضد المسلمين على الصعيد العالمي اليوم ، وهي تستهدف من ورائها إغراء الشباب المسلم بالحاجات الرخيصة والأهواء النفسية ، وإضعاف معنويتهم إلى درجة أن لا يفرقوا بين الخبيث والطيب وبين الصالح والفاسد ، وكذلك تعرية المسلمين عن المكارم والفضائل الخلقية التي كانت أمضى أسلحتهم في كسب القلوب وتفجير الطاقات البشرية في صالح الإنسان ، والانتصار على الرذائل القومية والاجتماعية ، وقد اعتمد المسلمون على سلاح الأخلاق والسلوك الإسلامي في معاملاتهم ، ومعاشرتهم مع غير المسلمين من شعوب العالم ، فتمكنوا من توسعة رقعة الإسلام ، وتمثيل الحياة الإسلامية في المجتمعات العالمية ، مما جعلهم قادة الأمم والشعوب التي انضوت تحت راية الإسلام .

إلا أن المطامع السياسية التي استولت اليوم على الفكر السياسي والاجتماعي سدت على الزعماء والقادة الذين يتزعمون السياسة والاجتماع ويتولون زمام العلم والحضارة فيما يزعمون ، سدت عليهم طريق العدل ،

والجدية وحب الخير والفضيلة ، وأعمت أبصارهم عن رؤية الحق فلا يلبثون أن يحققوا شهواتهم بأي طريق ، وأن يقضوا مآربهم على أي ثمن ، مهما كلف ذلك إراقة الدماء الإنسانية أنهاراً ، وتحطيم القيم الخلقية علناً وجهاراً ، وقد شهد الإنسان أمثلة لهؤلاء المجرمين الشطار في فترات التاريخ المختلفة ، ولكنها تختلف اليوم تماماً عما يمارسه قراصنة السياسة ، والاجتماع على الساحة بشيء كثير من الجراءة والعناد بوحي من العقلية الإجرامية .

طغت هذه العقلية على هذه الطبقة الجانية التي تسوقها نحو إنكار الحقائق وفرض سيطرتها على المجتمعات الإنسانية التي تنتمي إلى دين الإسلام ، ويبدو أن هناك مزيجاً من العقل الإجرامي والحقد على الإسلام وأتباعه ، لدى هؤلاء الأعداء فيتربصون الدوائر بالمسلمين مع التركيز الكامل على اختلاق الدوائر وإيجاد الدواهي والقضاء على الميزة الإسلامية ، أو لتحويل الصحوة الإسلامية إلى غفوة وغفلة وسبات طويل ، وقد تصدوا لتحقيق هذه التطلعات في دول ومجتمعات المسلمين ، ولم يبخلوا ببذل الغالي والثمين من كل نوع في هذا السبيل ، ولكن وسائلهم كلها باءت بالفشل ، ولم يتحقق حلمهم .

هنالك بدلوا طريقهم واتجهوا إلى إثارة الشبهات والظنون في قلوب المسلمين بعضهم ضد بعض ، وإلى إيقاظ العصبيات من كل نوع في صفوفهم ، ذلك لكي تثور فيهم

العداوة والبغضاء ويحل فيهم الجور والجفاء محل الألفة والإخاء، ويتحولوا من إخوان "متقابلين" إلى "أعداء متشائمين" ولا شك فإن المسلمين اليوم وقعوا في شرك هذه المخططات الإجرامية بوجه عام وتحولت نظرتهم الأخوية ذات الثقة والحب إلى نظرات عدائية، حتى وجدت طريقها نحو صفوف الزعماء والقادة بله العامة والجماهير، هذا ما شهده العالم اليوم وسجله التاريخ الحديث للإنسان المسلم.

إن المتأمل في الأوضاع الحاضرة التي تسود اليوم على العالم الإسلامي وحتى الدول التي تسكنها الأقليات المسلمة ليتوصل إلى نتيجة أن المخططات العدائية ضد التضامن الإسلامي والأخوة والوحدة وضد "طبيعة الدعوة" التي يتميز بها المسلم، تكاد تنجح في تفريق كلمة المسلمين وتحطيم وحدتهم وثقتهم، وتشتيت شملهم، وإغراء القوى المعادية وإشعال العصبيات الجنسية والدينية ضدهم، وفي تدبير هذه الأوضاع وفرضها على المجتمعات والدول الإسلامية تتركز قوى الإجرام والعداء والكراهية التي تطغى على العقول المادية وتصهرها في بوتقة المؤامرات والمخططات الإجرامية بأشكالها المنوعة وأسمائها المغرية.

مما يؤسف له أننا نحن المسلمين أول من ينخدع بهذه التدبيرات والتخطيطات، ونحن الذين نقع فريسة الآمال الكاذبة ونخسر بذلك المعنويات الخلقية والإيمانية التي أكرمنا بها الإسلام من بين جميع شعوب العالم وأممه، وما نعيشه

اليوم من أزمات ومآس على جميع المستويات وفي جميع أنحاء المعمورة لأوضح دليل على أن قيمنا الدينية والخلقية التي كنا نعتز بها وندعو إليها أمم العالم تذاوبت وحلت محلها أغراض ومصالح موقتة ، ولم يعد لدينا من التميزات والخصائص التي كنا من أجلها مغبوطين ومرهوبين في العالم كله ، وسجل التاريخ مآثرنا ومزايانا التي استفادت منها حضارات العالم وفلسفاته ، والتي رفعتنا إلى منصب "أمة العطاء" ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[1] .

ولكن أمة العطاء تحولت إلى أمة الأخذ ، التي تتطلع في جميع مناسباتها الاجتماعية والسياسية إلى أمم ليس من شأنها إلا الاستيلاء والاحتلال ، والإرهاب ، والإجرام ، وهي التي تسيطر على بلادنا ووسائلنا وخيراتنا وثرواتنا المادية والمعنوية ، ذلك لكي نخضع أمامها في كل شيء ، حتى في القضايا المصيرية التي يتوقف عليها العز والسعادة ، يقول الله تعالى ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾[2].

---

[1] سورة آل عمران الآية : ١١٠

[2] سورة الروم الآية : ٤١

الأمة القائدة تواجه التبعية

لقد تعودنا نحن المسلمين في عصرنا هذا الذي نعيش فيه ، أن نمد عيوننا إلى الجهات البغيلة ، عسى أن نجد فيها علاجاً للداء الذي نعاني منه ، أو ندرك هناك مبرراً لما نعالجه من أمور و قضايا ، أو نطلع فيها على مواضع ضعف وعيب ، فيهنأ لنا الاستمرار فيما نحن فيه من ضعف وخمول ، ويأس وتشاؤم ، إننا لا نتردد في التعليق على المجهودات المضادة التي تقوم بها دول العالم المادية ، وعلى الأفكار والعقليات التي تنادي بها الحضارات الغربية والشرقية ، ولا نألو جهداً في تفنيد هذه الأفكار ، ودحض تلك الجهود وتزييف تلك الحضارات والمدنيات ، وقد نسمع أن الناس في مجتمعات تسمى إسلامية يعيشون هموماً وآلاماً لا صلة لها بشؤون المسلمين ولا بقضية من قضايا الدعوة الإسلامية ، فهم يهتمون بذلك بما لا يعنيهم في شيء .

كل ذلك وما يزيد عليه من أخبار المسلمين وأنبائهم في كل مكان ، إنما مرده إلى شيء واحد ليس غير ، وهو ابتعاد المسلمين عن منصبهم ومكانتهم ، وضعف ثقتهم بدينهم ورسالتهم ، واتجاههم نحو الأفكار والدعوات المادية التي تملأ

الأجواء والمساحات والفراغات التي توجد في أي مجتمع أو بلد ، وبذلك فقد بدأ المسلمون يقلدون شعوباً لا وزن لها حتى في ميزان الفلسفات والنظرات التي تنتمي إليها ، وقد شاع هذا التقليد في كل شيء ، حتى في اللباس والعادات ، وأساليب الفكر والكلام ، وفي كثير من الجوانب الحضارية التي لا تقوي روح الورع والاحتساب في حياة المسلم .

نحن لا نعارض الاقتباس من العلوم والثقافات التي تساعد في تنمية الوعي الإيماني ، وتقوي صلة المرء بربه، فهي علوم وثقافات بريئة لا شرقية ولا غربية ، إنما خلقها الله تعالى لكي تكون أداة في يد المسلم تفتح عنده آفاق الفكر وتوسع جوانب العقل وتقربه إلى التأمل في الخلق والأمر، وآيات الله في السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وكلما تدبر المسلم في آيات الله وفي الكون الواسع العظيم تعمق إيمانه وتوثقت صلته بخالقه ، ونشأت فيه رغبة أكيدة في الإعداد للآخرة ، ومن هنا يكون المسلم داعية إلى ربه وتتوطد صلته الأرضية بالسماوات العالية وما فيها من عبر ودروس، ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

وما دام المسلم صاحب رسالة سماوية وحامل دعوة ربانية ، فهو الجدير بالقيادة العالمية العامة ، في كل ما يتعلق

---

[1] آل عمران الآية : ١٩١

بدينه ودنياه وبفرده وجماعته ، وهوالقمين بأن يرفع رأسه عاليا بين شعوب العالم وأممه ، وينادي بأعلى صوته داعيا إياهم إلى عبادة الله وحده ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾[1].

لم يكن منصب المسلم بأقل من هذه الدعوة الصريحة ، وهو بذلك يعتبر ذا منة على الإنسان المعاصر، وحريصا على شرفه وكرامته ، وعلى رفاهيته وسعادته ، وكلما قام المسلم بهذه الدعوة وعرف أهميتها ، واغتبط بالمنصب العالي الذي أكرمه الله به ، تمكن من قيادة الشعوب والأمم ، وإنارة الطرق المظلمة ، واستطاع أن يأخذ بالناس إلى طريق العز والعلو، والأمن والسلام ، وإلى طريق الحب والوئام ، والوحدة والثقة ، والأخوة والاعتصام بحبل الله .

أما أن يكون طريقه طريقة التبعية والاستسلام أمام القوى المادية والسياسات الانتهازية ، وأما أن يرضى بالتقليد الأعمى ، والمشي خلف الأمم المغضوب عليها ، فليس من شأنه ولا مما يوفرله الهدوء والسعادة ، والأمن والاستقرار، ولا أي صفة من صفات الأمة القائدة الرائدة .

إن للمسلم غنى عن جميع الفلسفات والنظرات والحضارات ، في منهج الإسلام للحياة ، فلا عليه أن يعيد النظر في هذا المنهج ، ويعود إليه من جديد .

---

[1] سورة آل عمران الآية : ٦٤

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

[1] سورة الأنعام الآية: ١٥٣

دور القدوة في مسيرة الدعوة

القدوة الصالحة أول أساس للداعية ، ولها أعمق تأثير في سلوكيات المدعو وأعماله ، فإذا كان الداعية يتميز في أعماله ومعاملاته وأخلاقه بالمثل العليا ، ويكون في القمة الأخيرة منها فإن نصيب أتباعه لا يكون من ذلك إلا ضئيلاً، ولذلك فقد كان من حكمة أولي العلم والغيرة الإيمانية أن يوصوا الناس بالتقوى التي هي ملاك العمل الصالح وأساس السعادة والسمو، والمكارم الخلقية .

التقوى إذا كانت خالصة وكما وصفها السابقون الأولون من المؤمنين ومثلوها برجل يمر بطريق ذي أشواك ويبذل أقصى جهوده في التوقي مما إذا أصابت الأشواك ثيابه وذلك مثال للتقوى ، فإذا كان المرء ذا اهتمام كبير بتقواه ، وهو يراعيها في جميع شؤونه الصغيرة والكبيرة ، وفي جميع أوقات ليله ونهاره ومع جميع علاقاته الظاهرة والباطنة ، فلا شك أنه يمهد الطريق لأمثل قدوة في حياته ، ثم يستلفت أنظار الناس إلى اقتدائه وتقليد قدوته واعتباره نموذجاً لحياة إسلامية جميلة ، ويكون تأثيره فيهم أقوى وأبقى .

إننا نمثل اليوم دور الداعية في مختلف قطاعات الحياة

والمجتمع ، ونتوخى إصلاح الشؤون الاجتماعية والعائلية التي تأثرت بعوامل الزمن وسارت على غير هدى ، وأصبح من الصعب جداً أن تستقيم في ضوء الهدى والسنن ، وتعود إلى حالتها الطبيعية التي تتفق وفطرة الله التي فطر الناس عليها ، وقد دلت التجارب على أن هذه المهمة لكي تتخذ طريقها نحو النجاح ، لفي أشد حاجة إلى تقديم النماذج الحية والسير الإسلامية الكاملة على جميع المستويات الفردية والجماعية ، وخاصة من قبل أعلام الدعاة وعلماء الإسلام ، الذين هم مسئولون عن التمثيل العملي في سبيل الدعوة والإصلاح .

أمامنا في كل عصر ومصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي كانت حياته بجميع ما عاشه وما يحتاج إليه الإنسان أسوة حسنة ، وقدوة كاملة ، فلم تكن لحظة من حياته ولا جانب من سيرته في خفاء وكتمان ، بل كانت ككتاب مفتوح يستطيع أن يطلع عليه كل شخص ، وعلى سيرته من كثب ، وقد شاء الله تعالى أن تسجل كل صغيرة وكبيرة من نشاطه وعمله وحياته ، ويرويها الراوون ويدونها المدونون ، في مجلدات ضخام ، وتتناقلها شعوب العالم كلها بلغات مختلفة ولهجات متعددة ، وينظر من خلالها إلى تلك السيرة المثالية التي لم تتيسر لأي ملك أو إمبراطور أو حبر أو عالم أو مرشد أو مصلح ، أو هاد ، فهي السيرة الفذة التي يدارسها المسلمون ويتعمقون فيها ويحرصون على تقليدها واتباع كل جزء من أجزائها وبناء الحياة والمجتمع على أساسها .

إن قدوتنا نحن المسلمين ممن أكرمهم الله بشرف الدعوة ومنصب التوجيه والتربية مستعارة مستفادة من هذه السيرة الممتازة الفذة التي تعتبر جائزة كبيرة ونعمة عظيمة من الله تعالى للأمة الإسلامية ودعاتها وقادتها والقائمين بتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة .

وفي ضوء هذه الأسوة الحسنة التي شهد بها الله تعالى في كتابه العظيم فقال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾[١]، وفي ضوئها الساطع الدائم تتعين مسيرة الدعوة الإسلامية التي تمهد الطريق نحو القاعدة الإيمانية الصلبة التي ينطلق منها دعاة الإسلام يبشرون الناس بالسعادة والعزة ، ويحملون راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمثلون القدوة الصالحة للعالم كله وهم ينادون بما ينادي به الله تعالى ، ويقولون ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾[٢].

---

[١] سورة الأحزاب الآية : ٢١

[٢] سورة الأنعام الآية.١٥٣

لا تثمر الدعوة إلا بتمثيل السيرة الإسلامية في الحياة

إن الجانب العملي في الدعوة الإسلامية هو أكثر تأثيراً من غيره في النفوس والقلوب ، ولكنه إذا اجتمع الجانب النظري مع الجانب العملي واقترن الشرح بالتطبيق لكان ذلك أصدق صورة للحياة الإسلامية ، وأحسن مثال للفرد المسلم ، وذلك ما يزيد إقبال الناس على الإسلام ، ويبعث فيهم الثقة بما يدعو إليه الداعي وبما يعد به المعنيون بالدعوة الإسلامية والمهتمون بشأنها من حياة أفضل ، وتقترب الشعوب التي تعيش في مراكز العلم والصناعة والحضارات والمدنيات المادية إلى الإسلام وينظر إليه بنظر ملؤه الأمل في المستقبل الباسم ، والثقة بالحياة ، والإيمان بالحقائق الغيبية ، وإن هذه الشعوب ليست بأقل افتقار من غيرها إلى التخلص من حياة القلق واليأس والالتجاء إلى ظل من الأمن والهدوء ، وحياة النشاط والطموح ، بل وإن حاجتها إلى الفضائل الخلقية والسمو الروحي أشد من حاجة الشعوب الأخرى .

إن مجال العمل الإسلامي لزاخر بمجهودات البحث

والتحقيق والشرح والبيان وغني بمواد التأليف والنشر والتوزيع ووسائل الإعلام والدعاية والشرح والبيان ، فقد تناول علماؤنا ودعاتنا الدعوة الإسلامية من جميع نواحيها وبجميع أصولها وفروعها بالشرح والإيضاح في ضوء العلم والتكنولوجيا والصناعة والاختراع ونجحوا في إقناع الطبقة المثقفة حتى الرجل المادي بأن الإسلام هو الملجأ الأصيل للإنسان في كل عصر ومصر، وهو الذي ينسجم مع الطبيعة البشرية في كل الأحوال والظروف ، والتاريخ خير شاهد على أن المسلمين الأولين جمعوا بين خيري الدين والدنيا ، وحكموا الشعوب والقلوب في وقت واحد .

ولكن نحن الآن بحاجة ـ مع كل هذه الذخائر والتركيزات الواسعة ـ إلى تقديم نموذج عملي للحياة الإسلامية إلى هؤلاء الباحثين عن النور والهدوء ، وتمثيل السيرة الإسلامية الحقيقية لهؤلاء البائسين من البشر، العائشين تحت ضغط المادية المسرفة ، ووراء ستار غليظ من قلق وسوء حال ، لأنهم يحبون أن يروا حياة إسلامية ماثلة في العمل والتطبيق ، ومجتمعاً إسلامياً نموذجياً يقدم إليهم نسخة صادقة لحياة السلف الصالح ، والمؤمنين الذين جمعوا بين العلم والإيمان وبين الدين والدنيا ، فقد سمعنا بعض هؤلاء المقبلين على الإسلام والمقتنعين برسالته يقولون: إن الإسلام أحسن دين وأضمن طريق للنجاح والسعادة والهدوء ، ولكن المسلمين أسوأ الشعوب والأمم من الناحية العملية والخلقية.

فهل يسترعي هذا انتباه المعنيين بالدعوة والتربية والتوجيه ، والعاملين في حقل الإسلام من العلماء والدعاة ، إلى وضع استراتيجية تربوية جديدة تربي الجيل المسلم على الخطوط العملية والتطبيقية ، وتؤدي دورها في إنشاء مجتمع إسلامي مثالي ، تلجأ إليه الشعوب القلقة البائسة ، والباحثة عن كنف تأوي إليه ، وتجد فيه ضالتها المنشودة .

ولكن متى سيتحقق ذلك ؟

ومتى يتمثل الإسلام في أصلق صورة وأكمل شكل؟

﴿ قل عسى أن يكون قريباً ﴾.

وجادلهم بالتي هي أحسن

شعوب كثيرة في أرجاء العالم المختلفة ومراكزه الحضارية الكثيرة تعيش في قلق وتذمر ويأس من الأوضاع التي تحيط بها ، وهي في الحقيقة باحثة بشكل مدهش عن ملجأ يأوي إليه ، وعن كنف من الدعوة والهدوء تهدأ فيه موجات التذمر واليأس ، التي تغطيها من جميع النواحي ، ويتسنى لها فيه أن تتنفس من الضجر والسآمة ولو لمدة قليلة .

إن هذه الشعوب مجال واسع خصب للدعاة من المسلمين والعاملين في مصالح الدعوة الإسلامية والموجهين المربين من علماء الإسلام ممن لهم مواقف حميدة في حقل الدعوة والعمل ويتمتعون بالثقة وبالفهم الصحيح للدين ، والذين لهم سوابق كريمة في الدعوة إلى الله وأياد نقية بيضاء على الجاليات الإسلامية التي تعيش بمعزل عن مركز الإسلام ومهد الدين ، أو هي بعيدة كل البعد عن مدارس التربية الإسلامية ، ومنابع الإيمان واليقين .

ولكن لا ينبغي أن نعتبر هذه الشعوب قطاعاً من غنم نسوقها حينما نشاء وكيفما نريد ، بل إنما هي ذات ثقافات وحضارات ومدنيات وفلسفات ، وإن كان تاريخها

القديم يرجع إلى عهد البداوة والوحشية ، ولكنها على رغم ما تعانيه من قلق ويأس وما تبحث عنه من نور وهدوء ، تحتاج إلى من يخاطبها بحكمة ، ويتناولها بيد من عطف ، وكلام لين معقول وخلق جميل وفقه وتدبير ، حتى تشعر بالفوز بضالتها في أول وهلة ، وتزداد ثقة وإيماناً بما ساقه الله إليها من نعمة العيش في ظل العافية والعز والهدوء والطمأنينة .

وقد انتهزت هذه الفرصة الغالية والسانحة جماعات من أهل الديانات والأفكار الضالة ، والنظريات المنحرفة ، فاقتنصت هذه الشعوب "البائسة" بعد ما خدعتها ببريق النظريات الكاذبة وأعشتها بلمعان من "المراقبات والأشغال والأوراد" رغبة في إخراجها من منعرجات القلق والتذمر واليأس ، وحرصاً على طبعها بالطابع الديني المزعوم ، وصبغها بالصبغة التي تريدها لها .

ولكن نحن المسلمين أولى بهذه الشعوب من دعاة الأفكار الهدامة والفلسفات السامة والمراقبات الكاذبة ومن رجال الإرساليات والتبشير ، وقد أخبرنا بعض إخواننا من دعاة الإسلام بأن أفراد هذه الشعوب قضوا من عجبهم حينما علموا بما يدعو إليه الإسلام من رسالة الإنسانية والرحمة ، والمؤاخاة ، واطلعوا على تعاليم الإسلام السامية المسايرة مع الطبيعة البشرية ، والملائمة مع الفطرة الإنسانية ، وقالوا : إن من الظلم العظيم أن لا يصل إلينا هذا الإسلام الذي هو حاجة الإنسان اليوم وغداً، وفي كل زمان ومكان .

ولكن بلغنا أيضاً أن الذين أسلموا معجبين بما قد سمعوا من شرح تعاليم الإسلام ورأوا من شمولها ودرسوا من رسالته النقية وتأثيرها في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية ، داخلهم اليأس عند ما وجدوا حياة المسلمين بوجه عام تعارض تعاليم الإسلام ، وسيرتهم تضاد سيرة السلف الصالح من المسلمين الذين رفعوا منار الإسلام وشيدوا صرحه على أساس من الطهر والنزاهة والإخلاص والإيمان .

ولتبليغ الدعوة الإسلامية إلى هؤلاء الناس بأسلوب يوافق عقليتهم والجو الذي يعيشون فيه ، والظروف التي تكتنفهم ، والأوضاع الخاصة التي تعودوها ، يحتاج دعاتنا إلى التمسك بمبدء الحكمة والموعظة الحسنة بجميع ما فيهما من معنى ومن فقه وتدبير .

فهلا نفكر في الموضوع بجدية وصرامة وموضوعية تامة .

ونتطرق إلى أمثال هؤلاء بنصح وحكمة وموعظة حسنة ، ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [1].

---

[1] النحل : ١٢٥.

الدعوة حكمة و قدوة

الداعية المسلم يراعي في عمله ونشاطه الدعوي نفسية المدعو، والوضع، والجو الذي يعيش فيه، والمستوى العقلي الذي يتمتع به، ولذلك فإن أسلوب الدعوة يختلف باختلاف الزمان والمكان، والظروف والأحوال، وهذا من مبادئ الدعوة التي يطلع عليها الدعاة، ويتفقون عليها، ولكن التجربة العملية في هذا المجال تشير إلى أن هناك اختلالا في التوازن الدعوي، ونقصا في تقدير الظروف التي تحيط بصاحب الدعوة وتفرض عليه أن يجعلها موضع اعتباره في كل حين، ذلك لكي تنال الكلمة التي يستخدمها الداعية إعجاب الناس واحترامهم وتؤثر في النفوس، وتأتي بنتائج طيبة وثمار حلوة.

وهل قامت الدعوة بتوسعة نطاقها واستزادة عدد أتباعها في يوم من الأيام إلا بمراعاة الأساليب الصحيحة المطلوبة للدعوة، والصبر على الردود القاسية التي تواجه الداعية في كثير من المناسبات، وتحمل شيء من الغلظة في الكلام، والشدة في المواجهة والرفض والأنانية، وحتى التهديد والمطاردة في بعض الأحيان، إلا أن الداعية الواعي،

لا يثور ولا يغضب ، ولا يقسو ، ولا يُبدئ أثراً في تعامله وكلامه ، إنما يخفيه كل الإخفاء ، ويتظاهر باللين وحسن التعامل مع صاحبه أو أصحابه ، ويأخذ بالحكمة تارة والموعظة الحسنة تارة أخرى ، ويجادل بالتي هي أحسن ، إذا كانت الظروف تدعو إلى المجادلة والنقاش الهادي .

وهنالك يتجلى أثرعمله الدعوي ، ويدرك ثماره المرجوة ، ويجد أن الجوّ القاسي يتحول شيئاً فشيئاً إلى جوّ من الثقة والأخوة والحب ، ويحالفه النجاح وينضم إلى صفه عدد كبير من الأنصار والمؤيدين ، ثم القائمين بالدعوة والمتعاونين مع الداعية إلى ما يدعو إليه ، يُحكى أن أحد الدعاة ذهب إلى شيخ كان يُعتبر عدو الدعوة والداعية كليهما ، فما إن جلس إليه ووجه نحوه كلمة دعوة إذ بصق ذلك الرجل في وجهه وزجره ، ولكن الداعية الحكيم لم يتأثر بعمله هذا مطلقاً ، وأخرج المنديل من جيبه ومسح به البصاق الذي كان على وجهه ، وقال للرجل: هذا (البصاق) عطاؤك لي ، ولكني أرجوك أن لا تحرم الدعوة عطاءك الغالي ، هنالك ندم الرجل على فعلته ، وأصبح عما قريب صديق الدعوة ونصيراً لها ، وكسب الداعية بمثل هذه الحكمة العطف الكبير على عمله ، واتسع نطاقه على مرّ الأيام وعاد إليه من كان يعادي هذا العمل ويركن إلى البدع والخرافات ، وتعاون معه في عمل الدعوة .

أما ما نراه اليوم في شباب الدعوة من التسرع في

الحكم والثورة على الأوضاع وإبداء المقت والكراهية للطبقة الحاكمة ، فليس ذلك من حكمة الدعوة في شيء ، وليس فيه دليل على التوازن والالتزام بالصبر واتخاذ الأساليب المفيدة في هذا المجال بالذات ، لقد رأينا أن هذه الطريقة عقيمة لا تجدي نفعاً ، وإنما تسبب أضراراً بالغة تشمل جوانب العمل كلها ، وتحدث تعطلاً وركوداً في مسار العمل الدعوي ، وقد تؤدي إلى أسوأ النتائج ، كما هو مشاهد معلوم .

ينقصنا اليوم فيما ينقص ، وصف العمل الدؤوب ، والاستمرارية في أداء المسئولية في صمت وحكمة وثقة بالنصر والعون من عند الله تبارك وتعالى ، الذي يعد من ينصره بالدعوة إلى دينه وإعلاء كلمته ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعده بالنصر المؤزر وتثبيت الأقدام ، وقد صرح بذلك بإيجاز فقال : ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[1] .

ثم إن الدعوة بالقول والوسائل الظاهرة لا تنجح ولا ينفذ في العروق والشرايين ما لم يصحبها الصالح من الأعمال والقدوة الحسنة ، والاعتزاز بالإسلام والجهر بذلك من غير خوف ومراعاة للمصالح ، اقرأوا قول الله تبارك وتعالى:﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾[2] .

[1] سورة محمد الآية : ٧

[2] سورة حم السجدة الآية : ٣٣

بالعمل و السلوك نغلب
لا بالتسرع و الهجوم!

ظهر الإسلام في الآونة الأخيرة على المستوى العالمي كقوة جبارة تنبعث من واقع الحياة ، فكان ذلك مفاجأة مؤلمة أقضت مضجع الغرب والشرق ، وجعلت رواد التشكيك والتشويه وقادة الحركات الهدامة والأفكار الزائفة في العالم ممن لا ينون في شن الحرب على الإسلام وتشويه شكله الجميل ، جعلتهم في قلق مستمر وهم بالغ ، وعكرت صفوهم حيث أنهم رأوا انهيار الصروح التي شادوها للهجوم المسلح على الفكرة الإسلامية والقضاء على صوت الإسلام الذي ينبعث من مراكز المسلمين ومجتمعاتهم بصورة دائمة .

إنهم استطاعوا أن يقدروا مدى القوة التي تكمن في اسم الإسلام بله دعوة الإسلام ورسالته ، ورأوا كيف أن الشعب المسلم في بلد مسلم يتجاوب في الهتاف للإسلام ويعلن فرحه الكبير لكي يسود الإسلام على الناس شعبا ، وحكومة ، وتقوم دولة إسلامية تنفذ أحكام الشريعة وتطبق دستور الإسلام على الناس أفرادا وجماعات .

هذه المفاجأة المؤلمة كانت بمثابة هزيمة نكراء لأعداء

الإسلام فباتوا يفكرون ويتدبرون فيما يتداركـون بـه الأمـر، ويتمكنون به من متابعة جهودهم من جديد في الضرب على حصون الدعوة الإسلامية وسد جميع المنافذ التي تتسرب منها الثقة بالإسلام والإيمان برسالته الخالدة الشاملة إلى القلوب .

ويبـدو أنـهـم توصلـوا الآن إلى كـل أسلوب ينفـع مصالحهم ويحقق غرضهم الخبيث في اقتلاع جـذور الإسـلام البالغة إلى أعماق النفوس والآخذة بمجامع القلوب ، ولعلهم يتخذون في ذلك جميع أساليب التضليل والتخويف والقمـع والإرهاب والتهديد والترغيب أيضـاً ، ففـي بعـض الـدول الشيوعية وما على شاكلتها ظهرت هذه الأسـاليب ، ونـالت طريقها إلى التنفيذ ، في خفاء وسرية مرة وبالإعلان والصراحة مرة أخرى .

هذا الواقع من صميم حياتنا اليوم يطالب مـن جميـع دول المسلمين والجماعـات الإسـلامية وخاصـة الـدول الـتي أعلنت تطبيق الشريعة الإسلامية وتنفيذ الدستور الإسلامي ورحب بذلك شعبها المسلم أن تهتم بإبراز ملامح الإسـلام النقية ووضعها أمام العيون في شـكلها الحقيقـي مـع إحبـاط المؤامرات التي تبيت في الظلام ضدها ، كما أنها مسئولة عـن تمثيل الإسلام كلياً في المجتمع المسلم ولا بأس أن يكون هــذا التمثيل تدريجياً ولكن في إحكام وإتقان ، حيـث يكـون كـل حكم من أحكام الشريعة محكم التطبيق ينال إعجاب النـاس وقبولهم في جميع الطبقـات والقطاعـات ويجعلـهم حريصـين

على الأخذ والعمل به .

ولا شك أن حب الإسلام يترسخ في القلوب ، واحترام القانون الإسلامي يعم في الناس ، وبذلك ينشأ مجتمع أفضل نموذجي تقتديه المجتمعات الإنسانية وتحرص على السير في دربه والنسج على منواله .

وأعتقد أن ذلك هو الأسلوب الأفضل لمحاربة الطرق والأساليب التي تعمل ضد الإسلام ، ونفي ما علق بنفوس من لا يعلمون ، إلا أن الإسلام دين القتل والفتك والوحشية والإرهاب ، قد ولى دوره وانقضى زمنه ، وإثبات أن الإسلام أصلح نظام للحياة الإنسانية في كل زمان وفي كل مكان ، وفيه من العطف والرحمة على الإنسانية ما لم يوجد في أي ديانة أو نظام أو أسلوب وفلسفة .

هذا الطريق العملي أنفع وأجدى من أي أسلوب هجومي أو اعتذاري .

فهلا نجربه ونصطنعه؟.

أول لبنة في بناء الحياة الإسلامية!

إذا تتبعنا روح الحياة الإسلامية السعيدة تبين لنا أن النصح هو أول لبنة من بناء هذه الحياة ، وهي لا تكاد تنمو وتستقر وتنال الدعم والاعتماد بدون هذا العنصر الذي يعتبر الأساس والذي يتحمل دعائم المجتمع الإسلامي الأفضل ، ولو لا هذه الأهمية الكبيرة للنصح وبالتالي للإخلاص ، لما جاء هذا التوجيه في الأحاديث الصحيحة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم التي تتحدث عن النصيحة بقوله صلى الله عليه وسلم:"الدين النصيحة ، قالوا لمن؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

هذه هي النصيحة التي تجعل المرء المسلم ذا صلة عميقة بإخوانه وجيرانه ، وأهل بلدته ، ومجتمعه ، وفي الأخير بأمته الإسلامية بكاملها ، بحيث إذا أصيب أخ مسلم في شرق الأرض في عرضه وماله ودينه توجع له أخوه في غرب الأرض ، وتألم لما ألم به من مصيبة ، فإن المسلمين كلهم في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

إن ثمرة هذه النصيحة تتجلى في الإيثار وذلك بأن يؤثر المسلم أخاه على نفسه ، وإن كانت به خصاصة ، وقد شهد التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة لهذا الإيثار والإخلاص ، وقد حكى لنا بعض الناس ما قد حدث في المجتمعات الإسلامية من نوادر الإيثار وخاصة عند استقبال الضيوف والترحيب بالجماعات المسلمة التي تمر بالأحياء والقرى ، فكيف كان أهلها يتناولونهم بالحب والتقدير، ويقدمون لهم كل تسهيل وراحة وضيافة ، وذلك بالتنازل عن كل شيء مما هم بحاجة إليه ، حتى عن الطعام والفراش ، والحاجيات الأخرى ، وقد أحسن الشاعر العربي حينما تحدث عن هذه الروح الإيثارية وافتخر بها فقال:

لحافي لحاف الضيف والبيتِ بيته
ولم يلهني عنه غزال مقنع

ولا شك فإن المسلم يتحلى بروح التضحية بالنفس والمال في سبيل الهدف الأعلى ، وهو لا يبالي ببذل كل شيء مما يملكه في الدنيا رجاء نيل المثوبة الكبرى في الآخرة ، إنه يؤمن كل الإيمان بأن الآخرة خير له من الأولى ، ويعتقد أن من أراد الدنيا وسعى لها سعيها فليس له إلا الويل والحسرة والندامة : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا﴾[1].

---

[1] الإسراء الآيتان ١٨-١٩

إن المجتمع الذي يتوخاه الإسلام من أتباعه إنما يقوم على هذا الأساس المتين من الحب والإيثار والأخوة والتضحية وبفضل هذه العناصر تسعد الحياة وتبعد عن الفساد ، وتستقبل العمل الصالح مما يرضي الله ورسوله ، وتتكون الحياة الإسلامية ، التي تمثل النموذج الأعلى للقيم الإنسانية العليا .

أما ما نواجه اليوم من المشكلات الحضارية والاجتماعية ، وما يعيشه المسلمون اليوم من المتاعب النفسية والأدواء الخلقية على جميع المستويات فليس كل ذلك إلا من فقدان ثقتنا بتعاليم الإسلام الخالدة الصامدة ، وضعف صلتنا بمنابع الخير والعز والقوة التي تفجرها لنا الشريعة الإسلامية ، وتدعونا إلى الاستقاء منها بكل سخاء .

إنها مأساة حياتنا الاجتماعية والدينية التي جلبناها إلى أنفسنا وإلى مجتمعنا على غفلة منا ، وقد جاءت من قبل العوامل المادية والحضارية التي حملتها إلينا الفلسفات الهدامة والنظريات الباطلة ، وأوحاها إلينا زعماؤنا الخاسرون الذين لم يتمتعوا طوال حياتهم بسعادة يوم واحد ، وكان نصيبهم الشقاء والخسران ، ثم الطغيان والعدوان ، وكل ذلك على حساب الأخلاق والفضائل والسعادة الحقيقية التي لا يستغني عنها الإنسان في أي مرحلة من حياته .

فطوبى للمسلم الذي يعيش تحت ظلّ من النصيحة التي ترادف معنى الدين ، فلا دين بدون نصيحة ، ولا نصيحة من غير إيثار وتضحية ، وإخلاص وتعاون على البر والتقوى ،

ومع فقدان هذا العنصر الغالي تفاجئنا من المشكلات والأزمات والمحن الشداد ما لا يأتي عليه الحصر، ولا شاهد أعظم وأصدق من التجربة ، وقد تكررت هذه التجربة عبر تاريخنا الحاضر حيث لا تخفى على البصير العارف .

بناء الإنسان المسلم

بناء الإنسان وحده أهم وأفضل غاية ، لها من القيمة والعظمة ما لا ينكر في أي طبقة من الناس ، ولا في أي فترة من التاريخ ، أما بناء الإنسان المسلم فذاك ما توخاه الإسلام ، وأمر به في جميع تعاليمه وتوجيهاته التي خاطب بها البشر، وقد عبر عن هذه الغاية المثلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ورسوله"[1]، وقد أتحف الناس فور بعثته كخاتم الرسل ورحمة للعالمين ، فقال:"الدين النصيحة ، قالوا: لمن قال: لله ولرسوله ، ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم"[2].

على هذه القاعدة إذا قام أساس حياة المسلم وعمت جميع جوانب حياته ولم تترك عوزا ولا خللا إلا سدته ، فكأنها أقامت الحياة على أفضل ما يطلبه إنسان ، وبالتالي فهي تبني إنسانا مثاليا يجمع بين الفضائل والأخلاق ، والقيم والأقدار والصفات والخصائص التي يتميز بها الإنسان المسلم عن

[1] أخرجه البخاري في الإيمان عن عبد الله بن عمرو رقم: ١٠ ، وأحمد بن حنبل ج ٢ ص١٩٢/١٦٣ ، وأبو داود في الجهاد: رقم ٢٤٨١ ، والنسائي في الإيمان رقم: ٤٩٩٦

[2] صحيح مسلم، كتاب الإيمان رقم: ١٩٦ ، أبو داود كتاب الأدب رقم: ٤٩٤٤

غيره من الناس .

هذا الإنسان المسلم الذي يحلم بـه كـل مسـلم غيـور مخلص ناصح أمين ، لا يوجد إلا بإيجاد الجو الإسلامي الخالص بإحياء جميع الصفات النبيلة والميزات الخلقية التي يوجـه إليـها الإسلام ، إنه لا يوجد إلا ببناء السيرة الإسلامية العظيمة التي تتمثل في الفرد والمجتمع ، والواقع أن الإسـلام كـان ولا يـزال يوجه الإنسان إلى ما يتفق وطبيعته وينسجم مع الفطرة الإلهيـة ، وعلى اتباع توجيهاته وتنفيذهـا في الحيـاة والمجتمـع ووضعـها موضع الاعتبار في جميع المناسبات الفردية والاجتماعية يتوقـف بناء الإنسان المسـلم ، والـذي يتمنـى أن يقـوم بـهذا العمـل المبارك ويحرز قصـب السـبق في هـذا المجـال فعليـه أن يفسـح الطريق للإسلام بجميع توجيهاته وتشـريعاته وبجميـع أوامـره ونواهيه إلى حياته وحياة أهله وأتباعه حتى يتمثل فيه الإنسـان المسلم قبل كل شيء ، ثم يتبعه الناس جميعا ويسيرون خلفـه ، ويعتبرونه إماما وقائدا ، يقتدونه ويمتثلـون أوامـره ، ويقلـدون حياته ، وهنالك يتسع النطاق من أسرة إلى أسركثيرة ومنها إلى مجتمع ومدينة وبلاد بأسرها ، هكذا كان الإسلام وهذه طبيعته .

إنه قـدوة وعمـل ونمـوذج والنـاس يـترقبون أن يـروا القدوة فيتبعوهـا ، ويـروا السـيرة فيقلدوهـا ، ويـروا النمـوذج فيطبقـوه على الحيـاة الفرديـة والاجتماعيـة ، والـذي ينقـص اليوم هو القـدوة والسـيرة والنمـوذج ، أمـا القـول والشـرح والبيان فكل ذلك كثير ، ولا يزال يتسع مجاله ونشاطه على مر

الأيـام ، وتدخـل فيـه التحسـينات والزيـادات والآراء والاقتراحات الجديدة الحديثة ، فذلك يتضخم ويتكاثر ولكـن على حساب العمل والقدوة .

بناء الإنسان المسلم الذي يمثل الإسلام بكل ما فيه من معنى ومغزى ، من سعادة العالم البشري كلـه ، إذ لا شـك أن هذا العالم شرقا وغربا يزخر بكل نوع مـن العلـم والصناعـة والعقل المبتكر، وبكل تقدم هائل في مجالات الحياة من رفاهيـة النفس إلى سمو الفكر والوجدان ، ولكن الذي يندر اليوم إنمـا هو الإنسان المسلم .

الإنسان المسلم حاجة العالم الحديث بكامله ، فهو الـذي يستطيع أن يضع الحد بين الشقاء والسعادة ، وهوالذي يتمكـن من إعادة الحياة إلى الصراط المستقيم التي ضلت الخـط السـليم وتفرقت بها السبل عن طريق السعادة والإيمان .

وبالإنسان المسلم تتحقق الكلمة التي أرادها الرسـول عليه الصلاة والسلام ، وتعرف الحياة وجهتـها الرشـيدة الـتي تتكفل بالأمن والاستقرار في جميع المجتمعات البشرية في العالم كله الذي يترقب عودة الإنسان إلى مكانته من العز والشرف .

المسلم في علاقته بالله

كم من مناسبات دينية تأتي في حياة الأمة كل سنة ، ولكن قلما يقف عليها الناس وقفة متأمل ، ويستوحون منها دروسا في سير الحياة ، ومن بين هذه المناسبات الدينية العظيمة عيد الأضحي الذي يبدو في بادي الأمرأنه تذكار لسنة الذبح التي سنها أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، واستحق من أجلها ما استحق من تعظيم وإجلال عند الله سبحانه وتعالى الذي امتحنه وولده وأمره بذبحه فلم يتلكأ لحظة واحدة فيما أمره به ، ولكن المسلمين يمرون ـ في معظم الأحوا ل ـ بهذه المناسبة الدينية العظيمة والتاريخية من غير تفكير في الواقع الذي كان سببا لوجودها وأساسا لقيامها .

والحقيقة أن لهذا الواقع صلة عميقة بكل جزء من أعمالنا وحياتنا ، بل بكل لحظة من لحظاتنا التي نعيشها على وجه هذه الأرض ، إنه اختبار لمدى ذلك الإخلاص الذي جعله العبد أساسا لأعماله ونشاطاته ، وما هو ذلك الدافع الذي دفعه على ممارسة نشاطه ولأي غرض يقوم بما يقوم به من أعماله ووظائفه .

أما المسلم فإنه قبل كل شيء يرى أن ربه هو الذي

يراقبه وهو الذي يطلع على كل ذرة وكل تحرك وكل دقيق وجليل ، فلا يفكر في عمل قبل أن يفكر في ذات الله ، ثم يرى أنه لا ينجز ذلك العمل إلا لغرض أسمى وهو الحصول على رضاه ، ويعتبر رضاه هو الأصل ، والمطلوب المقصود من وراء كل نشاط ، مهما بدا ذلك في ظاهر الأمر من أمور الدنيا ، ومما يتعلق بالحياة المادية وحدها ، إلا أنه يؤمن كل الإيمان بأن الدنيا خادمة للإنسان وتابعة للآخرة ، وأنها ليست إلا للتوصل إلى الله والتعلق بالله ، وليست الحياة الدنيا إلا طريقا إلى الآخرة ، وليست الدنيا إلا مزرعة للآخرة كما جاء في الحديث .

إن تفكيراً قليلاً في الموضوع ينتج لنا أن الإنسان لم يخلق ولم يبعث إلى هذه الدنيا إلا للامتحان ، والله سبحانه وتعالى يمتحنه وسيما المسلم بطرق شتى ، يمتحنه في أهله وماله وفي آبائه وأبنائه وأزواجه وعشيرته ، وفي مساكنه ومتاجره ، وحتى في قيامه وقعوده وأكله وشربه ، وفي صحته ومرضه ، يمتحنه فيما نعلمه وفيما ليس لنا به علم ، فمن رضي بكل حال ولم يتغير في حبه لله ، ولم يسأم من طول المحنة ، ولم يفر من الأقدار ولم ييأس من رحمة الله ، وظل يتوب إلى الله ويرجو منه ويثق فيه مع اعترافه بالتقصير ، وقلة الصبر ، وقصر الباع ، والعجز والخنوع فلا شك أنه ناجح في الامتحان وفائز بالنعمة ، وظافر بالسعادة في كل مكان ، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١] .

هذه الأضاحي رمز لسنة التضحية بالنفس والمال ، ورمز لما يطلبه الله سبحانه من عبده المسلم من الاستسلام والتسليم ، واعتبار الحياة كلها بجميع ما فيها وما لها لله تعالى ، وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً ، لا من أعضائه وجوارحه ولا من أهله وأولاده ، ولا من ممتلكاته وامتيازاته ، بل إن ذلك كله منحة من الله ومنة منه عليه ، فمن حق الشكر ، والاعتراف بالمنة ، أن يكون له عبداً خاشعاً على الدوام ، يمتثل أمره ويترقب إشارته مع الالتجاء التام إليه ، والخضوع الكامل له ، ويعلن بصفة دائمة ، وإيمان راسخ ويقين كامل ما أمر الله به عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم حيث قال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢] .

فالروح التي تسري في أعماله وإنجازاته هي روح الإخلاص الكامل وروح التقوى التي هي تتكفل لصاحبها بالسعادة الدائمة والعزة السرمدية ، والحياة الباقية ، والذكر الخالد ، والبشارة الصادقة ، والنصر والتوفيق ، والعاقبة للمتقين ، وإن للمتقين مفازاً ، ومن هنا كان للتضحيات التي يقدمها الإنسان كل القيمة بل وإن جميع أعماله تتحول إلى

---

[١] سورة التوبة الآية: ٢٤

[٢] الأنعام الآية: ١٦٢– ١٦٣

تضحيات في سبيل الله ، وتكون لها قيمة كبيرة كذلك عند الله ، وليست الأشكال والظواهر إلا ذريعة لتقديم الروح ، وتمثيل حب الله ورسوله ، وكم من شخص يغتر بالظاهر، ويكتفي بالوسائل من غير تفكير في الغايات والأهداف .

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾[1]

---

[1] سورة الحج الآية: ٣٧

متى سنعود أمة وسطا

يتفق علماء النفس والاجتماع على أن البيئة التي يعيش فيها الإنسان يكون لها دور كبير في تنشئته وبناء سيرته ، هذا واقع معاش ومشاهد على امتداد الخط لا يختلف فيه اثنان ، وإن العودة إلى بعض فترات التاريخ الإنساني توفر لنا دليلا على أن الإنسان إنما يتأثر بأوضاع مجتمعه وبأفكار الأفراد الذين يعاشرهم ، ثم يتحول إلى معدنهم ، فكم من أناس عاشوا بين عهدين متضادين في حياتهم ، كان عهدهم الأول جاهليا بعيدا عن القيم والمثل الخلقية ، حيث يعيش المرء في حرية كاملة لا يتمتع بأي وازع ديني لا وخز ضمير يتمادى في الغي والجهل والإسفاف إلى ما لا نهاية له ، ولا يرى بأسا فيما إذا تناول الناس بالأذى ، وعكر صفو الحياة بإثارة العواطف والغرائز البهيمية ، وملأ الجو بألوان من الرذائل والمنكرات .

أما في عهده الثاني فيتجرد تماما عن الملابسات السابقة فلا يكون إلا داعية إلى الحق والفضيلة ، ولا يفارق الوازع الديني في أي حال ومناسبة ، وقد يتخذه الناس قدوة ويتبعونه في جميع أعماله وسلوكياته ، وذلك لأن خلقه المثالي

يمنحه قبولا عاما ، ويجعله في مركزعل من النصح والإخلاص ، والدعوة إلى الفضيلة والحب والإيثار، وكل ذلك بروح من الأخوة الإيمانية ، وامتثالا لأوامر الضمير، وإرضاءا للرب تبارك وتعالى وإيمانا بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب .

هذا هو شأن المسلم الحق ، وهو الذي يمثل العقيدة الإيمانية السليمة الراسخة ، التي لا يتحول عنها في أي حال مهما كانت النتائج ، وهو الذي لا يتنازل عن شريعة الله التي بعثها الله تعالى لخدمة الإنسان وإسعاد الحياة في كل مكان .

إن المسلم حياته مرآة صافية لغيره ، يرى فيها كل شخص وجهه فيزيل ما يكون عليه من سواد وغبار أو نقع ، ويتناول تجاعيده بالزينة والجمال ، وكلما كانت المرآة شفافة مجلوة تتراءى فيها الملامح بوضوح وتأخذ طريقها نحو عملية التجميل والتقليع ، وذلك ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله:"المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه"[١].

لقد كان المسلم في فجر تاريخه وبعده ، صورة واضحة للإسلام ، فكان يدعو إلى سيرة الإسلام ، الواضحة ، ويربي الناس على خلال الإنسان الشريفة ، والفضائل الخلقية التي فطره الله عليها ، وقد بين الله سبحانه مكانته من هذه الدعوة والتربية في قوله:﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[٢].

[١] أبو داود كتاب الأدب رقم: ٤٩١٨
[٢] آل عمران الآية: ١١٠

ولكن مما يؤسف له اليوم أن المسلم تسفل في سيرته وخلقه إلى حيث يتمثل فيه إنساناً عارياً عن كل فضيلة وطهر، ومتجرداً عن النصح والحب، لا يهمه إلا مصالح محدودة شخصية، ولا يهنأ له إلا إشباع الغرائز وإرضاء الدوافع السافلة، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكد أن النصح والإيثار علامة الإيمان وقل: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[1]، إلا أنه تحول عن هذه العهدة وأصبح علامة للغرور والكبرياء وهدم الفضائل، وإيذاء الجار، والبحث عن مواضع العيب في أخيه المسلم، والتمنى له بعوامل الزمان وحوادث الأيام، والشماتة به عند كل مصيبة، والفرار عنه كلما احتاج إلى تعاون، وخذلانه في الطريق.

كيف نستطيع أن نمثل الإسلام في حياتنا ومجتمعنا بهذا الأسلوب الحقير الذي تعودناه اليوم؟ وهل يمكن أن نقوم بمسئوليتنا الأساسية التي خلقنا الله من أجلها وجعلنا مسلمين؟ بينما العالم الحديث يترقب المسلم الواعي، المسلم الداعية، المسلم القائد، المسلم المخلص، إنه يبحث عن الأمة التي بعثها الله تعالى لتمثيل دور البطولة الإيمانية والشخصية الإسلامية، جعلها "أمة وسطاً" لتكون شهيدة على الناس ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم عليها شهيداً.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

[1] صحيح البخاري كتاب الإيمان رقم: ١٣ وصحيح مسلم كتاب الإيمان رقم: ١٧٠

الدعوة و التضحية معاً

طريــق الدعــوة إلى الله ليــس مفروشــاً بــالأوراد والريـاحين أو المبـاهج والنعيـم ، إنمـا هـو طريـق التضحيـة والمشاق ، وطريق الأعواد والمشانق ، طريق البلاء والمحن ، وقد مر به كل الدعاة الذين تتابعوا أو جاؤوا على فـترة ، وجربـه أولئك المؤمنون من أعلام الأمة وأبطالها الذين واجهوا البلاء في سبيل العقيدة والإيمان ، واستبشروا بالسياط الـتي ألهبـت بها ظهورهم وأعضدهم ، وجربه أولئك الغيارى على الدين الذين لم تأخذهم لومة لائم في سبيل الحق ، ولم ترهبهم قـوة مادية أو سلطان وسلطة ، وصمدوا في وجه كل طوفـان سـداً منيعاً ، ودحروا كل فتنة عمياء مهما كانت مخوفة أو ذات نفوذ وغطرسة ، ولم يبالوا بالعواقب ، ورضوا بكل عقـاب وبكـل نقمة مادية ، إلا أنهم لم يرضوا للحظة واحـدة بالتنـازل عـن ذرة من الإيمان ، أو قيد شعرة في الدين ، ولكنهم اقتدوا بسنة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمينـه الـذي أقسـم بالمحاربة على كل عقال ينقص فيما كان يـؤدى إلى بيـت مـال المسلمين ، فأعلن مدوياً مجلجلاً "أينقص الدين وأنا حي".

هؤلاء الدعاة هم الذين أقاموا لنا في الواقع كل عوج

في الدين وضربوا مثلا رائعـا في أداء الأمانـة ، وتولـوا بقـاء الإسلام في صورته الأصيلة النقية ، رغم المساعي التي بذلت في محاربة الدين والقضاء عليه أو تشويه صورتـه علـى أقـل تقدير، أولئك هـم الدعـاة المخلصـون الذيـن سـهروا علـى صيانة العقيدة من كل فكر زائغ ، أو نظـرة فاسـدة ، أولئـك هم الذين يرجع إليهم الفضل في انتقال هـذه الأمانـة نقيـة خالصة إلى الأجيال ، وانفتاح القلوب للإيمان ، واتساع رقعـة الإسلام ومساحته في نفوس البشر وبلاد العالم .

ومـن ثـم كـان دعـاة الإسـلام أفضـل خلـق الله ، لا يعيشون إلا لله ، ولا يريدون إلا رضا الله ، همتهم العالية هي أن يتفانوا في حب الله ورسوله وينتصـروا لهمـا فتتضـاءل في أعينهم المنافع المادية والأرباح العاجلة ويخرج حب الدنيا مـن الجاه والمال والشهوات من قلوبـهم ، فـلا يرونـها إلا ذريعـة للوصول إلى الآخرة ، ومزرعة لهـا ، وسـلما إلى راحـة الخلـود والنعيم ، فلا تؤثر فيهم الدنيا وإن جاءت أمامـهم بمباهجـها وسرائها ، وبنعمها ولذاتـها ، وتكدسـت عليـهم بذخائرهـا المادية ومناصبها الزاهية وزخارفها الباهرة .

ولنا في تاريخ هؤلاء الدعاة ورجال الله ، زاد قيم نستطيع أن نتبلغ به في رحلة حياتنـا ، ونسـتمد منـه النـور في طريقنـا ، ونتبصر بـه الأمـور في غيـاهب المادية الـتي تعمـي بصائرنـا ، ولكن﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾[١].

---

[١] النور الآية : ٤٠

ولو لا جهود هؤلاء المخلصين لما كان للإسلام شأن يذكر أو يشكر، ولم يكن للمسلمين تاريخ متصل للدعوة، وتجديد للفكر الإسلامي، بل وكان الإسلام دينا كسائر الديانات وكان المسلمون أمة عقيمة جرداء تعيش في البحث عن لقمة عيش وكفى، شأن الأمم المادية والشعوب الغربية.

وأراد الله سبحانه وتعالى بأمة الإسلام أن تكون آخر أمة، عقيدة، ونظرة وشمولا، وتتولى شؤون الحياة الإنسانية كلها من غير تقيد بالزمان والمكان والجنس والوطن واللون واللغة، والمناخ والجو، فقيض لها دعاة من أعلامها، أئمة من بنيها، يقومون بواجب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويمثلون سيرة الإيمان الخالص والعمل الصالح، ويبعثون في الناس الثقة بالإسلام وبخلود رسالته، وضمانها لسعادة الإنسان في كل صقع من الأصقاع: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[1].

[1] آل عمران الآية: ١٠٤

مواضع
الضعف في المسلمين

نبوة صادقة تتحقق اليوم!

هناك كثير من النبوءات التي صدرت من لسان النبوة ، وهي أوضح دليل على أن النبوة ختمت بخاتم الأنبياء محمد المصطفى صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه وسلم ، فهو الذي أرسله الله سبحانه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وذلك هو دين الإسلام الذي اختاره الله تعالى منهجاً للبشرية جمعاء ، وذلك هو الدين القيم الذي يشمل طبيعة الإنسان من جميع نواحيها ، ويحمل نظاماً متقناً دقيقاً ورسالة شاملة للحياة والإنسان والكون ، خالدة إلى يوم الدين ، فمن ابتغى غير الإسلام ديناً خسر وذل ، وتاه في متاهات من الحيرة والضلال ، وهو من الخاسرين: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١].

ومن بين هذه النبوءات ما رواه أبوداود عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يوشك الأمم أن تداعى عليكم ! كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ ! قال: بل أنتم

[١] آل عمران الآية: ٨٥

يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن ، فقال قائل يا رسول الله : وما الوهن ؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"[1].

إن قليلاً من الاستعراض لمعاني هذه النبوة الكريمة يكشف لنا الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم ، وهو واقع تداعي الأمم المادية بكاملها ـ والتي تتزعمها اليهودية العالمية والصهيونية الماكرة ـ على الأمة ، والهجوم عليها من كل جانب لتجريدها عن دينها ، وإبعادها عن منصبها ، وإضعافها ، بل فصلها عن تميزاتها وخصائصها التي منحتها زمام القيادة العالمية ، وجعلتها في مقدمة الصفوف دائماً ، والتاريخ الإسلامي يزخر بأمثلتها ، والعالم كله يعرف حكايات هذه القيادة التي تولت توجيه المجتمعات الإنسانية إلى الوجهة الصحيحة التي كانت سبباً للأمن والسلام ، والأخوة والوحدة التي تنظم البشر كلهم بنظام من الحب والثقة ، والتعاون ، والخير .

قصة محمد الفاتح ليست بعيلة ، فقد دخل القسطنطينية فاتحاً ، ورافعاً لواء القيادة والعز والشرف ، حتى هز أوربا بكاملها ، وجعل أهلها رعية من رعاياه ، فكانت ترتعد خوفاً من هذا الفاتح الإسلامي العظيم الذي حمل راية القيادة ، وكانت تقيم له كل وزن وقيمة ، وتخضع لحكمه في

[1] أبو داود كتاب الملاحم رقم: ٤٢٩٧، ومسند أحمد ج ٥، ص: ٢٧٨

كل حال .

أما ما تجتازه الأمة اليوم من أوضاع سيئة ، نحو دينها وكتابها ونبيها ونحو عقيدتها ، فليس ذلك إلا من قبيل تداعي الأكلة على القصعة ، وإن هؤلاء الأكلة لم يتمكنوا من الجراءة البالغة على تحقيق أحلامهم في المسلمين وبلدانهم إلا من خلال ذلك الاستغلال البشع الذي كانت الغفلة قد مهدت الطريق لهم إليه ، وكان التناسي الذي ـ تواصف به المسلمون اليوم ـ لرسالتهم ودعوتهم هو السبب الأول لغزو العدو في عقر ديارنا .

وقد بلغت هذه الغفلة ببعض المسلمين ممن ورثوا الإسلام أباً عن جدٍّ ، إلى أنهم لم يروا بأساً فيما إذا استخدمهم العدو ، لتحقيق بعض أغراضه الخسيسة وتوفير وسائل الهدم والتخريب عن طريقهم ، تشويهاً لسمعة الإسلام ، واتهامه بالإرهاب والوحشية ، ومما لا مراء فيه أن مشاركة المسلم في عمليات تقليل أهمية الدين الإسلامي ، وعدم جدواه في العصر الراهن عون كبير على محاربة الإسلام وعلى تعاون على الإثم والعدوان .

وقد جاءت هذه الخطوة الجريئة من هذه الطائفة ، من خلال إهمال لشرائع الإسلام ، وظن فاسد بمنهج الإسلام ونظامه الكامل الشامل ، وثقة بأقوال المناوئين الذين يؤكدون للناس أن الدين الإسلامي قد قضى نحبه ، وفقد حيويته ورواءه في هذا العصر الذي يعيش تطورات هائلة في

مجالات العلوم والصناعات ، والتقنية ، فهو جدير بأن يتعاون مع أهل هذا الدين في تعديل طبيعته ، وتغيير سماته وأوضاعه ، بما يساير الركب الحضاري الحديث ، ويواكب العالم المعاصر في جميع تميزاته وشاراته .

وما ذلك إلا تضليل لعامة المسلمين والطبقة المثقفة بالثقافة الغربية منهم ، وإن هؤلاء المضللين يستخدمون ذلك كسلاح يشهرونه في وجه الإسلام ، بأساليب مختلفة ويسدلون الستارعلى تاريخه المشرق لكي يصرفوا المقبلين عليه عن الإعجاب به والثناء عليه ، ثم الاعتناق به .

ولا شك فإن المنهج الإسلامي للحياة يساعد في بناء الحضارة الإنسانية التي تتكفل بالسعادة والأمن والطمأنينة في كل عصر ومصر، وتمنح الإنسان وجهة صحيحة للعمل بتعاليم الإسلام ، وتوجيهات الدين لإسعاد الحياة في الدنيا وفي الآخرة جميعاً ، ولقد بشر الله سبحانه وتعالى أولئك المؤمنين الذين يقولون : ربنا الله ثم يستقيمون بالأمن والأمان وبالسرور والهدوء ، وبالجنة ، ثم بالولاية في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، والوعد بالعطاء من كل نعمة تشتهيها النفس ، وتتطلع إليها ، يقول الله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ، نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[1] .

---

[1] حم السجدة الآيات: ٣٠-٣٢

فإذا كان المسلم مع هذه البشارة الصريحة والوعد المفعول ينخدع بالأضاليل والأباطيل فلا يعني ذلك إلا أنه لا يثق بوعد الله تعالى ، وقد فقد ثقته بالدين ، وانعزل عن جماعة المسلمين ، وأصيب بالوهن الذي وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم الذي تحيط به الظروف المضادة ، كما هو الشأن اليوم مع الأمة المسلمة التي وقعت فريسة الخوف والحزن وتداعت عليها الأمم تطالب منها الانعزال عن الدين القديم ، والارتضاء بدين جديد يسمى بالإسلام ، ولكنه لا يكون إلا إسلاما محرفاً ، وديناً مشوهاً لا يمت بأي صلة إلى الدين الذي سماه الله تعالى بالإسلام ، فقال:﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾[1]

من العجب العجاب أن يشارك المسلم عمليات التشويه ، ويمد غيره بما يملكه من طاقات ، خاشعاً قانعاً ويأمر من يعاديه بالقبول بما يوحى إليه الشيطان من رفض أوامر الدين وحضارته ، والانسحاب عن ساحة الشريعة والعقيدة ، والانضمام إلى صفوف أعداء الله نابذاً تعاليم الإسلام وراءه ظهرياً .

إن الوضع الرهيب الذي يعيشه المسلمون اليوم يشبه وضع اللقاء مع فئة كافرة ، ومواجهة عدو عنيد ، فليس من حكمة الإيمان في شيء أن نلين له ونخضع أمام شرذمته ، بل الله سبحانه وتعالى يأمرنا بالثبات والذكر والطاعة والوحدة

---

[1] [آل عمران : ١٩].

والصبر، في مثل هذا الوضع: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١].

[١] سورة الأنفال: الآيتان: ٤٥-٤٦

قبل أن تفاجئنا الفتن و المحن!

لعل ما كان قد أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجود فتن شديدة تشبه قطع الليل المظلم، يتوافر في عصرنا بين المجتمعات البشرية التي استولت عليها حضارات مادية وفلسفات عقلانية تقوم على أساس الربح والخسارة، ولا سيما أمة الإسلام التي ضعفت صلتها بمصدر قوتها وحضارتها الإيمانية، التي كانت قد أنقذتها من فتن الجاهليات والعصبيات التي كانت تعيشها وتذوق مرارتها وتحس بلوعاتها، حتى جاء الإسلام برسالته المشرقة وشريعته العادلة وأخرج الإنسان البائس الشقي المنكوب من ظلمات الفتن والغوايات إلى نور الإيمان والهداية الربانية، وأذاقه طعم الإيمان الذي غير قلب الإنسان، ذلك الينبوع الثر الذي سقى العواطف الإنسانية الجافة بماء الحياة، وحول الإنسان التائه في متاهات الكفر والضلال إلى الإنسان المؤمن البصير بنور الله، وهنالك انقلبت القيم والمقاييس وتبدلت الرذائل بالفضائل وتقشعت سحب الفتن والمحن، وتنفس الناس الصعداء، وذاقوا حلاوة المحبة والصفاء، فقام مجتمع صالح نظيف عادل يسوده جو من العلم والعدل، والرحمة

والحب ، وتحكم فيه الطاعة وتزدهر فيه الشريعة ، وتنمو فيه دوافع الإيثار والطهر والعفاف ، وذلك ما سجله التاريخ بقلمه البليغ فسماه الحضارة الإسلامية التي شهد فيها العالم شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، نماذج رائعة من الأخوة والثقة والحب والمودة ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّار فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾[١].

بهذه الخصائص الإيمانية المشرقة ازدهرت العلاقات الإنسانية وانتشرت الحضارة الإسلامية في المعمورة البشرية وارتفعت قيمة الأخلاق التي أخضعت العالم كله أمام قوة العقيدة الصافية التي تتولى السعادة والطمأنينة للإنسان ، وتوقيه من كل فتنة عمياء.

لقد آن اليوم أوان هذه الفتن التي سبقت الإشارة إليها بلسان النبوة ، وهي تتفاقم وتتجلى في أشكال متعددة ، بل وتتلون أنواعها وتسيطر على المجتمع البشري أفراداً وجماعات ، وتشتد وطأتها التي تزعزع بنيان اليقين ، وتورث المرء شبهات في الأسس الإيمانية والسلوكيات المسلمة ، فلا يكاد يبقى على الجادة الواضحة المستقيمة ، وإنما يضطر إلى تغيير الخط ومساومة سلعة اليقين ، وبيع الحقائق الدينية بشيء حقير من عرض الدنيا ، وإذا رأينا إلى واقع مجتمعنا المعاصر من خلال هذه الحقيقة التي بينها رسول الله صلى الله

---

[١] آل عمران: الآية: ١٠٣

عليه وسلم وطبقنا هذا المقياس على الحياة التي نعيشها نحن المسلمين في مجتمعاتنا المختلفة لأدركنا صحة هذه الإشارة موجودة في ممارساتنا وسلوكياتنا وأساليب أعمالنا ونشاطاتنا مائة في المائة .

لقد أخذت بنا هذه الفتن التي تشبه في خطورتها وشدتها قطع الليل المظلم ، من كل جانب وأدركت مواضع الضعف في نفوسنا ، فهي تنخر الإيمان ، وتخرج هيبته من القلوب ، وتورث الجرأة في أمور الدين ، وتجعله سلعة رخيصة تباع بعرض من الدنيا ، ولا شك فإن هذا الوضع الذي يعيشه المسلمون نحو دينهم كان قد تنبأ به رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرناً ، إنه كان ينظر إلى مستقبل بعيد لحياة هذه الأمة ويدرك ما سيؤول إليه أمرها بفعل الحضارات والفلسفات المادية ، وانصراف الهمم والتوجهات كلها إلى زينة الحياة الدنيا ومباهجها ، وقلة الاحتفال بالآخرة وتقديم الزاد له من الأعمال الصالحة ، ولذلك فإنه صلى الله عليه وسلم أمرنا بالأعمال الصالحة ، والتزود منها للآخرة قبل أن تفاجئنا الفتن بألوانها وأنواعها .

ولنقرأ الآن هذا الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن(في رواية مسلم والترمذي بادروا بالأعمال فتناً) كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً (في رواية مسلم(أو) ويمسي كافراً ، ويمسي

ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا"[١].

يقول الله تعالى:﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢].

[١] رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال، رقم: ١٨٦، وأخرجه الترمذي في الفتن رقم: ٢١٩٥، وفي الزهد رقم: ٢٣٠٦

[٢] الأنفال، الآية: ٢٥

نحن والإسلام

إن استعراضاً سريعاً للجهود التي تبذل اليوم - باستثناء بعض منها - سواء في المجال الدعوي، أوالاقتصادي، أو السياسي، أو عن طريق الصحافة، والثقافة، والكتب والرسائل، والنوادي والجمعيات، يصدق ما يقال من أن الإسلام لم يعد نظاماً شاملاً محيطاً خالداً، ولم يعد ديناً ودولة، وسيفاً ومصحفاً، وحريراً وفولاداً وعلماً وعملاً في الواقع العملي عندنا، وإنما الذي سميناه الإسلام وتبجحنا به هو ما نراه اليوم مكتوف الأيدي مهيض الجناح، محبوساً في الأسماء والرسوم، وفي بعض العادات والتقاليد.

وذلك لا يرجع إلا إلى أن الجانب العملي الواقعي قد وصل إلى آخر حد من الضعف والفتور في مجتمع المسلمين، وأصبح الاقتناع بالقشور دون اللب، والابتهاج بالصورة دون الحقيقة، والأخذ بالوسائل دون الغاية شعارنا الكبير، وسمتنا البارزة، وقد تغلب علينا الأسلوب الاعتذاري وبكلمة أخرى: الاستحياء من إبداء الخصائص الإسلامية والانتساب إلى دين الإسلام الذي مرّ عليه أربعة عشر قرناً، تغيرت خلالها القيم والأقدار، وتحولت فيها الحياة رأساً على

عقب .

وإن شئت أن ترى هذا الأسلوب الاعتذاري وهذا الاستحياء من الإسلام ماثلاً أمام عينك فانظر إلى ما يقوم به وجهاء المسلمين في الدول المسلمة من تحسير مفهوم الإسلام الواسع وتصغير شأنه فيما يسمونه بالناحية الدينية ، سواء في مجال التعليم والثقافة أوالاقتصاد والسياسة ، أو الاجتماع والدين ، وذلك أنهم يقترحون لتمثيل الإسلام في الدولة التي دينها الرسمي الإسلام ولغتها لغة القرآن بإعطائه زاوية صغيرة في بعض المجالات التي لها اتصال مباشر بالجماهير المسلمة .

وهكذا يقرون بالفصل بين الدين والدولة ، ويعتبرون الدين عملاً شخصياً يتصل بالفرد في حياته الخاصة ، أما الدولة فلها أن تجول وتصول ، وتأمر وتنهى ، وتقيم وتفسد ، وتفرض ما تشاء من قوانين على الشعب ، وتصدر من أوامر وأحكام إلى الجمهور، ولكن الإسلام فقد عاد شيئاً لا يستحق العناية ولايصح أن يرجى منه خير للإنسانية .

معاذ الله أن يعود الإسلام إلى شيء لا يستحق العناية ، ولا يرجى منه خير للإنسان ، وإنما الذي عاد شيئاً بالياً وتغير ريحه ولونه وطعمه هو تلك العقلية المريضة التي تنظر إلى الإسلام نظرة فيها شيء كثير من الازدراء والحذر والحيطة ، وقد لا يبدو هذا الجانب في بادي الأمر ولكنه يعيش وينمو في كوامن النفوس ويخفى تحت الرماد .

إنك لا ترى اليوم حتى في رجال العلم ، والدين ، من يجهر بالإسلام بدون خوف من لومة لائم ، ويستدل على صلاحيته لقيادة البشرية واستمراريته وخلوده على الصعيد الدولي ولا تجد فيه ثورة على الأنظمة الباطلة التي تسود على المجتمع الإسلامي بجميع ما فيه من قيم وأخلاق وعبادات وسياسات ، ونظرات وشعارات وعلوم وثقافات ، ومشكلات الحياة .

إنني لا أريد أن أقلل من قيمة الجهود المشكورة والمخلصة التي تبذل في كل قطر يسكنه المسلمون في سبيل الإسلام ، ولا أحاول أن أصغّر من شأن الرجال العاملين المخلصين والدعاة الغيورين ، وما يقومون به من خدمات جليلة وأعمال نبيلة ، وإنما الذي أريد هوأن ألفت الأنظار إلى ما تمكن في نفوسنا من مفهوم ضيق محدود للإسلام في الواقع العملي ، وقلما نشعر بذلك فنعامل الإسلام معاملة لا يليق بشأنه ولا يجدر بكرامته وقدسيته ونكتفي بالإشادة بذكره ، والثناء على تعاليمه والاعتزاز بتاريخه فحسب ، دون أن نرصد لتحكيمه في الحياة وتغليبه على كل نظام باطل ، رصيداً من الجهود الواقعية ، ونمهد له الطريق ليهيمن على الحياة كلها ويستولى على المجتمع بأسره .

ولا مبرر لضعف المسلمين والنكبات والشدائد التي تحل بهم إلا لأن الإسلام ضعف في صدورهم ، وهان عليهم أن يكتفوا منه بالاعتراف وبالأوراد ، والأدعية والعبادات ،

وينفوه من مسرح الحياة العامة بحكم من شعورهم الذي أوى إلى داخل النفوس بأنه لا يصلح لقيادة الإنسان المتنور، السائر حثيثاً مع الركب الحضاري .

وقد تغلب الإسلام على المدنية العجمية أول الأمر، وهزمها هزيمة منكرة حتى عادت أثراً بعد عين ، وقاد الإسلام الحياة في كل جزء وكل شعبة وفي كل جانب ، وساد على أكبر رقعة من العالم وحكمها حكماً عادلاً ملأ الجو سعادة وهدوءاً ورخاء وطمأنينة ما لم ينحسر من منهج شامل محيط إلى منهج ضعيف محدود ، وظلت غاية لا غاية بعدها ونهاية مطاف الإنسان ، ومنتهى نظره في إحراز سعادتي الدنيا والآخرة ، فمن ينصر لهذا الإسلام العظيم؟ ومن يفدي مهجته وروحه في سبيله؟ !

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [1]

---

[1] سورة الحجرات الآية: ١٥

أين القدوة للجماهير المسلمة؟

المسلمون على ضعفهم وابتعادهم عن منبع الإسلام الصافي لم يجف في عروقهم دم الحب والحرارة الإيمانية ، وإن جمرة إيمانهم وإن كان قد تحول معظم أجزائها إلى رماد ، ولكن الشرارة لا تزال كامنة تحت الرماد ، وتستطيع أن تنتفض من داخله بأدنى تحريك وأقل إشعال ، وكلما فلجأتهم مناسبة دينية ودعاهم داع مخلص إلى الفداء والتضحية وتقديم الأموال والأرواح في سبيل العقيدة وإعلاء كلمة الله ، نهضوا من غفوتهم وخرجوا من حصار الغفلة واليأس إلى ساحة العمل والنشاط ، والبذل والفداء ، وضربوا أروع الأمثلة في تاريخ التضحيات وترخيص النفس والمتاع من أجل قيمة المبدأ وفي سبيل الحفاظ على الإيمان والدين .

إن همة الجماهير المسلمة في الحياة الدينية لم تفقد حيوتها ذات الحماسة الإيمانية ، ولم تتجه نحو زوايا الخمول والضعف إلا من قبل القادة الدينيين والزعماء الإسلاميين الذين استسلموا أمام الظروف المضادة وانسحبوا عن مجال الحركة والنشاط ، وغيروا موقفهم من الدين والأخلاق وإعلاء كلمة الله بحجة أن البيئة التي يعيشون فيها ، وأن

مجريات الأمور التي تجري حولهم لا تسمح لهم بتغيير المنكر باليد واللسان ، وأنهم ليسوا مكلفين ذلك في ظروف تحتم عليهم الاكتفاء بإنكار من القلب ، والمسالمة مع الأوضاع ، وعدم إلقاء النفس إلى التهلكة بتعمد .

ولا شك أن الأفكار المادية والفلسفات الإلحادية التي يعيشها الإنسان في العالم الحديث لها سيطرة كاملة على الحياة والمجتمع ، وهي لا ترضى بأن تكون هناك مجتمعات مستقلة في نظرتها إلى الحياة والإنسان وتتحداها في أساليبها الحضارية والاجتماعية ، والأهداف التي تتوخاها من الحياة الدنيا وزخارفها ، وفي إنكارها لمبادئ الأخلاق والقيم الروحانية التي تربط المسلم بربه وتجعله لا يعيش في هذه الدنيا إلا للآخرة ، ولا يعتبر الحياة إلا قنطرة للوصول إلى حياة حقيقية دائمة سرمدية ، يتمتع فيها بالجنة والنعيم والرضا والحب والحنان بين اللذات والطيبات .

ولو لا هذه الأفكار والأساليب المادية المعادية لطبيعة الحياة الإنسانية لما تم بلاء المسلم وامتحانه في إصلاح العمل واتخاذ الحسنات ذريعة للتقرب إلى الله تعالى ، ولما وجد ما يتخلص منه نزيهاً طيباً ، ناجحاً سعيداً إلى ساحة العزة والإيمان ، والرضا والسرور ولم يطمئن قلبه إلى المستقبل الكريم الذي سيواجهه بعد الموت ـ بإذن من الله ـ ويتكفل له بالفوز والسعادة ، ولقد قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّـهُ الَّذِيـنَ صَدَقُـوا وَلَيَعْلَمَـنَّ الْكَـاذِبِينَ﴾[١] وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَـاةَ لِيَبْلُوَكُـمْ أَيُّكُـمْ أَحْسَـنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[٢].

ولكن لَيس معنى ذلك أن يستسلم المسلمون أمام التحديات المادية ويفقدوا الثقة بالدين والأخلاق، وبالمكانة الإيمانية العظيمة التي أكرمهم الله بها، بين أمم الديانات وشعوب الحضارات المادية الأخرى، بل ولا بد من الخوض في المعركة بين النور والظلمات، والحق والباطل، ومواجهة البلاء في خضم المنكرات والماديات والخروج منه بكامل الإيمان واليقين، وبالثقة والقوة، بل وأقوى إيماناً وثقة مما كانوا عليه من قبل، وإذا تم ذلك لقادة المسلمين وزعمائهم من العلماء والدعاة وظهر صمودهم في مجالات الحياة أمام التيارات المضادة، وتمثل فيهم الإيمان والعمل في وقت واحد، وتجلت فيهم القدوة الصالحة للحياة الإسلامية، فهنالك ترنو إليهم العيون، وتهفو لهم القلوب، ويكسبون تقدير واحترام الجميع في كل مكان.

الجماهير المسلمة لا تترقب شيئاً مثل ما تتطلع إلى القدوة والأسوة الحسنة في كبارها وزعمائها، وإنها تترقب أن تقر عيونها برؤية مناظر الإيمان والعمل الصالح التي تتحلى بها حياتهم، وكلما اجتمع الإيمان مع العمل، والإخلاص

---

[١] العنكبوت الآية: ٣
[٢] الملك الآية: ٢

بالدرجة المطلوبة صنع المعجزات وزاد إلى صفحات التاريخ ما يعتز به المسلمون على طول الخط.

إن الجماهير المسلمين في حاجة أكيلة إلى تربية صادقة، وقيادة إيمانية مخلصة، فهل يتنبه لذلك دعاتنا ومربونا وهل يقبلون على هذا الجانب الحيوي المهم حتى تؤدي الجماهير المسلمة ضريبة الوفاء والإيمان، وتواجه كل التحديات والمشكلات في ثقة وصبر وفي أناة وحماسة وتسطر في التاريخ بطولتها الإيمانية بأحرف من نور، ويتسنى لنا التغلب على جميع الأوضاع والملابسات، التي تسد طريق الحياة الكريمة في وجوهنا وتجعلنا في الصفوف الخلفية بين شعوب العالم وأممه، بينما لم نخلق إلا للقيادة والهداية فحسب.

يقول الله عز وجل:

﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

---

[1] محمد: ٧

أين النموذج الإسلامي؟

الذين يبحثون عن "النموذج الإسلامي" في عواصم المسلمين الكبرى أو في بلدانهم التي تخصهم، أو في المجتمعات التي تسمى مجتمعات المسلمين، إنما هم في خطأ كبير، إن هذا النموذج لا يوجد اليوم فيما نبحث فيه، حتى في الحركات الإسلامية يندر هذا النموذج، بل الواقع أن دعوتنا اليوم ونشاطاتنا تتركز على المظاهر أكثر منها على الحقائق، وعلى الوسائل أكثر منها على الغايات.

تحركاتنا كلها انحصرت في دوائر الإقناع العقلي، وتهدئة الأعصاب والقضايا المحلية، وفي العمل لصالح الأفراد والجماعات على نطاق محدود، والذين يعملون للإسلام أيضاً لا يرون من واجبهم أن يقدموا هذا "النموذج" في الحياة العملية وعلى مستوى رفيع، لا يهمهم إلا أن يكتب لهم النجاح في السباق الذي يجري في مجال الأفكار والآراء، وإلا أن يرتفع فكرهم على كل فكر آخر وتهيمن دعوتهم على الدعوات الأخرى غيرها، كما هو الشأن مع الأفكار الاجتماعية والسياسية التي تتصادم في المعسكرات ولدى الشعوب والأمم.

ونحن حينما نبحث عن هذا النموذج المثالي في كل

مكان فلماذا لا نفتش عنه في أنفسنا ، بل الحق أن هذا النموذج إنما هو يعيش في حياتنا وفي وجودنا ، وكل واحد منا مسئول عن تقديم هذا النموذج العملي في حياته ومنها إلى أسرته ، ثم يتعدى تأثيره إلى حيث لا نهاية له ، وماذا ستكون نتائج هذا التأثير ، سوى أن يبرز مجتمع صالح مثالي يكون منارة نور في دياجير الحيرة والشقاء واليأس ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

هذه الأسوة مفقودة في كل مكان وعلى كل مستوى ، وانصرفت إلى تسجيل الأرقام العالية ، وعلامات التفوق والامتيازات الخاصة في الألعاب الرياضية والسلحات الثقافية والفنية ، وعقد المسابقات في كثرة النوادي والمسابح والمنتزهات الليلية ، وفي بناء الفيلات الجميلة الباذخة ، وإرسال البعثات إلى العواصم الدولية ، وفي عقد مؤتمرات القمة ، والملتقيات ذات المستوى العالي ، وهكذا دواليك وقس على ما لديك .

يتوافر الآن كل راحة وكل نعمة وكل لذة فوق ما يحتاج إليه الناس ، في بيوتنا ومجتمعنا وفي دولنا وعواصمنا ، يتوافر كل نموذج من كل حضارة وصناعة واختراع ، وكل نموذج من كل لون للرفاهية والترف والتنعم والكماليات في كل مكان نعيش فيه ، فقد زخرت أسواقنا ومتاجرنا من كل ما ينتجه

---

[1] الأحزاب ، الآية : ٢١

أحدث مراكز الفن والصناعة والمدنية في العالم، وتكدست فيها أسباب العيش الرخي الناعم، ولكن الذي يتفاقد فينا هو ذلك النموذج الإسلامي، وتلك الأسوة الحسنة التي تركها لنا نبينا العظيم صلوات الله وسلامه عليه، وفي كل جزء من الحياة من غير تقيد بالزمان، والمكان، والأجيال والعصور.

كل شخص منا يلتمس النموذج في غيره، لأنه يتناسى نفسه وينظر إلى غيره بشيء كبير من الدقة والعمق، فإذا فيه كل عيب، وكل داء، وقد يجده مجموعة من الأدواء ومواطن العيب ويتمادى في غفلة عن النظر إلى نفسه وعن التفكير في ذاته، ويستمر في البحث عن النموذج في كل إنسان، ولكنه يرجع بخيبة أمل، ولا يتحقق ما أراده رغماً مما تعب وتحمل من المشاق.

ليس هذا النموذج الإسلامي إلا في نفس كل مسلم، وهو مسئول عن تمثيله بحكم الدين، والقانون، ومجرد الشعور بهذه المسئولية يوفر فينا نموذج السيرة الإسلامية في كل قطاع وعلى جميع المستويات، ويتوافرلدينا كل ما نحتاج إليه من عزة وكرامة، وأمن وسلام، وعلو وغلبة، ووصاية على الأمم كلها، فكل منا مسئول عن بناء هذا النموذج وتمثيله في نفسه وأهله ومن يعوله منهم ويرعاهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1].

---

[1] التحريم الآية: ٦

هل نحن مخلصون ؟

نظرة خاطفة على الأوضاع العامة التي تعيشها المجتمعات الإنسانية اليوم في العالم كله، تؤكد لنا أن هناك فوضى في جميع المجالات الحيوية، سواء في المجال الفكري والسياسي، أو المجال الاجتماعي، والاقتصادي، وإن هذه الأوضاع المضطربة والأحوال القلقة لا تكاد تستقر رغم الجهود المكثفة التي تبذل على جميع المستويات، بل الحق أنها تزيدها سوءاً وقلقاً، وتدنو بالناس إلى هوة الشقاء والدمار.

لقد وضعت الدول الكبرى والدول النامية كلها إمكانيات هائلة لإعادة الوضع السابق، وضع الهدوء والطمأنينة والأمن والسلام إلى المجتمعات، ولكنها باءت بالفشل في محاولاتها كلها، ولم يعد لها إلا الاستسلام أمام الفساد والمفسدين، وصرف النظر عن موضع الضعف بالذات، ذلك لأن هذه المحاولات لا تبتني على نوايا صالحة، ولا تنبع من طبيعة الإخلاص التي تضمن النجاح.

نرى أن العقلية المادية هي المسيطرة السائدة الآن على جميع الأحوال والظروف الإنسانية، وهي التي تتحكم في رقاب الحكام والزعماء السياسيين، بل هي التي تملي حكمها

وأمرها حتى على طبقة من المتدينين وعلماء الدين الذين يمثلون منصب الدعوة إلى الإخلاص ، والجهاد ، والتفاني في سبيل الله ، ويدعون إلى محاربة الفساد والمنكر والسوء على كل مستوى ، نرى أن هنالك رجلاً مخلصاً يُعرف إخلاصه للدين ، ودعوته إلى التمسك بمكارم الأخلاق ، ويعرف بنزاهته وزهده ، ورغبته عن الماديات واللوثات الدنيوية ، ولكننا إذا فتشنا عن باطن أمره ، وتوصلنا إلى واقع عمله وجهاده ودعوته وجدنا أن هنالك في داخل هذه الأمور مدخلاً خفياً نحو المال والجاه والأغراض النفسانية الرخيصة .

وهنالك ينبهر ذوو الألباب ويقضي الناس من العجب العجاب ، ذلك أن الموضع الذي لم يُرج في أي حال أن يتسرب إليه شيء من الأغراض الخسيسة والحاجات المادية قد شغلته الأهواء والشهوات ، وفتح عليه المنافذ للتكالب على حطام الدنيا وزخارفها .

هكذا تخيب الآمال فيمن تُعلق به الآمال ، وتسوء الظنون ممن كان موضع ثقة وإعجاب ، وسوف لا أكون مبالغاً إذا قلت: إن معظم المسئولية في فساد المجتمعات وفوضى الأوضاع تعود إلى أمثال هؤلاء المخلصين ، من دعاتنا وعلمائنا ، وكبارنا ومصلحينا ، الذين يجب عليهم أن يعيدوا دراسة المسئولية التي يتحملونها ،﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] .

---

[1] حم السجدة الآية: ٣٢

أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم ؟

من أشد ما يعاني منه شعب في حياته الاجتماعية أن ينقطع أمله في شبابه الغض الطري الذي يتوقف عليه المستقبل ، وتتعقد به آمال الأمة في جميع النواحي ، كشأن الولد الذي تتطلع إليه الأبصار، وتعقد به الأسرة آمالاً جساماً فتترقب أن يشب ويتحمل المسئوليات وتتحقق فيه الأماني الحلوة والأحلام اللذيذة إلا أن الآمال كلها تخيب في ذلك الولد الشاب الذي انحرفت به الطرق الملتوية والأساليب الشاذة في الحياة ، وإذا به يستبيح لنفسه كل جريمة ، ومنكر، وشذوذ ، ويعرف في الناس بسوء تصرفاته وقبح عاداته وسلوكه .

هذا ما يحدث للعائلات والأسر مع شبابها المنحرفين الذين لا يكادون يفيقون من شهواتهم إلا بعد ذهاب الوقت ، وفوات الأوان ، غير أنهم يسببون صداعاً مستمراً ، وألماً دائماً لأوليائهم وآبائهم ، ولكن الشباب الذين يمثلون أمة أو جماعة إذا وقعوا فريسة الانحراف الخلقي أو التربية الفاسدة وركزوا نشاطهم على الهدم أكثر منه على البناء ، وعلى الانتقاد أكثر منه على الالتزام بالتربية والتوجيه

الصحيح ، وعلى البحث عن مواضع الضعف والعيب في الناس أكثر منه على صرف الأنظار عنها ، وإصلاحها بحكمة وتدبير ، فلا غرو أنهم أداة فساد وهدم على أوسع نطاق يشمل حياة الأمة بأسرها ، ويتجه بها إلى مشكلات مادية وأزمات معنوية ، وتفقد الأمة كل أمل في الاستمرار والازدهار.

في عصرنا الحاضر منظمات كثيرة تدعو الشباب إلى قبول عضويتها والدخول في هيئة نشاطها وأعمالها ، ولقد قام شبابها في بعض الأحيان بنشاطات دعوية جيلة وعرضوا على المجتمعات المعاصرة نماذج عملية في السيرة الفردية والجماعية ، وإن هذه المنظمات قامت ولا تزال تقوم في أوربا وأمريكا بإنجازات مهمة في مجال الدعوة الإسلامية ، ومثلت ولا تزال تمثل الصلاح والاستقامة الدينية مما يمهد الطريق للشباب الماديين ورجال الحضارات المادية إلى التفكير في الإسلام ودراسة المنهج الإسلامي للحياة ، وفعلاً تم إسلام عدد وجيه من هؤلاء الرجال والشباب كما لا يخفى على المطلعين ، و لا سيما بعد أحداث ١١/ من سبتمبر ٢٠٠١م ، وتداعيات الهجوم المفاجئ على بنتاغون والمركز التجاري العالمي في واشنطن بالولايات المتحدة

والذين يعرفون شبابنا المسلم واقتناعه بالإسلام منهجاً ونظاماً وشريعة وقانوناً ، ويرونه عن كثب يستطيعون أن يشيروا إلى بعض جوانب السيرة المهمة التي

لا تنال منهم كبير اهتمام في معظم الأحوال ، فمثلاً لا ينبغي أن يكون شبابنا هؤلاء عاطفيين وهم يمثلون حياة الدعاة المخلصين ، ولا يستثيرهم شيء تافه مما إذا أثارهم خلاف أو معارضة أو عداء في سبيل العمل الكبير الذي هم فيه ، وكذلك يجب أن يتحاشوا من كل تسرع ومن كل غيظ ومن خطأ في الحكم على شخص أو جماعة أو فكرة أو عمل ، قبل أن يحققوا الموضوع ويدققوه ، وقد جاء النص الصريح في المنع عن سوء الظن والسخرية والتجسس والتنابز والاغتياب ، وكما ورد النهي عن التقاطع حول هذه الخصال السيئة من التحاسد، والتباغض ، والتدابر، والتناجش ، كل ذلك مما لا يخفى على شبابنا وعلمائنا ، بل وطالما يتذاكرون الموضوع ويتحدثون عنه ، ولكنهم لا يتجنبون نفس هذه الأدواء وسرعان ما يتناسونها إذا جدّ بهم الأمر.

وقد وجدنا رجالاً من دعاتنا وعلمائنا حيث إنهم يبررون لأنفسهم كل عصبية وكل تحزب ، وكل نقمة ، وكل حسد ، وكل ظنة ، وكل غيبة ، وكل تجسس ، وكل سخرية ، بل وكل شتم ، وكل منكر، وكل حرام من العادات الدنيئة التي تعودوها وألفوها ، وينسون أنهم ممثلو الدين والأخلاق والفضائل ، ويذهلون أنهم دعاة الإسلام وأنهم حملة الكتاب والسنة فيما يزعمون .

لماذا تتركنا الحمية في دين الله ، والعصبية لكتاب الله وسنة رسوله ، ولماذا يختفي البغض في الله ، والغيظ لله ، ولماذا

ينتهي الحسد في الإنفاق في سبيل الله وتعليم كتاب الله وسنة رسول الله ، ولماذا يذوب الغضب في وجه الكفروالبدع والمنكر، والنفاق ، ثم لماذا تعود الحمية والعصبية في ذات أنفسنا ، ولماذا يظهر البغض والغيظ والحسد فيما إذا كان الأمر يتعلق بشخصنا أو كرامتنا أو يجرح شعورنا ويمس مشاعرنا ، إن الدين لا يقرّ بهذا التفاوت ، ولا يعترف بهذا الفرق الهائل ، بل إنه يعلمنا مكارم الأخلاق ، ويدعونا إلى فضائل الصفات .

فلندرس حياة الأولين ، من دعاتنا وسيرة السابقين من شبابنا وسلوك المتقدمين من علمائنا ولنقتف آثارهم وخطواتهم ونطبق تعاليم ديننا على حياتنا قبل أن ندعو غيرنا إلى ذلك .

يقول الله عز وجلّ : ﴿ أتامرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم﴾ .

السلوك قضية حاسمة لها مساس بجميع القضايا الحيوية

السلوك الذي عُرفنا به واشتهرنا بذلك بين شعوب العالم الحديث وأممه قد انعكس في أغلب الأحوال ولدى معظم المجتمعات المسلمة مما كان عليه بالأمس ، وانحدرنا إلى حضيض خلقي قد يصعب أن نتصور قعره السحيق ، ذاك أن المستوى الذي وصل إليه الناس اليوم هو ما يسمى بـ"التهديد بالفضيحة" لأدنى مناسبة أو أقل سبب ، هنالك تتحول العلاقات الودية والصداقات إلى مشاحنة تتوغر فيها الصدور بالدوافع القاسية التي لا ترضى بأقل من هدم الكيان وتشويه السمعة ، وذلك الذي يرادف وأد المرء بجميع ما اشتهر به من أعمال جليلة وتاريخ مشرق ، وانزواء إلى زاوية الخمول ، والذبول بحيث لا يكاد يرفع رأساً إلى عمل أو فضيلة إذا كان غيوراً .

نجرب الآن هذا النوع من السلوك الشاذ بوجه عام ، فإن هناك صداقة وطيدة بين رجلين ، وعلاقات ودية بين زعيمين ، ولكنها لا تقوم على أساس متين من العقيدة والدين ، فإذا بها تتحول إلى عداوة بالغة الحدّ الأخير من

الشدة والقسوة، ويعامل كل واحد منهما الآخر بتبادل التهديدات وإلصاق التهم والتشهير بالفضائح، هذه الظاهرة السلوكية الخطيرة كانت محدودة في السابق بين المعسكرات والدول، والمجموعات، وأفراد المجتمعات المتحضرة المادية الخالصة التي تقوم على أساس الأرباح والمنافع المادية العاجلة، ولكنها اليوم لم تعد محدودة المناطق، وإنما سرت عدواها إلى مجتمعاتنا وحياتنا، مما نشاهد آثارها في طبقات الجماهير والخاصة من الناس، التي لا ترى أي بأس في ممارسة العملية التي جاءت إلينا من قبل الأعداء ورحبنا بها كعلامة للحضارة الراقية، أو أثر من آثار الشعوب المتمدينة.

واتسع نطاق هذه الظاهرة بشكل مرعب حيث إنها تسربت إلى الطبقات العامة وبدأت تتحول من طبيعتها المحدودة السرية إلى عملية ابتزاز عامة، ومن طبقات عالية ممتازة إلى مجتمعات جماهيرية لا توثر في مهام الحياة ولا تسمن ولا تغني من جوع، فلا نلبث أن نرى ونسمع بمثل هذه الحكايات التي يرويها العامة في كل مكان، وأن الإنسان الأمين الوفي ينتقل بأدنى مناسبة، إلى رجل خائن مجرم، وذلك حينما لم يوافق زميله على جميع ما عرض عليه من أمور وأفكار، وصمد على موقفه من الصدق والعفاف، والأمانة في مجريات الحياة التي يشاركها هو مع زميله، أو أنه لم يرض به صاحبه من اعتماد على النفاق واتخاذ الأساليب السلبية وراء تحقيق المنافع العاجلة وخدمة المصالح الشخصية.

بدأ الناس في مجتمعاتنا ـ نحن المسلمين ـ يقلدون ما وصل إليهم من رواسب قصص التهديد بالفضائل والقضاء على الشخصية ، التي هي حصاد الحضارات المادية والمدنيات الزائفة ، ويرحبون بها كعطاء حضاري يأتي إليهم على طول الانتظار وبعد المزار ، ولم يعد الأمر مقصوراً على الطبقات من الجمهور التي لا تكاد تميز بين الأصل والدخيل ، ولا تعرف عن سوءات المدنيات المستوردة وآلامها ومتاعبها المكنونة إلا قليلاً، بل إن هذا الداء الخطير تعدى إلى طبقات الأمة العالية التي تتزعم العلم والدين والدعوة ، وترفع لواء الإصلاح والتربية والتوجيه ، حتى إن جو الثقة والتعاون المتبادل بينهم قد ذهب ضحية هذا المرض العضال ، وآل الأمر إلى أن الزعيم يتهم الزعيم بأشنع التهم ، وإن الداعية يسيئ الظن بأخيه إلى حدّ التنافر والنقمة ، وإن المسئول عن الشؤون الدينية في بلد أو وزارة يتبع أساليب غير مرضية في الحطّ من قيمة مسئول آخر.

إلى هذا الواقع المرير تتقدم مجتمعاتنا من غير شعور بما فيه من سموم بطيئة ، وبما له من نتائج قاسية تفرز جراثيم السرطان الخلقي على جميع أجزاء الجسم الاجتماعي ، وقد بدأت تظهرهذه النتائج المدمرة في كثير من قطاعات هذه الأمة ، وجعلتها تعاني من أخطارها ما تعاني في صور وأشكال مختلفة كثيرة لا يأتي عليها الحصر.

إن قضية السلوك لفي ألحّ حاجة إلى الاهتمام بها

كقضية لها مساس بجميع القضايا الحيوية ، فيجب أن لا يفوتنا الانتباه إلى هذه المشكلة التي تفتك بنا اليوم في جميع المراحل ، وأن لا نغفل التدقيق فيما إذا واجهتنا مشكلات متماثلة ، وخاصة لدى الخلافات التي تحدث على حين غفلة من أصحابها ، وتؤدي في آخر المطاف إلى مأساة تنتهي بتوجيه الفضائح المزعومة والجرائم الخلقية ، وإلصاق التهم المزورة مع شخص لم يكن له بها عهد ولا صلة﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[1].

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[2].

---

[1] الفاطر الآية : ١٨

[2] الغافر الآية : ١٩

نحن أقرب إلى الوهن منا إلى القوة

لا تزال تتضخم قائمة المشكلات والقضايا التي يعاني منها المسلمون على كل مستوى ، ورغم المجهودات التي تبذل من جميع الاعتبارات للبحث عن حلول لها أو التوصل إلى مواصفات تتكفل بإنقاذهم منها ، فإنها تلتوي وتتعقد على مرّ الأيام والساعات ، فمن الاجتماعات والمفاوضات واللقاءات والمؤتمرات العامة والخاصة لمجرد التوصل إلى حلول المشكلات والقضايا والبحث عن مخارج لها ، إلى مؤتمرات القمة،تكون همهم الشاغل ، وتنال اهتمامهم البالغ ، ولكن دون جدوى .

إن نظرة واحدة على مجتمعات المسلمين وبلدانهم تعطينا صورة واضحة للشقاء الذي يعيشونه ، ولا حاجة بعد ذلك إلى تحمل أي عناء في سبيل جمع إحصائيات دقيقة للمشاكل والمسائل الصغيرة منها والكبيرة ، ولعل عضواً عادياً من أسرة المسلمين الواسعة يدرك ما يشغل العالم الإسلامي اليوم من قضايا معقدة ، وما يتمثل في مجتمعاتهم على اختلاف الزمان والمكان ، وعلى كل مستوى اجتماعي ، ككتاب مفتوح أمامه ، يقرأ فيه المآسي والمبكيات ، ويرى فيه

صوراً فظيعة للأحداث والويلات والنكبات .

لماذا يخص المسلمين هذا الشقاء ، ويسعد غيرهم على حسابهم ، ويعيشون بنجوة عن النكبات والمآسي؟ أ لأنهم مسلمون ، أولأنهم ملتزمون بتعاليم دينهم ، ومعارضون للأفكار والنظرات التي لا تتفق وعقيدتهم الإيمانية؟!.

فهل الإسلام جريمة في لغة غير المسلمين؟.ومن أجل ذلك فقط كانت هذه المسائل والمشكلات ، أم أن هناك عوامل أخرى تجر إليهم الشقاء وتفرض عليهم الظروف المضادة ؟

والجواب يسير: وهو أن الإسلام ليس دينا غامضا ولا منهجا ملتويا يتعسر فهمه على الناس ، بل الحق أنه أبين من أي واقع ملموس مفهوم ، وأوضح من أي حقيقة ثابتة بينة لدى كل منصف وباحث ، وعاقل ، ولكن العوامل التي تعمل في إشقاء المسلمين وإضعافهم ، وبالتالي في تنكيبهم بالمشكلات والويلات هي :

- تنكب المسلمين عن عقيدتهم العصماء .
- تنكرهم لمبادئ وأصول دينهم وإعراضهم عنها ، مع إساءة ظنهم بها وقلة ثقتهم في غنائها وكفايتها ، في عصر العلوم والصناعات والحضارات .
- إعجابهم بلمعان الأفكار والفلسفات الحديثة ، وولوعهم بأساليب الحياة المادية .

وعلى الرغم من ذلك فإنني أرى أن أكبر عامل في شقائهم وصغارهم ، إنما هو ما عبر عنه لسان النبوة على

صاحبها ألف ألف تحية وسلام بالوهن وفسره بحب الدنيا وكراهية الموت .

وأي دليل أدل على هذه الحقيقة من حياتنا الحاضرة ، إذ أن المسلم الذي ينتمي إلى دين الإسلام في دستور بلاده ، أو يسمى مسلما لأنه ولد في أسرة المسلمين ولأن آباءه كانوا مسلمين ، إنه إذا فتش عن واقعه توصل بسهولة إلى أن همه الوحيد هوأن ينال عزة المال والجاه ، والمنصب ، ويتمتع بنعم الدنيا ورفاهية الحياة الطويلة ، فطالما يعيش في غفلة عن الآخرة وعن حق الله عليه ، وعما يواجهه هناك من مواقف الحساب والسؤال والتحقيق ، ولا يبالي بما إذا كانت ممارساته لا تتفق ونزاهة العقيدة ، وسمو الأخلاق ، وبما إذا كان لا يمثل بتصرفاته العملية حياة إسلامية في أي معنى من المعاني ، لا يمثل اتصاله الوثيق بربه وحنينه إلى دار آخرته ، والإعداد لمواجهة موقفه هناك ، فماذا يعني كل ذلك ؟ !

أليس ذلك هو الوهن؟ ثم لماذا نشكو من تكاثر المسائل والقضايا وتفاقد الحب والثقة ، وتباين الأفكار والأنظار في الشؤون التي لا خلاف فيها بل يتفق على عدلها وانسجامها مع الطبيعة كل إنسان .

إذن لا بد من محاربة هذا الداء ، حتى يتسنى لنا العيش في ظل الإيمان والسعادة والطمأنية .

﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[1].

---

[1] الرعد الآية : ٢٨

عدونا في داخل نفوسنا !

لا أدري أن قضية من القضايا الإنسانية العالمية تكون قد نالت اهتماماً كبيراً وتركيزاً قوياً مثل قضية فلسطين التي لا تزال موضوعاً هاماً منذ أكثر من نصف قرن لا ينتهي إلى حلّ ، ولا يجد سبيلاً إلى اقتناع ، ولا يصير إلى مصير نهائي ، فما هو السبب في ذلك ؟

يجب أن نضع هذه القضية على محكّ النقد الواقعي ، وننظر إليها من خلال منظار الواقع الحقيقي ونبحث عن عللها في ضوء التوجيهات الدينية ، فلنقرأ قبل كل شيء ما قد قاله الله سبحانه وتعالى في كتابه العظيم :﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[١].

إننا إذا تأملنا في هذه القضية المعقدة في ضوء توجيهات القرآن الكريم ، ودرسنا جوانبها كلها من وجهة نظر الدين والأخلاق لوجدنا أننا لا نستطيع أن نتبرأ من مسئوليتها تماماً ، ونوجه المسئولية بكاملها إلى الأعداء

---

[١] النحل: الآية: ١١٢

والمناوئين الذين يتربصون بنا الدوائر، ويدبرون ضد الإسلام والمسلمين مؤامرات ودسائس من غير انقطاع وفي كل مكان .

هل كنا نحن المسلمين في فلسطين متحدين في محاربة الكيان اليهودي ومنعه عن فرض سيطرته على هذا البلد المقدس ، هل كان الشعب الفلسطيني كارها اليهود ، بجميع ما في الكلمة من معنى ، لأنهم أمة مغضوب عليها ، وقد شهد القرآن الكريم بغلظة اليهود ومكرهم ، وبما ضرب عليهم من ذلة ومسكنة؟ ألم يكن هناك منا من يرضى باليهود ، بل ومن يوالي اليهود في كثير من إجراءاتهم واستيطانهم ، ثم ألم يكن منا من كان يرضى ببيع أراضيه وممتلكاته على أيدي اليهود بدراهم بخس قليلة ؟

إذا كان هذا كله مما لا شك فيه ، فكيف نستطيع أن نوجه المسئولية بكاملها إلى اليهود ، مهما كانوا على قمة من الظلم والعدوان؟

ليس معنى ذلك أننا نرفض قضية فلسطين على الصعيد العالمي أوأننا نقلل من قيمتها بأي شكل أو ناحية ، وإنما نعتبر هذه القضية في رأس قائمة المشكلات العالمية التي تفرض على المسلمين أن يكونوا أقوياء في السياسة الدولية للضغط على اليهود في مجال التنازلات عن أراضي المسلمين وممتلكاتهم ومكانتهم ، إلا أن العدو يتحايل ، فيعتمد تارة على المساومات وأخرى بالتهديدات وثالثة بالإغراءات ، ولا يتمخض كل ذلك إلا بشيء واحد ، وهو الانسجام مع

الاتجاهات المعادية والرضا بكل غرض حقير وعرض خسيس، والخضوع أمام "السادة" الدوليين الذين يملكون" مصير العالم" من غير أن يشاركهم في ذلك أحد.

بصرف النظر عن احتواء المؤامرات والدسائس لقضية فلسطين، وعقد مؤتمرات حولها لتعقيد موضوعها وتأجيل حكمها، وتأخير عجلة المصير وعقارب الساعة إلى الوراء، يجب أن نضعها على محك الحكم المحتوم الذي تحدث عنه القرآن الكريم، ونفتش في ضوء هذه الآية عن العدو الذي يكمن في نفوسنا، ويسيطر على عقولنا، ذلك لكي يتسنى لنا أن نعود إلى الله تعالى في كل أمر من أمورنا ونشكر بما أنعم به علينا من الإيمان والأمن والطمأنينة، ونطلب منه العون والتوفيق لما يعرض علينا من المشكلات وما يواجهنا من المكاره والمحن.

إن الانصراف عن جهة الانحراف إلى جهة الاستقامة هو في الواقع طريقنا نحو مستقبل آمن مطمئن ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [1].

من هنا يمكن العودة إلى ديارنا ومقدساتنا بكرامة وعزة، وذلك هو الطريق الذي ينطلق إلى فلسطين، وإلى جميع الأوطان والبلدان التي غصبها العدو منا، واحتلها من غير حق ولا شرعية القانون.

وهنالك نستطيع أن نرى عاقبة المجرمين الظالمين!

---

[1] الأحقاف الآية: ١٣

ماذا ينقصنا في مسيرة الإسلام؟

يوجد الإسلام اليوم بمظاهره وأشكاله في كل مجتمع مسلم، بل ويرى كل ذي عينين أن هذه المظاهر وتلك الأشكال لا تزال في اتساع وتزايد، فالمساجد مثلا تبنى في كل مكان، والمدارس الإسلامية تنشأ من غير تردد وتشاور، والمؤسسات الإسلامية تقام باسم خدمة الإسلام والدعوة الإسلامية، والمكتبات الإسلامية تتكاثر وتثرى بالمواد الإسلامية، والكتب والمؤلفات الجديدة التي تتحدث عن الإسلام ومزاياه، وجوانبه الإنسانية التي تتفق وطبيعة الإنسان، تؤلف وتنشر بسرعة مذهلة، وكذلك يقوم الدعاة والمفكرون الإسلاميون بشرح منهج الإسلام للحياة، وبيان خصائصه وثبات دعائمه ومميزاته الكثيرة بإزاء الديانات التي سبقت، بغاية من الجدية والاهتمام وكل ذلك يتم بأسلوب مثير ومؤثر، وطريقة جذابة، وفي جو ديني وعلمي، سواء بالمؤتمرات الإسلامية، أو الاجتماعات الدينية، أو اللقاءات الدعوية، أو المقابلات الفكرية والثقافية أو الورشات العلمية.

ولكن هذه الأعمال والجهود المنوعة الكثيرة في سبيل الإسلام ونشر عقائده وأفكاره لا تتأتى بثمارها المرجوة، بل

الواقع أن الإسلام يواجه جفاءاً وعناداً وعداءاً ، وكلما كثر العاملون في هذا الطريق كثرت العراقيل وتزايدت العوائق فيه ، وتصدى المناوؤن من الهدامين لهدم الإسلام والنيل من حقيقته وتشويه تاريخه ، وتحريف تعاليمه ، بإعدادات ضخمة من كل نوع ، ولم يتركوا أسلوباً إلا وقد تبنوه للتوصل إلى غاياتهم الحقيرة .

فما هو السبب فيما نلمسه من تراجع الجهود الإسلامية إلى الوراء ، وتأثير المقاومة التي يقوم بها غير المسلمين ضد الإسلام ، وما هو السر في ضعف العمل الذي يباشره المسلمون على جميع المستويات ومن كل نوع لخدمة الإسلام ، وفي قوة ونفوذ الجهود التي يبذلها المناوؤن ضد الدعوة الإسلامية والمصالح الإسلامية ؟؟.

إنني أعتقد أن الإسلام بجميع خصائصه وتميزاته وجوانبه الإنسانية التي يعترف بها كل إنسان ، لا يتجاوز حدود القول والبيان ، والشرح باللسان فحسب ، وقد نجد أن ناساً ممن يمثلون الإسلام ويحملون لواء الدعوة الإسلامية لا يعرفون من الإسلام إلا بعض الظواهر والمظاهر دون أن ينفذ الإسلام إلى حياتهم واجتماعهم ، ومعاملاتهم وأخلاقهم وسيرتهم ، ويتمثل أمام الناس في صورة عملية ، كما أنهم في معظم الأحوال يكونون من متبعي العادات ومقلدي التقاليد والعائلات ، التي يعيشون فيها دون أن يكون الإيمان قد اختلط بلحومهم ودمائهم ، ويكون الاعتقاد بكون

الإسلام شريعة خالدة وعقيدة إلهية ، ومنهجا ربانيا عادلا ، لا يطرأ عليه القدم ، ولا يأتيه الخور والبلى ، ولايتطرق إليه الهرم والشيخوخة مهما تغيرت الأحوال العالمية والظروف الإنسانية ، وتبدلت الحضارات بالحضارات ، والأفكار بالأفكار، وتجدد كل شيء في العالم الحديث ، إن الشرط الرئيسي في تأثير المجهودات والأعمال التي نقوم بها نحن باسم الإسلام والدعوة إلى الإسلام ، وهو أن تكون عندنا قدوة العمل أقوى من ذلاقة اللسان وقوة البيان ، وأن تكون حياتنا نموذجا عمليا للدين الذي ندعو إليه الناس ، وأن يكون فينا قدوة حسنة لمن نتوجه إليهم ونخاطبهم ، ونرجو منهم أن يلبوا دعوتنا ، ويدخلوا في ديننا ، ويسعدوا بسعادتنا ، لقد كان الداعي الأعظم صلى الله عليه وسلم يدعو الناس ويؤثر فيهم ويدخل في نفوسهم بسيرته العطرة وحياته العملية وأسوته الحسنة التي رأها الناس لامعة نيرة مثل المرآة الصافية الشفافة .

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [١].

هذه الأسوة هي الأساس المشترك بين دعاة الإسلام وعلماء المسلمين ، وممثلي العقائد الإسلامية والسلوك الإسلامي أمام الناس .

فالدعوة إلى الله تلزم الإخلاص لله ، والاعتقاد بشريعة

[١] الأحزاب: الآية: ٢١

الله ، وتقديم القـدوة الكاملـة في الحيـاة ، وذلـك مـا تجمعـه كلمة "النصيحة".

"الدين النصيحـة ، قـالوا لمـن؟ قـال: لله ، ولكتابـه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم "[١]

[١] رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة رقـم: ٩٥ وأخرجـه الترمذي رقم: ١٩٢٦ ، والنسائي رقم: ٤٢٠٢ واللفظ لمسلم.

هنا موضع الاختبار !

أودع الله سبحانه وتعالى في طبيعة الإنسان حبين متناقضين ، للرذيلة والفضيلة في وقت واحد ، فيعيش بين تجاذب الأهواء والشهوات تارة وحدب على الفضائل والمكارم تارة أخرى ، ولقد كان هذا الخلق المميز للإنسان مؤسسا على حكمة كبيرة أرادها الله سبحانه من حياته ، ذلك أن الإنسان إذا كان مفطورا على حب الفضائل وحدها دون تمايل نحو الرذائل لفاته جانب الامتحان الذي أريد في خلقه وبعثه إلى هذا الكون الواسع ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[1].

بل الواقع أن الإنسان في مواجهة البلاء بصفة مستمرة ، يبلوه ربه في كل شأن من شؤونه ، ففي حياته مسلسلات من الاختبار سواء في حالة الشدة والضراء أو في حالة الرخاء والسراء ، يجري البلاء في يسره وعسره ، ومنشطه ومكرهه ، في طاعته وعصيانه ، في صبره وقلقه ، في حزنه وسروره ، حتى في خواطره التي تخطر بباله ، وأفكاره وآرائه التي يعتمدها في شؤون حياته وعلاقاته مع الخلق ، وإن هذا البلاء يعم الناس

---

[1] ق الآية : ١٦

جميعا سواء كانوا مؤمنين أو كافرين ، نظرا إلى طبيعة الإنسان التي هي مفطورة على الفضائل والرذائل كلتيهما ، فليس معنى إيمانه أنه أصبح بمعزل عن الرذيلة وانقطعت صلته عن الأهواء النفسانية والاتجاهات الحيوانية بتاتا ، ولكن الإيمان هو الذي يقوم بإيجاد الاتزان في الحياة وإيثار جانب الفضيلة على جانب الرذيلة ، ولذلك فإن المؤمن إذا خاض في غمار الأعمال والمسئوليات ونسى أن يحنو على جانب الإيمان ، ويمنح القلب حقه من العناية يعتريه ضعف في حياته يشعر به في كل لحظة ، وقد يفضي ذلك إلى القلق الزائد ، وقد يؤدي إلى مرض ، ولكنه يقبل على التفتيش عن سبب القلق والمرض فإذا به يدرك ذلك في قلة عنايته بما هو أولى بالعناية من كل شيء وهو القلب الذي ينفعل بالمؤثرات الخارجية ويؤثر على النظام الصحي بكامله ، وإذا قدر له القيام بوظيفته من غير إحراج أو تحديد وأفسح أمامه المجال للعمل على الطريق الطبيعي ، فإنه يوزع نشاطه على جميع أجزاء النظام ويكون صاحبه في سعادة وسرور وهناء يتراءى له العالم كله مجالا واسعا لآماله وتطلعاته .

ولا ينبغي أن يفوتنا ونحن في الحديث عن القلب ، ما قد أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في أحد أحاديثه إلى جانب الاعتناء بهذه المضغة الدموية ، حيث تقوم بالوظيفة الرئيسة وتوزع خيراتها على كل جزء من أجزاء الجسد ، فقال: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد

كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب".[١]

ومن خلال هذه الحكمة النبوية العظيمة نستطيع أن نعرف أن الفضائل والرذائل علاقتهما في الواقع بصحة القلب ومرضه ، وإن القلب الصحيح السليم لا يسمح للرذائل ببسط نفوذها وسيطرتها على النفس ، ولكنه إذا منع عن العمل في مجاله المعين وفرضت عليه ظروف لا تليق به فلا شك أنه يضل الطريق وتنتهز الرذائل من كل نوع هذه الفرصة فتهاجم النفس وتتمسك عليها ، الواقع الذي نشاهده نحن ليل نهار ، صباح مساء .

ولقد كان من واجب الشخص الذي أكرمه الله سبحانه بالإيمان أن يراعي موضع الإيمان ، ويشرف عليه بالتزكية والتنقية من غير إهمال وانقطاع ، حتى يستمتع من الفضائل ويستريح في ظلها من عناء الرذائل التي تقف أمامه بالمرصاد .

هنا موضع الاختبار في حياتنا وإن مجرد الانتماء إلى الإيمان والمؤمنين لا يزيح عنا هذا الموقف ، بل لا بد من مواجهته في كل حال﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾[٢].

فمن نجح في الامتحان في هذه المادة فهو على نور من ربه في الدنيا وله جائزة النعيم والجنة في الآخرة بإذن الله تعالى .

---

[١] رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه رقم: ٥٢، وأخرجه مسلم في المساقاة رقم: ١٠٧، وابن ماجة في أبواب الفتن رقم ٣٩٨٤/١٤

[٢] العنكبوت: الآية :٢

هل هناك أمة أعجز منا؟

الحديث عن مآسي المسلمين في العالم اليوم لم يعد يحمل ندرة ولا طرافة ، بل ولم يبق له وزن في ميزان الاعتبار، إن هذا النوع من الحديث بات موضة قديمة لا تسترعي الانتباه ، ذلك أن الناس تعودوا أن يعيشوا أحاديث وقصصاً عن مآسي المسلمين ومخازيهم تحكيها لهم جهات مادية متعددة ، وتتناقلها أجهزة الإعلام على جميع المستويات في كل مكان . ويأتي الحديث عن أحداث لبنان الأخيرة ضمن ما تعوده الناس أن يقرأوه ويسمعوه ، غير أن ما يجري الآن في هذا البلد العربي يحمل دلالات عميقة نحو الخطة الرهيبة المرعبة التي بيتها الأعداء من الأجناس والمعسكرات الشرقية والغربية من غير استثناء ، وقاموا ينفذونها الآن من غير هوادة ولا رحمة ، وهي خطة سفك الدماء رخيصة عن طريق حروب أهلية تشتعل نارها بين الأشقاء المسلمين .

وقد كان طريق إثارة البغض والكراهية في نفوس الإخوة والأصدقاء أسهل طريق ـ دائماً ـ إلى درك الغاية ، وليس كل إنسان يتقن هذا الأسلوب ويبرع في تنفيذه ، ولكن هناك طبقة من الناس في كل أمة تحرز قصب السبق

في هذا المجال ، ولا تواجه أي صعوبة في إشعال نار العداوة بين مجتمعات متحابة ومجموعات مطمئنة ، وتستطيع أن تحولها في أقصر مدة إلى مجتمعات متناحرة متقاتلة من غير أن تراعي فيما بينها إلا ولا ذمة ، أو يمسكها وازع خلقي وديني عن متابعة السير نحو توسيع الفجوة بين القلوب وزرع بذور الخلاف والخصام الشديدين في نفوس أفرادها .

يتمسك أعداء المسلمين اليوم بهذا الأسلوب النكد في تحقيق مآربهم النجسة ومخططاتهم المشئومة في دول المسلمين وبلدان المسلمين ، وإن الطريق المألوف الذي ورثوه عن معلمهم الكبير "إبليس"هو هذا الذي يشتت الشمل ، ويفرق الجمع ، وينفر الطبائع بعضها من بعض ، ويملأ النفوس تحاقدا وتباغضا ، ذلك الذي أمر الإسلام بسد منافذه ورص مساربه ، وحتى أمر بالاجتناب من الظن ، الذي هو أصل كل داء ، ومنبع كل خلاف وعداء وفرقة وانشقاق ، لذلك فإن القرآن الكريم يؤكد هذا الاجتناب فيقول﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾[1] ، ويتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم فيأتي بتأكيد تلو تأكيد في النهي عن كل ما يحول دون تجمع كلمة المسلمين ، ويضر بأخوة الإسلام التي تفوق جميع العلاقات من الدم واللون ، والجنس واللغة والوطن "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تنافسوا ، ولا تباغضوا

---

[1] الحجرات : الآية : ١٢

ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يحقره ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله"[1]، وقال:"لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض"[2].

ولكن كيف يعم الظلم والخذلان والاحتقار بين الأخوة المسلمين ، وكيف يتقاتلون فيما بينهم فيضرب بعضهم رقاب بعض ، ثم كيف تبيد مصالح المسلمين ويتلاشى كيانهم ، وتنهار شخصيتهم في المجالات الاجتماعية ، وكيف يتجرأ عليهم العدو وتتألب عليهم الظروف ، فلا حول لديهم ولا طول ، ولا سند لهم ولا قوة ، وإنما هم غثاء كغثاء السيل .

لقد كان العدو ذكيا فلم يقم بإثارة العواطف بين الأخوة مباشرة ، ولكنه اختار طريقا أفضل ، شأن الوشاة والنمامين ، وألب بعضهم على بعض باسم النصح مرة ، وعلاج القضية مرة أخرى ، إنه ألقى في روعنا قبل كل شيء ، أهمية الموضوع ، حيث إن الموضوع يلقي المسئولية على الجميع أن يهتموا به ويتكافتوا في سبيله وينضووا إلى راية واحدة ، ولكن أين تلك الراية التي يجتمع تحتها كل جماعة ، وأسرة وبلد ، فتوزعت الراية ، وتوزع الزعماء والمصالح ،

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب البر، رقم: ٢٥٦٣، والبخاري في كتاب النكاح، رقم: ٥١٤٣ و: ٦٠٦٤

[2] رواه البخاري في كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء رقم: ١٢١و: ٤٤٠٥، ٦٨٦٩، وأخرجه مسلم في الإيمان، رقم: ١١٨ و: ١٢٠

وبالتالي تفرق المجتمع بين مجموعات صغيرة ، وفرق شتى ، وكل واحدة مستبدة برأيها ورايتها وزعيمها ومصلحتها .

ونتيجة لهذه الفرقة والانشقاق حدث ما حدث من تناحرات وتقاتلات بين الإخوة والأشقاء ، وبين أعضاء الأسرة الواحدة ، الأسرة الإسلامية الموحدة .

وهل تكون أمة أعجز منا وأضعف رأيا إذا أرخينا العنان وسمحنا للعدو نفسه بالحكم في القضية ، ورتق الثلمة وإصلاح الوضع ، وظننا أنه عاد لنا صديقا ناصحا .

وأنّى له النصح ما لم يكن الدين !

لماذا تناسينا هذا المقياس؟

لقد كان النفاق في فجر الحياة الإسلامية أخطر سلاح هدد سلامة الإيمان ، وشكل عنصراً هداماً للمجتمع الذي عاش فيه المسلمون ، ولم يواجه الفئة المؤمنة وحتى النبي صلى الله عليه وسلم أي فساد أكبر من النفاق في ذلك الوقت ، ولا شك فإن المجتمع الإسلامي الأول قاوم خطره أكثر من أي خطر داخلي ، وحارب النفاق والمنافقين بكل ما أمكنه من قوة وعنف ، وشنّ على أوكار الفساد حملة شعواء لا هوادة فيها ، و لقد تصدى القرآن الكريم بكشف نوايا المنافقين وأسرارهم وإظهار ما كانوا يضمرونه في قرارة نفوسهم من حقد وحسد على الإسلام وتأكيد أن ظاهرهم يختلف عن باطنهم ، وأن ألسنتهم لا تترجم قلوبهم ، يقول: ﴿ وَمِنْ النَّاس مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الأَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِين ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إلاَّ أنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ، فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[1].

أي شهادة أكبر من شهادة القرآن التي تبين نواياهم،

[1] البقرة الآيات: ٨–١٠

وتحدد موقفهم من الله والمؤمنين ، ولم يكتف القرآن الكريم ببيان هذا الوضع المخيف وتشهير ذلك الشأن العجيب الذي تلبس به أهل النفاق والشقاق ، ولكن صرح بخطورتهم وضراوتهم وحذر من هؤلاء الذين يرتدون لباس المودة الظاهرة ويتزيوون بزي المحب المخلص ويضربون على الأساس من وراء الستار، ويهدمون بنيان المؤمن من خلف الكواليس ، ويتظاهرون بالكلام الحلو، وبإخلاص المودة من خلال المرارة والكذب والحقد والعداوة ، كشأن "كبسولة السم الناقع" التي تغلف بالسكروالحلاوة ، وتحمل في داخلها الموت والهلاك .

ولقد ركز النبي صلى الله عليه وسلم على هتك أستار النفاق والمنافقين وقد جرب أصحاب هذا الداء ومرضى القلوب بنفسه هو ، ورأى ذلك التكتيك الذي استخدموه في محاربة الإسلام وضرب المسلمين ، وتفشيل الدعوة الإسلامية ، وكيف أنهم كانوا يشهدون برسالته بظاهر اللسان ويؤمنون بالله ورسوله بالقول لا بالقلب ، ولقد أخبره الله تعالى بمكيدتهم في سورة خاصة بهم ، عقدها لبيان حالهم وإبداء نواياهم ، وقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[1].

ولا يزال هذا الداء العضال يعاني منه المسلمون على

---

[1] المنافقون الآية: ١

اختلاف طبقاتهم وبلدانهم ، فقد وجد في كل مجتمع من مجتمعاتهم هؤلاء المرضى ، مرضى العقول والقلوب الذين يتظاهرون بالمودة الكاذبة ويضمرون في نفوسهم من الحقد والعداوة ما الله به عليم ، ذلك لأنهم جبناء لا يستطيعون مواجهة الحق بإنكار صريح ، ولا يملكون تلك الجراءة الكافية والشجاعة المطلوبة التي تمكنهم من مقاومة الدين ومواجهة المسلمين ، فيلتجئون إلى النفاق والضرب من وراء الحجاب .

إن دورالنفاق في إحباط مساعي المسلمين معلوم لا يحتاج إلى دليل ولا إلى بيان ، ولكن الشيء الذي يؤلم القلب ، ويدمي العين ، ويجرح المشاعر هوأن نجد في صفوف العلماء والدعاة ، والمصلحين ، وفي مراكز العلم والتربية والإصلاح ، رجالا مندسين بأسماء ولافتات جذابة ، وقلما ينتبه الناس إلى نفاقهم ويعرفون مكايدهم في هدم العقائد ، وتشويه الأفكار.

ولقد منحنا نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم مقياسا لمعرفة مدى النفاق في الناس فلنستخدم هذا المقياس في تمييز المنافق من غيره ، ولنكن على حذر ممن وجد فيه ما يشير إلى تلبسه بهذا الداء ، فقد قال صلى الله عليه وسلم .

"آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان"[١] أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

[١] رواه مسلم في الإيمان رقم: ١٠٧و:١٠٨ ، والبخاري في الشهادات، رقم: ٢٦٨٢، والترمذي في الإيمان، رقم: ٢٦٣١، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من حديث العلاء.

ماذا ينقصنا اليوم ؟

ما زالت الشيوعية [1] تتكشف للناس بوجهها الكالح يوماً بعد يوم ، وخاصة البلدان التي ذاقت ويلاتها وجربت مقاييسها الزائفة رفضتها بعنف وشدة ، وهي لا تريد أن تعود إلى تجارب أخرى من امتصاص دماء الطبقة الكادحة التي كانت أول فريسة لهذا السبع المفترس ، وظلت مطية للهتافات الهزيلة التي أطلقتها الشيوعية طوال الفترات التي تجولت خلالها بدعاياتها الكاذبة بين أجزاء العالم الكثيرة .

وبولندا آخر مثال للمتاعب والشقاء ، ولإهدار كرامة الإنسان في ظل الشيوعية ، والاضطهادات والقسوة التي يجتازها المغترون بلافتات المساواة ، والمواساة المزيفة ، وهل بعد هذه التجربة الأخيرة من مبرر للإشادة بالشيوعية ، وهل بعد أفغانستان من طريق لدعاة الشيوعية وأذنابها إلى تضليل الشعوب ، وتخدير الأعصاب .

إنني أرى أن أعداء الإسلام يتحدثون اليوم على نقطة واحدة ، وهي أن تتعاون المعاول الهدامة كلها في ضرب أساسنا وتتكون معولاً واحداً في هدم الأخلاق والفضائل التي ترفع

---

[1] كتب لها الانهيار والنهاية الأخيرة بعد ما قامت بجولة وصولة إلى ٧٠/ عاماً. وقد كتب هذا المقال قبل نهاية الشيوعية بمدة

قيمة الإنسان، وتتنحى به من الرذائل والمزابل التي تريد الشيوعية وأشباهها من النظرات والفلسفات العفنة أن تفرضها على المجتمعات الإنسانية كلها، ويتمثل هذا الأسلوب البشع في الاحتلال الشيوعي (البائد) النكد في أفغانستان، حيث اتحدت المعسكرات الكبرى والدول الرأسمالية والشيوعية كلها حول اقتلاع جذور الشعب الأفغاني المسلم، وتصفية وجوده من هذه الأرض العريقة في الإسلام.

يسهل تقدير النوايا الخبيثة السيئة التي تكمن وراء عملية الاحتلال في هذا البلد المسلم، هل ترى أن الدول الغربية تستنكر هذا الاستمرار في ضرب الشعب الأفغاني المسلم، أو ترى أنها تعتبر ذلك عملية لا تستند إلى شرعية سياسية ولا أخلاقية ولا قانونية؟ كلا! بل إن العالم كله متحد في تقطيع أوصال هذا البلد والقضاء على إسلامية الشعب هنا، وكلها اتخذت دولة روسيا آلة لتحويل أفغانستان إلى قاعدة للهجوم على دول النفط في الخليج العربي، والاستيلاء على منابع الخيرات والثروات في هذه الدول بالذات، ولا يمكن تحقيق هذا الحلم إلا عن هذا الطريق، ولذلك فإن العالم الغربي كله يتحد في هذا الاحتلال المشئوم، ويعد لهذا التدخل الغاشم، وقتل وتشريد أهل هذا البلد من غير رحمة ولا هوادة.

فلم تكن الشيوعية البائدة وحدها تتصدى للهجوم السافر على الإسلام والمسلمين ولكن جميع الجهات ذات

الاهتمامات بموضوع المسلمين ودولهم تتفق على استعمار بلدان المسلمين واستعبادهم فكرياً وجسمانياً ، وقد وضعت لذلك مخططات متنوعة على جميع المستويات وحشدت لتنفيذها جنوداً مجندة من الرجال والعاملين لها ، واعتمدت قناطير مقنطرة من الأموال والميزانيات .

من ثم نرى الإسلام محارباً من جميع الجهات وبكل الوسائل والإمكانيات ، وقد التقت في تحقيق هذا الغرض عقول الأذكياء ، وخبرات الخبراء من الشرق والغرب ، وذابت خلافاتهم وعداواتهم على صعيد الاضرار بالمسلمين وضرب عقائدهم وأفكارهم بالتشكيك والتهوين ، وإطفاء نور الإيمان في قلوبهم من حيث لا يشعرون .

ورغم أن المسلمين يعرفون هذه الحقائق ويطلعون على هذه المخططات والمؤامرات ، ولكنهم لا يستعدون لمقاومتها ، والكشف عن بواطنها وأسرارها ، وإذا فعلوا ذلك على مستوى ضيق فلا يتجاوزون صفحات الكتب والمنشورات إلى مجالات عملية ، وساحات تنفيذية ، مع العلم بأنهم لا ينقصهم المال ولا العقل والذكاء ، ولا المراكز والجمعيات التي تعمل لصالح الإسلام ونشر دعوته في العالم كله .

لعل ما ينقصنا اليوم هو الإخلاص والتفاني في سبيل المبدأ ، والعزم الأكيد والتضامن للتوصل إلى الغرض المنشود ، فلو لا ذلك لم نفقد الثقة ولم نحرم ثمار العمل المرجوة في أي زمان ومكان ،﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1] .

---

[1] محمد الآية : ٧

الهدامون يستغلون ضعفنا في الإيمان والعمل

تضافرت جهود الهدامين اليوم ضد الفكر الإسلامي والرؤية الخلقية في العالم كله ، وهي تتهيأ لشن هجوم عارم على الشخصية المسلمة لتجريدها من الذاتية الإسلامية أولا، وتغييرها بشخصية مادية بحتة ثانياً، ذلك أن ذاتية الإيمان والعقيدة لدى المسلم هي في الواقع موضع الخطر الكبير ، وهي التي تبعث الخوف والقلق في نفس العدو، وتتركه يتقلب على الجمر ، فلا شيء أمقت في نظره من ذاتية المسلم التي تؤهله لمواجهة كل محنة وقسوة ، ومعاناة كل ظرف ، وتحمل كل ثمن في سبيل إيمانه وعقيدته ، فكيف لا يتمنى تجريده عن حلية العقيدة ، وكيف لا يضع كل مؤهلاته وإمكانياته في تغيير وجهة نظره نحو الإيمان بالله ، والرسول ، والكتاب ، والبعث والحساب ، والجنة والنار ، وكيف يرضى بتصلبه في هذه العقائد الثابتة التي إذا أنكرها أحد خرج عن ربقة الإسلام ، ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم[1]﴾.

---

[1] البقرة: ١٢٠

هذا ما يدبر ضد المسلمين ، ويحشر من أسرع الوسائل والإغراءات لصدهم عن السير في طريق الإيمان والعقيدة ، ولكن هذه الجهود المكثفة لم تذهب سدى ، إنما خلفت تأثيراً في قليل أو كثير على الحياة الإسلامية ، حيث إن كثيراً من شبابنا انجرفوا مع هذا التيار، ولم يبالوا بما إذا جردهم ذلك من جمال الأخلاق ومتاع الإيمان ، لأنهم لم يروا أمامهم أمثلة حية كاملة لحياة المسلم الصادقة ، ونموذجاً أمثل للمؤمن المخلص الذي يعرف مكانته وغايته في الحياة ، فلم تتفاعل حياتهم بأخلاق المسلم ولابسيرته ونظرته نحو الحياة والإنسان ، وقد أنتج ذلك ما أنتج من الانحراف والزيغ والضلال ، والحيد عن طريق الهداية والربانية التي جاء بها خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم كآخر رسالة من السماء إلى الأرض تتكفل ـ إذا تناولها الناس بالقبول والعمل والتنفيذ ـ بالسعادة الدائمة والعزة الخالدة والنزاهة والعلو ، في الدين والدنيا .

وهنا يجب أن نقف برهة من الوقت نفكر في الواقع الذي يعيشه المسلم على جميع المستويات ونوازن بين واقع اليوم وما عاشه المسلمون ومارسوه أمس ، إذا فعلنا ذلك وجدنا الحياة بين طرفي النقيض ، وجدنا الطاعة والامتثال والإيمان والثقة ثم العز والسعادة والتمكين في الأرض والخلافة الإلهية والغلبة والانتصار في الواقع الذي عاشه المسلمون قبلنا ، ورأينا المعاصي والنكران ، والبدع

والمنكرات ، ونسيان الحقوق ثم الذل والخنوع والشقاء والعبودية والضعف والانحطاط ، والتدهور والانحلال في جانب اليوم وواقعه ، هذا الفرق الهائل بين الواقعين ، وبين الحاضر والغابر هو في الحقيقة سر ذلك الشقاء الذي يعاني منه المسلمون ويدفعون قيمته في أحداثهم وأزماتهم ، وفي محنهم وقضاياهم اليوم .

وإذا كنا نؤمن بأن الحياة والكون والإنسان ، ليس أي شيء من ذلك جامداً واقفاً ، ولا متحجراً صامداً ، ولكنه متحرك حافل بالنشاط وصالح للتغير والتطور في كل حين وجيل ، فكان لا بد أن يعتمد على منهج حي لا يفقد قيمته ونشاطه في أي زمان ومكان ، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى ذلك المنهج القويم للحياة الإنسانية والعادلة وسماه الإسلام ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وأعلن أن ذلك هو الطريق السوي للإنسان ، لايفوته القصد والاتزان ولا الشمول والخلود ، فما دام المرء سائرا فيه ، ومتمسكا بآدابه وتعاليمه فهو على نور من ربه ، وهداية من رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولن يصيبه الخور والاضمحلال ، ولا الذل والعار إلا إذا حاد عن ذلك الطريق وسلك مسلكا لا يمت إليه بسبب ، ولقد وعد الله المؤمنين الصادقين بعزة الاستخلاف والقوة والأمن والسلام ما لم يحيدوا عن طريق العبادة والتوحيد ، وما لم ينصرفوا عن واقع كلمة الإسلام وحقيقتها ، ﴿وَعَدَ اللهُ الذينَ آمنُوا مِنْكُم وعَمِلُوا الصَالِحَات

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

لا أظن أن ثمة إعلاناً أصدع من هذا ، ووعداً أوضح من هذا الوعد ، وتهديداً أشد من التهديد ، فمن كفربعد هذا الإعلان الصريح فإنه الفاسق ، لا يستحق رحمة الله ، بل ولا يستحق الأمن والسلامة فكيف بالخلافة والإمامة ، ولقد كرر الله سبحانه هذا المعنى بأساليب مختلفة وتعابير متعددة فمثلاً قال :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَلاَ تَكُونُوْا كَالَّذِيْنَ نَسُوْا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُم الْفَاسِقُوْنَ﴾ [2]، يطالب بالتقوى ويكرر المطالبة بها ، ويحث على الإيمان والعمل الصالح برفع قيمتها وزيادة أهميتها بقوله:﴿ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ويحذر المؤمن مما إذا نسي ربه فتغافل عن تحقيق العمل في الحياة وتقديم الزاد للغد ، فماذا جر ذلك عليه من نتيجة قاسية وعاقبة وخيمة ؟ أليس أن الله تعالى أنساه نفسه ، وأي عذاب أشد من أن ينسى الإنسان نفسه ، ويعيش في غفلة عنها .

ذلك هو الضعف والهوان الذي يقاسيه المسلم ،

[1] النور الآية: ٥٥
[2] الحشر الآية: ١٨-١٩

وذلك هو الخوف والجوع ، وأنواع منوعة من التعاسة والشقاء ، وألوان من الظلم والعدوان يواجهها المسلم في نفسه وأسرته ومجتمعه ووطنه ، وحتى في إيمانه وعقيدته وشعائره ، وشرائعه .

ذلك هو نشاط الحركات الهدامة والاتجاهات المشبوهة والنظرات المعادية التي تستهدف الإسلام مرة والمسلمين أخرى ، وكل ما نشاهده اليوم من تجمعات الشعوب والأحزاب والدول والحكومات وتألبها على المسلمين حكومة وشعباً ، وديناً ودولة ، ليس إلا ثمرة هذا التخلي الشائن عن الصفات الإيمانية والتعاليم الإسلامية والفضائل الخلقية ، ولو أن المسلم شعر بقيمته وقيمة هذه النعمة الكبرى التي أضفاها الله عليه ، وقدرها واعتز بها ثم عاش في ظلالها وأكل من روافدها ، واجتنى من ثمارها ، ذابت التحركات والتجمعات بأسرع من طرفة العين ، وماتت المؤامرات والمخططات في مهدها ، وتخاذل العدو وتراجع ، وانحلت المشكلات والقضايا وساد الأمن والهدوء ، وأحس الناس بالسعادة التي تغطي الحياة من جميع النواحي ، ورجعت التحديات والأخطار التي تحيط بنا من كل جانب أدراجها ، وتحول العالم من الجحيم إلى النعيم ، وصدق الله العظيم ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾[1] .

---

[1] الحشر، الآية: ١٩

لا ! للمنظور الفردي

كم يغر المرء أنه مسلم ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ويزعم أن الدنيا المادية حينما لا ترحم الناس فتتركهم على الجادة ، وتسمح لهم بالعيش في ظل العقيدة والإيمان الوارف الظليل ، قد حالفه التوفيق وساعده الحظ في الحياة فتسنى له أن يعاشرالدنيا وأهلها مسلماً صادق الإيمان ، نزيهاً ، تقياً ، بعيداً عن المطامع وغلبة النفس والشيطان ، مع الاهتمام الكبير بساعات حانية يخلو فيها مع ربه والاعتناء بأداء حقوق الله وحقوق الناس .

وقد يزعم أنه وحيد في المجتمعات المغرضة ذات الأهواء والشهوات والأنانيات ، لا يجد فيها من يثق به ، ويطمئن إليه فيما يحتاج إليه من الشؤون الاجتماعية والدينية ، أو يراه صالحاً للإخلاص والصلاح والنصح والمحبة ، فيظن أن العالم كله يكاد يخلو من الرجال الذين يستحقون أن يسموا مسلمين ، أولئك الذين يصدق عليهم وصف المسلم المؤمن الغيور﴿الَّذِيْنَ إذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوْبُهمْ ، وَإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إيماناً وَعَلى ربِهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ﴾[1] .

[1] الأنفال الآية : ٢

فيعتقد أن المسلم الصادق في عالمه الـذي يعيـش فيـه قليل نادر، وأن مثله كنور ضئيل يلمع في ظلام من الليل ، أو كيراع يشرق في ليال مظلمة مطيرة شاتية ، فما هو إلا أن يرى نوره ثم ما هو إلا أن يختفي .

ولكنه مغرور في الحقيقية بهذه التصورات والمرئيات ، لأنه إذا فتش عـن نفسـه في حيـاد صـادق ، وبإنصـاف ودقـة وتورع ، وجد فيه أكثر من موضع ضعـف ، وتكشـف عليـه أكثر من خداع ، وكان في غفلة عنه ، وكان لم يدر بخلـده قـط أنه واحد من تلك الكثرة الكاثرة التي تأسّف على سلوكها ، وحزن لتصرفاتها الشاذة .

ذاك أن مـا تنطـوي عليـه نفـس الإنسـان مـن فكـر وخديعة ، وتأويل وتبرير ، لكثير وكثير لا يأتي عليه الحصر، غير أنه لا يتفطن لذلك ولا يدركه في معظم الأحـوال ، بـل ولا يخطر على باله أن هناك شيئاً مـن هـذا النـوع يعرفـه أو يطلع عليـه ، لا يـدري أن عنـده غمطـاً لكثير مـن الحقـوق والواجبات ، حقوق الأهل والوالدين ، والأولاد ، وواجبـات الدين والأمة ، والعمـل والوظيفـة ، إنـه لا يـدري أن لديـه ضعفاً في بعض مواضع القوة ، وليناً في الحـق ، وفي مواطـن الصمود والتصدي ، إنه يهتم كثيراً بالتحرز من كل ضعـف ولين وخيانة في توافه الأمور ، ولكنه يتغافل عمـا إذا واجهـه موقف صلب من مواقف العقيدة والديـن ، أو نازعـه حـب الأهل والأولاد ، أو الجاه والمنصب ، أو تصادمت معه المصالح

وتجاذبته المنافع ، وهو في مثل هذه المواقف يؤثر الغفلة على اليقظة ، والانتباه والمحاسبة ، ويعتقد أن غفلته لا يتوسمها أحد ولا يشعر بها شخص ، فيظل مع ذلك مسلماً في أعين الناس كما كان دائماً .

وهكذا يعيش هذا المسكين في غرور وخداع ، يتظاهر بالإسلام كاملاً ، ويتأفف على ما وصل إليه الناس من ضعف الصلة بالدين والأخلاق ، ويبدي قلقه على ذهاب الحياء والغيرة من النفوس ، وعلى اتخاذ الناس الدين ذريعة لكسب الدنيا ومنافعها القليلة .

إن هذا التصور الضيق المحدود من الغرور بالصلاح الخاص والورع الفردي قلما ينفع صاحبه ، فضلاً عن أن يعم نفعه على المستوى الديني والخلقي ، إنه منظور فردي ضيق ينظر به المرء إلى ذاته المحدودة ويعتبر نفسه المقياس الأصيل لقياس الآخرين ، واختبارهم .

ولعل هذا المقياس الفردي المحدود لا يُقر به الدين ، ولا الأخلاق ، ولا تعتمد عليه الأصول الاجتماعية العامة .

إنما هو غرور، قد يؤدي إلى الإعجاب بالنفس ،﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[1]

---

[1] لقمان : ٣٣

كيف نمثل الحياة الإسلامية ؟

إذا تساءلنا عن الحياة التي نعيشها نحن المسلمين اليوم في خضم الأحوال والظروف والتكاليف الحضارية والنشاطات المعاشية ، هل هي حياة إسلامية ؟ أو أننا نمثل نموذجاً من الحياة الإسلامية ؟ لكان الجواب : كلا !

فإن هناك فتناً كثيرة بألوان وأنواع مختلفة ، قد تتخذ أشكال المسئوليات والواجبات ، ويغتر بها المرء ، ويظن أنه يؤدي واجبه ، ولا يخطر على بال منه أنه يعيش في بلاء ، وأنه يواجه فتنة عمياء ، لا يكاد يبصرها ، وذلك ما يحدث مع المؤمن بوجه عام ، الذي يختبره الله سبحانه في مناسبات كثيرة ويمتحن فيه مدى إيمانه بالله ، وصبره على الحوادث وعلاقته بالدين ، ولقد أشار الله سبحانه إلى هذه الحقيقة فقال: ﴿الم ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾[١] فإن مجرد القول بالإيمان من غير عمل جاد مخلص ، ومجرد إطلاق اللسان بأوامر الإسلام ونواهيه لا يغني عن الإنسان المسلم شيئاً ، ولكنه مسئول عن الجمع بين القول والعمل ، وبين الدعوة والمثل العملي ، وبين الشرح والتطبيق بتوازن وعدل ،

---

[١] العنكبوت : ٢

ولو لا هذا الجمع المتزن العادل ، لما خلد الله أمة الإسلام ولم يخصها بالقيادة العالمية وأداء مهمة الخلافة في الأرض .

ولا شك فإن هذه الأمة خالدة مع خلود هذا الدين ، وكلما واجهت ظروفاً صعبة حاولت قطع صلتها عن مصدرها الأصيل ، هبت أمة الإسلام من رقدتها ، وضربت على جذور الفتن التي عاشتها على غفلة منها ، وعادت إلى منصبها الأصيل ، منصب القيادة والإمامة ، وإلى وظيفتها من الحياة التي أخرج الله تعالى هذه الأمة من أجلها ، فقال:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[١].

وبالقيام بهذا الواجب الإنساني تمثل الأمة حياة الحب والإيمان ، وحياة الطاعة والعمل الخالص ، فإن الإقبال الكامل على عبادة الله تعالى الواحد القهار، والتحاشي من كل عمل أو شعور تشوبه شائبة من الشرك أو ما يشاكله من ذنب أو معصية تؤهل الأمة بالنهوض بأعباء هذه المسئولية الملقاة على كتفها ، ولكنها مع وجود أي شائبة من الشرك أو ما يماثل الشرك في الأوضاع الحضارية التي يعيشها الإنسان المعاصر فلا رجاء في القيام بالمهمة التي أخرجها الله تعالى لأدائها في الناس ولنشر الخير والفضيلة في المجتمعات البشرية ، ولا أمل فيما يمنح الأمة كفاءة تامة لمحاربة الأوضاع الفاسدة وصد تيار الظلم والإباحية والهوى ، فضلاً عن

[١] آل عمران الآية : ١١٠

القيام بإعلاء كلمة الله على كل كلمة ، والاستنكار لكل عمل أو قضاء أو إرادة تحاول النيل من شريعة الله والنقص في دينه أو تغيير جزء من هيكله ، أو الاقتناع بأن العصر الحاضر يطالب ـ نظراً إلى التطورات والتغييرات الكثيرة ـ بتعديلات من شأنها أن تمهد الطريق لهذا الدين نحو العمل والتنفيذ ، ووضعه مع الأنظمة الحاضرة المتداولة في المجتمعات العالمية .

أي قيمة لهذه النظرات أو الفلسفات والأساليب والأنظمة التي تتمخض بها الحضارات المادية اليوم بإزاء ذلك المنهج الخالد القويم الذي ليس من نتاج العبقريات والأفكار البشرية "الخصبة" غير أن طبقة كبيرة من المثقفين المسلمين ترى إليها بعين ملؤها الإعجاب والتقدير وتزعم أن دين الإسلام بحاجة ماسة إلى الاستعانة بهذه الأفكار والنظرات ، أو أنه لا يكاد يستغني عن الإفادة منها في هذا العالم الحديث والمجتمعات المتطورة المتغيرة التي لها تأثيرها العميق في مسار الحياة الإنسانية ومرافقها المتجددة .

إن المؤمن المخلص لا يعجب بهذه النظرات والفلسفات الحضارية الجذابة ، إنه يتبنى النظرة الإيمانية ويؤسس عليها الحياة التي تمثل النموذج الإنساني الرائع في جميع المجتمعات البشرية .

حاجات المسلمين

حاجتنا إلى مراجعة التاريخ !

لقد كان المسلمون عبر تاريخهم المشرق رواد الأمن والسلام ، وحملة لواء العلم والمعرفة ، فكان العالم البشري كله مديناً لهم في الخروج من الوحشية إلى الحضارة ، ومن ظلام الجهل والأمية إلى نور العلم والآداب ، وما قصة أوربا في قرونها المظلمة بخافية على العالم ، فلولا أن المسلمين كانوا قد أيقظوها في القرن العاشر الميلادي ، وحملوا إليها الحضارة بكامل معناها لم يكن لها وجود على خريطة العالم الحضاري الحديث.

ولكن المسلمين يُتهمون اليوم بالإرهاب ، ونقض قوانين الآداب ، فيقفون من ذلك موقفاً حرجاً ، وتتفاقم عليهم أشكال المعاناة من غير سبب أو جريرة ، وتتضايق عليهم أسباب العيش في سعادة وأمن ، وتتضاعف مشكلاتهم في كل مجال ، ولدى كل نشاط ، وقد تضيق عليهم الأرض بما رحبت ، كما هو الوضع في عديد من أقطار العالم ، التي يعيش فيها المسلم في خوف وحزن ، ويتهيب من الشقاء والعذاب في كل حين ، ويزيغ قلبه ، كما قد صور ذلك كتاب الله تعالى في ذكر المتخلفين عن الحضور في غزوة

"تبوك" فتابوا إلى الله تعالى:﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1].

ذلك هو العلاج الوحيد ليس غير ، علاج الشقاء والذل والخوف والحزن ، الذي يعيشه المسلم ، وعلاج الاستكانة والخنوع أمام قوى الجبر ، والطاغوت ، وعلاج اليأس والتشاؤم الذي يسيطر على نفسه ، فلا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه .

لا شيء أخوف على الإنسان من الخوف والحزن ، فإنه لا يكاد يتمتع بالعيش السعيد ، والحياة المطمئنة الآمنة ، ما لم يفارقه هذا الخطر المزدوج ، ولا يسعه ذلك إلا بالإيمان القوي ، والاستقامة الكاملة ، كما قد تحدث الله سبحانه عن ذلك الواقع الموجود الملموس في كتابه تبارك وتعالى فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ، نُزُلاً مِنْ

[1] التوبة : ١١٧-١١٨

غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[1].

ويقول في آية أخرى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2] .

فما أجدرنا نحن المسلمين ، والشعوب المسلمة في كل مكان بأن نتدبر في هذه الحقيقة السماوية ، ونمثلها في حياتنا ، وجميع شؤوننا بعيدين عن جميع الإغراءات الحضارية والفتن المادية مع الاهتمام بالإعداد المستطاع من القوة الظاهرة التي إذا التقت بالقوة الإيمانية ، جاءت بالعجائب ، وأتت بالمعجزات ، وصنعت تاريخاً جديداً من البطولة ، والعزة والغلبة على مواضع الضعف كلها ، واستبدالها بالإيمان ، والاستقامة ، والهدوء ، والطمأنينة ، ومهما كانت الأوضاع معاكسة ، وكانت المخاوف والمخاطر تهددنا بشقاء وتعاسة ، فإن الله تعالى ناصرنا ، ويرسل إلينا المدد من فوق سبع سماوات.

كذلك نظرة خاطفة نحو تاريخ بعض الديانات التي سبقت الإسلام ، وكانت ذات صلة عميقة بالمجتمعات الإنسانية ، تكشف لنا جوانب مؤسفة من الانحطاط الخلقي الذي أنتج التفاوت الطبقي بين الناس ، وتقديس بعض الأسر والبيوتات ، وتوزيع الإنسان بين الشريف والوضيع ، ثم

---

[1] حم السجدة : ٢٩-٣٢

[2] الأحقاف : ١٢-١٤

التحريف في التوجيهات السماوية ، والكتب المقدسة ، واستغلال القدرات الإنسانية والطاقات البشرية ، في تأصيل جذور المنكرات في النفس والمجتمع ، وكل ذلك باسم الحضارة التي كانت تمثل تصرفات خاطئة يتولاها رجال الطبقات مع من دونهم في الثقافة والغنى والقوة .

وجاء الإسلام فوجد حياة منحلة لا يربطها نظام ، ولا ينتظمها قانون ، إنما هي الفوضى على جميع المستويات الفردية والجماعية والحضارية ، دون أن يكون هناك وازع ديني ، أو حارس خلقي يقف على أبواب الانحرافات والتصرفات السئية، ويرشدهم إلى طرق الأمن والعدل والمساواة ومن معرفة حقوق الإنسان ، ولكن الله سبحانه أيد دينه الأخير بمنهج عادل سليم ، وتعاليم إنسانية واضحة ، ومعايير خلقية جديدة ، وقيم إنسانية نبيلة أوقفت الناس جميعاً في صف واحد ، وقرر لهم مقياساً واحداً للتقدم والتفضل وهو مقياس التقوى ، وتصور الآخرة ، وما بعد هذه الحياة من حياة جديدة يواجه فيها المرء كل ما عمله في الدنيا ويحاسب عليه ، ويجازي به ، فإما إلى الخير وإما إلى الشر .

ومن ثم أصبح الناس تابعين لهذا المقياس العظيم الذي هو من تقدير الله سبحانه وليس لأحد فيه مدخل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]، فذلك هو

[1] الحجرات : ١٣

المبدع العظيم الخالد الثابت الذي أعاد إلى الإنسان اعتباره، وتولى القضاء على جميع التصرفات الشائنة والتميزات الطبقية، وتقديس الأكاسرة والقياصرة وأتباعهم، حتى قام مجتمع إسلامي عادل نزيه، وجد فيه الناس ما وجدوه من هدوء وعدل، ومساواة وطمأنينة، وعزة وكرامة، فلم ير هناك فرق بين الإنسان والإنسان، وذاق الناس طعم الإيمان، وانقلب الوضع رأساً على عقب فكان العالم قد ولد من جديد.

ثم اقلبوا الآن صفحات التاريخ لكي تروا أمثلة حية للمثل الإنسانية العليا، ونماذج عملية حية لما أعلنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبلغ صوته المدوي على جميع أنحاء العالم حول كرامة الإنسان، ومبدء التفاضل البشري: "أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى" (كنزالعمال).

قد يصاب شبابنا ممن لم تسنح لهم فرصة للتعمق في مفاهيم الدين، وتصورات الحياة الإسلامية، بالمغالاة أو بالتطرف، وطائفة منهم تظن أن معنى الدين أن يشغل الإنسان جميع أوقاته في أداء العبادات بأنواعها المعلومة، ويركز جميع طاقاته على ما يسعه من الاهتمام بالفرائض والنوافل دون أن يلتفت إلى جانب آخر، لاهياً عن واجباته المعاشية وأداء حقوقه التي تعود عليه من عائلته وأقربائه وأصدقائه، أضف إلى ذلك استنكارهم إذا أراد أحد أن

ينصحهم ، ويُبين لهم طريق القصد والاعتدال في العبادات وغيرها من الأعمال الرتيبة .

هذا الحيد عن طريق العدل والقصد ربما يورث فيهم سوء ظن بمن لا يكون كمثلهم ، مثلاً من يجمع بين أعمال العبادة وأعمال الوظيفة والمعاش ، ولا يُتعب نفسه ولا يشغل كل وقته في العبادة والتلاوة ، والأوراد والأذكار ، بل وقد يتعدى بهم الأمر إلى الإعجاب بالنفس ، فيزدرون بمن لا يجدونه مشغولاً بالعبادة بالإكثار والمبالغة فيها ويظنونه ضعيفاً في الإيمان أو خارجاً عن الدين الصحيح ، وذلك هو المزلق الذي يستغله إبليس ، ويضيق عليهم الحصار حتى يصد عليهم السبيل ، ويعرقل لهم المخرج .

كثير من شبابنا الذين يمرون من خلال التطرف والمغالاة في أمور الدين ، قد يشكلون خطراً على الدعوة ، وعلى الدعاة الذين يبذلون طاقاتهم في مجال الدعوة إلى الله ، وشرح مفاهيم الإسلام في مختلف أنحاء العالم ـ ولا سيما في طبقة المثقفين من غير المسلمين في بلاد الغرب ـ وهم يمثلون نماذج عالية عملية من الاعتدال والتوازن ، ويؤكدون للناس أن الإسلام هو دين قصدٍ واعتدال ، يجمع بين جميع الجوانب الإنسانية ، ويعطي لكل حقه ، بعيداً عن التطرف والمغالاة ، ويبرهنون على ذلك بحياة الرجل المسلم الذي يمثل الدين في جميع أعماله وأشغاله التي يمارسها بنية صالحة ، وبروح من التقوى والاحتساب ، فلا يشتغل بأي عمل إلا وتتمثل أمامه

رقابة الله تعالى ، فلا يتوخى من عمله إلا مرضاة ربه ، وإن كان ذلك يبدو كأنه عمل لا علاقة له بـالدين البتـة ، ولكنـه ـ في الواقع ـ يساوي عمل العبادة ما دامت رقابة الله قائمـة عليـه ، وروح التقوى مستولية على قلبه ، فإذا بحياته كلـها ونشـاطاته العملية أجمعها تتحول عبـادة ، فـلا ينام ، ولا يسـتيقظ ، و لا يـأكل ، ولا يشـرب ، ولا يشـتغل بتجـارة وأداء المسـئوليات الوظيفية إلا ويثاب على كل ذلك ، كما يثاب على العبادات .

أمامنـا الآن مثـال القصـد والاعتـدال ، والبعـد عـن التطرف في الحديث الصحيح ، والـذي رواه أنـس رضـي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي الكريـم صلـى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي الكريم صلى الله عليـه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا: أين نحن من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم مـن ذنبـه ، وما تأخر، قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخـر: وأنا أصوم الدهر أبداً ، ولا أفطـر، وقـال الآخـر: وأنـا أُعـتزل النساء ، فلا أتـزوج أبـداً ، فجـاء رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم إليهم ، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إنـي لأخشاكم لله ، وأتقاكم لـه ، ولكـني أصـوم وأفطـر ، وأصلـي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي ، فليس مني"[1].

أ رأيتم كيف أن النبي الكريم صلـى الله عليـه وسـلم نهى عن المغالاة والتطرف في الديـن ، وشـرح لهؤلاء الرهـط

[1] رواه الإمام البخاري رقم: ٥٠٦٣ ، والإمام مسلم رقم: ١٤٠١

رضي الله عنهم معنى القصد والاعتدال الذي هــو مـيزة هـذا الدين ، دون أن يوجد له مثال في الديانات السابقة ، والأنظمة المادية ، والحضارات القديمة والحديثة ، فذلك هو السبب فيمـا إذا كان الإسلام جديراً بالخلود والهيمنة والاستنارة من منهجـه الدائم لحياة الإنسان على اختلاف الزمان والمكان ، وذلك أنه:

﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْـهَا لاَ تَبْدِيـلَ لِخَلْـقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [١]

---

[١] الروم الآية : ٣٠

أمة العطاء في حاجة إلى العطاء

الواقع الذي لا مراء فيه أن الأمة الإسلامية ذات القيادة العالمية تمثلت ـ عبر التاريخ ـ أمام العالم كأمة العطاء والمدد تعطيه ما يحتاج إليه في بناء الهيكل الحضاري والفكري، وتمده بما هو يفتقر إليه في رسم حدود الاجتماع والسياسة والأخلاق، وقد اقتبست منها أوربا العائشة في الظلام قيماً وأسساً في الحضارة والعلوم والمدنية والاجتماع، واستوحت منها الأمم الغربية مفاهيم الحياة في مجالاتها المتعددة، وحتى في القانون والتشريع والتخطيط المدني، وهكذا عم عطاؤها في المجالات الكونية كلها، ولم تعد أي ناحية من نواحي الحياة الإنسانية إلا وأثرتها أمة الإسلام بالمعطيات الغالية من كل نوع.

إن استعراضاً قليلاً للحضارات والأخلاق التي سبقت مجيء الإسلام يساعدنا في التوصل إلى حقيقة أنها لم تكن تمت بصلة إلى الناس من العدالة والمساواة ودافع من البناء، فضلاً عن شعور بالقيم الخلقية، والمثل الإنسانية العليا، وفضلاً عن عقيدة ذات جذور ثابتة تبعث على إيمان بالقوة المطلقة الخارقة، إنما كانت حضارة منهارة، مجردة عن كل أساس وقائمة على أسس من الأثرة، واتجاهات من النفعية، وعلى

عبادة النفس ، والمصالح الذاتية ، وتسخير القوى لدعم الفساد ، والظلم والقسوة ، فكانت طبقات من الناس تسعد على حساب الآخرين ممن كانوا يثقون بتوفير السعادة لرجال الطبقة العليا ، زاعمين أنهم لم يخلقوا إلا لتحقيق هذا الغرض ولتوفير السعادة لغيرهم ، وللعيش في الشقاء والذلة والخنوع ، هذا واقع عاشه الإنسان في القرن السادس والسابع الميلادي ، وذلك رغم وجود الديانات التي كانت الطبقات الدينية تستند إليها إرساءاً لقواعد السيادة على الجماهير، واستبداداً بالشؤون الدينية إزاء الحكام والملوك الذين كانوا يحكمون هذه الجماهير في المجالات السياسية والشؤون الدنيوية.

لا شك أن الإسلام قد أنقذ تلك المجموعة البشرية المتصارعة المتهالكة من الدمار الأخير الذي كان يتهددها ، وأوقفها تحت ظل الأخوة الإسلامية التي شملت المجتمعات كلها بالحب والثقة ، والرحمة والعطف ، ولذلك فإن أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم هو جمع القلوب على نقطة الإيمان الواحدة ، وتوحيد شمل الإنسان المتشتت باسم الأخوة الإيمانية التي نادى بها الله عزوجل في كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

وفسّرها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وقال:"والله في عون

---

[1] الحجرات: الآية: ١٠

العبد ما كان العبد في عون أخيه"[1].

لقد قام الإسلام ـ بأمر من الله ـ بإخراج الإنسانية من زوبعة الدمار العنيفة حينما كانت الآمال كلها قد انقطعت عن إنقاذها منها، وكانت المؤشرات كلها تشير إلى أنها نهاية الإنسان لآخر مرة، وتولى المسلمون بعددهم القليل ووسائلهم الضئيلة واثقين بوعد الله بالنصر والتقوية، بناء حياة إنسانية كريمة تسود فيها العقيدة، ويغطيها الإيمان، وتحكمها الشريعة الإلهية، وتنميها الأعمال الصالحة وتراعيها الأخلاق الفاضلة، وقد تم لهم هذا العمل الكريم بفضل الله وتوفيقه، وبفضل التربية الربانية الحكيمة الدقيقة التي تلقوها من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بوحي من ربه، ولقد كان أصحابه البررة رضي الله عنهم يتميزون بخصائص إيمانية خالصة ارتضاها الله سبحانه وتعالى، فكانت نواة الدعوة والعمل وعلامة الإيمان والتقوى في حياة المسلم، تمكنه من القيام بوظيفته العملية، وتتكفل له بالنجاح والسعادة على طول الخط.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[2].

هذه الخصائص الإيمانية الخالصة من الشدة على أعداء

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الذكر رقم: ٦٨٥٣، وأبو داود في كتاب الأدب، رقم: ٤٩٤٦، والترمذي في كتاب الحدود، رقم: ١٤٢٥

[2] سورة الفتح، الآية: ٢٩

الله وَالتراحم فيما بين عباد الله المسلمين ، والوقوف والركوع والسجود أمام رب العالمين ، مع الحرص على ابتغاء فضل الله واكتساب الرزق الحلال ، والحصول على مرضاة الله ، بأداء أعمال صالحة والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل ذلك مما يساعد المسلم على بناء الحياة ثم المجتمع في العالم كله على أساس متين من العقيدة الخالصة والإيمان الكامل .

ولما عاش المسلمون في تاريخهم على هذه الخصائص الإيمانية ، من غير تطلع إلى زخارف المادة ، وتكالب على الشهوات ، منحوا العالم كله أسوة كاملة في العلوم والحضارات وأساليب الحياة وطرق المعاش ، واستطاعوا أن يقودوا الناس في الدين والدنيا ، ويعلموهم طريق الجمع بينهما بالاتزان الكامل ، والتوفيق بين مطالب الروح والجسد بكل دقة وعدل ، ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

المسلمون أمة العطاء والسخاء ، وأمة المنح والجود ، فلم يبخلوا في أي فترة من تاريخهم بما يجودون به من إيمان وعلم ، وعقيدة وشريعة ، وأخلاق وفضيلة ، وإيثار وتضحية ، وسلوك وسيرة ، إنهم لم يضنوا ـ في أي حال ـ بما أكرمهم الله به من دين خالد ، وتعاليم خلقية عالية ، بإعطاء النصح والخير لكل من هو في حاجة إلى ذلك ، الأمر الذي أنتج الصلاح والسعادة والاتزان في الحياة وغرس جذور الطاعة والإحسان والبر في النفوس ، وتكفل ببناء مجتمع رشيد عادل وبالتالي

بتأسيس حضارة إسلامية يزدهر فيها العدل والإيمان والطاعة واليقين .

إن أمة الإسلام لم تخلق للتبعية والتقليد ، لم تخلق لدعم فلسفة أو عقيلة وفكر، إنها ما أخرجت لاقتناء ما يتوفر من فتات الموائد ومخلفات العقول والأفكار ، وما بعثت للأخذ من بقايا الحضارات ورواسب الانتصارات المادية ، إنما خلقت أمة الإسلام للعطاء من مائدة الإسلام الغنية ، والإمداد بالفكر القائد والسيرة المثالية ، والجود بالأخلاق العالية ، والفضائل الغالية ، والسخاء بالعقيدة الخالدة ، والشريعة التامة الباقية.

ولكن أمة العطاء اليوم قد جفت فيها منابع العطاء والجود ، لأن صلتها ضعفت بمصدر القوة والعطاء ، فأصبحت في حاجة إلى الأخذ والطلب من غيرها .

ولا شك فإن من استغنى عن ربه وانصرف عن طاعته ـ سواء عن شعور أو من غير شعور ـ فإنه كفربنعمة الله ، وتخلى عن منصبه ، وعاد إلى شرعة الجاهلية والشقاء ، ونال عقابه من الذل والصغار ، وعاش في المخاوف والآلام ، وصار إلى الأخذ أقرب منه إلى العطاء .

لقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[١] .

---

[١] سورة النحل ، الآية : ١١٢

ضرورة الاكتفاء الذاتي

نحن بحاجة أمس إلى الاعتماد على أنفسنا ، والاكتفاء الذاتي في كل حاجاتنا ، ومطالبنا ، ومرافقنا ، وضروراتنا ، لا في الصناعة وحدها ، ولا في التربية والتعليم وحدهما ، ولا في التقنية والعلم فقط ، ولا في إعداد المعدات الحربية والأدوات والرياش ، ولا في البحث عن أسرار الكون والإنسان والحياة فحسب ، بل في كل صغير وكبير ، وفي كل جانب وناحية .

لقد أغنى الله أرضنا وترابنا بأنواع من الثروات المعدنية ، والمواد القيمة ، فنحن أغنياء والحمد لله بالنسبة إلى دول الأرض ، وعندنا المادة الأولى والأساسية التي نعتمد عليها في كل ما نريد تحقيقه من حاجاتنا ومطالبنا ، في المجالين المادي والمعنوي ، فيجب أن نستخدم هذه الطاقة في صالحنا بأيدينا ، ونفجرها في مصالحنا مباشرة من غير متوسط ولا مساهم ، ويمكن أن نسير أولاً على الخطط التالية :

١- فتح مجال واسع للتصنيع على أوسع نطاق ، والاكتفاء بما تصدره مصانعنا من الأدوات والأعراض من غير أن نحتاج في أي شيء إلى مصنوعات من الخارج .

٢- الاعتماد على دراسة العلوم الطبيعية والعزم

الصميم على التقدم التكنالوجي ولو بمساعدة الخبراء الفنيين الذين نستقدمهم من الدول المتقدمة الراقية.

٣- الاكتفاء الكامل في مجال التربية والتعليم من كل نوع مما يعود بنفع في حق الأمة وأجيالها القادمة ، ولا بأس في الاستعانة بأناس أكفاء من خارج البلاد، ولا سيما فيما يتصل بالتعليم العصري ، ولكن في اتزان واعتدال تامين .

٤- تأسيس المصانع لتصنيع الأسلحة من كل نوع ، من غير أن يبقى هناك أي افتقار إلى استيرادها من الدول الكبرى المعادية ، التي تصدر إلينا كل ما فقد قيمته ومضى وقته من الأسلحة التي لا شأن لها في عصر السباق و زمن السرعة ، وهي لا تستهدف من ذلك إلا استهلاك البضاعة وتفادي المصانع من خسارة الأرباح .

إنها مشاريع خطيرة وضخمة قد تبدو مستحيلة الإنجاز وعسيرة التحقيق في أول وهلة ، ولكنها ليست كذلك ، إذ ليس من المعقول أبداً أن تتمكن كل أمة قوية من تحقيق أعمال ضخمة ومشاريع عملاقة في كل مجال ، ولا نتمكن نحن ، ونحن أقوى أمة في عقيدتنا وإيماننا ، وأغنى أمة في ثرواتنا وذخائرنا ، وأكبر أمة في شغلنا أكبر جزء للكرة الأرضية ، وعندنا قوة الإيمان بالله ، وطاقة العقيدة الخالدة ، وعندنا تاريخ زاهر وماض مشرق وأسوة حسنة في رسولنا العظيم ، وفي آبائنا ورجالنا الذين مضوا.

وبإثبات كفائتنا في كل من المجال التصنيعي

والتكنيكي ، والعملي والتكنولوجي ، والحربي ، نستطيع أن نبرز كأقوى أمة على وجه الأرض ونقيم ثقل وزننا في الميزان الدولي ، ونتكفل بالسعادة والحرية والأمن ونتولى قيادة العالم بجميع من فيه من الأمم الصغيرة والكبيرة والشعوب الراقية والمتخلفة ، والدول الكبيرة والصغيرة .

وبذلك سنكون قد حققنا هذه الحاجة الكبرى ، حاجة الاكتفاء الذاتي ، والاستغناء عن الدول والشعوب الأخرى ، وذلك هو مفتاح النجاح الذي فقدناه ولم نعثر عليه حتى الآن !

ما أحوجنا إلى الصبر

يحتاج الإنسان في جميع مجالات الحياة ومراحلها إلى التمسك بأذيال الصبر ، بل الحقيقة أن الإنسان صورة للصبر، ولاتقوم دعائم حياته إلا على أساس الصبر ، ولولا الصبر لم تكن حياة ولا نشاط ، ولا عمل ولا سعي ولا جهود . ولذلك فإن الحياة الإنسانية التي تتطلع دائماً إلى المعالي أو تريد أن تنجز أي نوع من العمل أو تحرز أي شيء من النجاح ، وتحقق أي غاية من الغايات مهما كانت ، تحتاج إلى مقدار من الصبر ، وحتى إن المجرم عندما يفكر في جريمة ويخطط لظلم أو بغي أو ثورة ، فإنما يستعين بقوة صبره ويعتمد عليها في إنجاح مهمته ، إذ أنها هي العمدة التي ينال منها غذاء لنفسه ، ودافعاً لقلبه ، وبها وحدها يخوض في الأخطار ، ويتشجع على جني الثمار.

ولكن المسلم المخلص أحق بالصبر والتحلي به في كل مناسبة ولدى كل عمل ، لأنه لا يستطيع أن يقوم بواجبه خير قيام ، ولا يتمكن من أداء وظائفه إذا لم يجعل الصبر دليله ، ولم يتكئ عليه في غدواته وروحاته ، وقد أشاد الله سبحانه وتعالى بالتواصي بالصبر، وأمر بالمصابرة ، والاستعانة بالصبر،

ووعد بأنه مع الصابرين ، فقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ و﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ و ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ ،و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١] .

ونظراً إلى أهمية الصبر في الحياة جعل الصيام عبادة الصبر ورمضان شهر الصبر، وكلما كان الصبر أدخل في حياة المسلم وأمس بأعماله ، ونشاطاته ، ووظائفه ، وواجباته كان كفيلاً بالنجاح والسعادة ، وجالباً لصفة الورع والتقى ، وباعثاً على الاتصال بالله تعالى والتقرب إليه والحبّ له ، والبغض له ، ودافعاً إلى العبودية الخالصة ، والافتقار إلى عتبة كبريائه وعظمته ، وجلاله وسلطاته ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

والصيام فيه دوافع الصبر والتقى أكثر من غيره، الصائم المؤمن يصوم لله ، ويحرم على نفسه الشهوات والملذات في ساعات النهار، وهي الشهوات والملذات نفسها التي يحللها في ساعات الليل ، وفي كل وقت في غير رمضان ، لماذا يحرم الطعام والشراب ؟ لماذا يجعل الاقتراب إلى أهله حراماً ، بينما كان ذلك عبادة في غير أوقات الصيام ، وقد كان التمتع بنعم الله حلالاً طيباً يثاب عليه العبد إذا شكر الله وذكره في غير ساعات النهار في رمضان ، وفي جميع الأوقات في غير رمضان؟

---

[١] البقرة الآية: ١٥٣

ومن هنا تتبدى حكمة ما جاء في الحديث القدسي من أن الله عزوجل قال:"كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي ، وأنا أجزي به"[1] لأن الصائم المؤمن لم يلوث صيامه بشيء من الرياء ، ولم يخطر بباله أبداً ، وكان في وحدة ليس معه أنيس ولا جليس ، والماء البارد متوافر، والعطش بالغ إلى آخر المدى ، والنفس تواقة إليه ، أن يتناول من الماء ما يشفي غليله من غير أن يعلم بذلك أحد أو يطلع عليه غيره ، بل إنه يحرم ذلك الماء عليه ويخاف الله ويخشى بطشه وعذابه ، ويخالف النفس ويعصي الشيطان ، ويقول بلسان حاله ومقاله : إني أخاف الله رب العالمين" ولا يكتفي بكف شهوة الطعام والشراب واللذات المادية فحسب ، ولكنه يكف لسانه عن كل كلام يغاير كرامة المؤمن ويخرق حرمة الصيام ، فلا اغتياب ولا نميمة ، ولا كذب ، ولا فحش ، ولا سبّ ، ولا زجر، حتى ولا صخب ولا صوت ، بل صيامه أكرم من كل هذا ، إنه يتذكر بصفة دائمة أنه صائم فيشتغل بالذكر ، والتلاوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله في حكمة بالغة ، ويعيش في سرور وفرحة ونعمة وسعادة في الدنيا ، وفي الآخرة يدخل الجنة من باب الريان ، ويبعد وجهه عن النار سبعين خريفاً[2]

أليس هذا مما يرغب فيه الناس؟ثم أليس ذلك منة الله على عباده الصائمين التي يتنافس فيها المتنافسون ؟

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب فضل الصيام رقم الحديث: ١٦١- ١٦٣ ، والبخاري في كتاب الصوم، باب فضل الصوم رقم: ١٨٩٤ واللفظ لمسلم.

[2] والخريف مدة سير تستغرق سبعين عاماً

حاجتنا إلى عنصر الإخلاص لا إلى وسائل الدعاية

الدعاية سحر في النفوس ، فإنها تروج البضاعة في أقل وقت ، وتجبب السلع المرفوضة إلى الناس بأسهل طريق ، ولقد كانت الدعاية تعتمد قديماً على الأشياء المادية والسلع التجارية فقط ، ولكنها تطورت مع تطور الحياة ، ودخلت في جميع مرافقها حتى في الجوانب الشخصية الخاصة التي تعتبر بمثابة "السر" في الحياة ، وحتى أصبحت لها جولة وصولة في الشؤون المعنوية ، والأمور التعبدية التي تتصف بصفة الخفاء في أغلب الأحوال .

إن هذه الدعاية بفنونها وألوانها استلفتت الأنظار في كل قطاع ، وأثبتت حاجتها الأكيدة في المجتمعات الإنسانية بوجه عام ، فبينما كان لها وكلاء بالمستوى الفردي صارت لها شركات تقوم بالدعاية من كل نوع ، وحتى لا يستطيع أي عمل أو نشاط أن ينال رواجاً أو انتشاراً وذيوعاً في حدوده المعينة إلا عن طريق شركات الدعاية أو عملائها على أقل تقدير.

وتعود الناس أن يثقوا بكل شيء يصل إليهم بهذا

الطريق ، ويعجبوا به بالنسبة إلى ما ليس فيه تأثير للأسلوب الدعائي ، وإن كان كل ذلك أغلى وأمتن وأنفع من غيره ، والناس لم يكتفوا بهذه العملية في الحياة المادية بل إنهم جعلوا يقوِّمون كل عمل ديني بقيمة الدعاية كذلك ، فأسلوب العمل الذي ينال من اهتمام الإعلام وعناية النشر والإذاعة يعتبر ذا أهمية بالغة بإزاء العمل الذي لم يحظ بهذه الوسائل الإعلامية ولذلك يحرص كل شخص على وضع نتاجه ومكاسبه على أجهزة الإعلان ، والدعاية ، ويودّ لو أن ذلك وجد من الشعبية والقبول على أوسع نطاق ممكن ، فإذا تم ذلك له ظن أنه نجح في الهدف الذي توخاه من وراء عمله ، وتحققت غايته .

ولكي تزدهر الجهود التي يزعم أصحابها أنها جهود دينية خالصة تتطلع إلى الوسائل الدعائية ، ونريد أن نبثها إلى أقاصي العالم وأدانيه ، ويطلع عليها كل إنسان في كل مكان ، ويكيل لها من المدح والإعجاب كمية كبيرة ، وكلما تزايدت هذه النسبة تأكدت أهميتها وجدواها وتأثيرها ، كأنها قد حلت محل النية التي إذا أخلصت لله تعالى سببت قبول العمل عند الله تعالى .

وقد اتخذت الحركات الدينية والأعمال الإسلامية الخالصة لوناً دعائياً ويبدو أن القصد من خلال ذلك لا يكون إلا جلب اهتمام الناس ، أكثر من إرضاء الله تعالى ، والاستسلام له ، وإلا فما معنى الاعتماد على الجهات المعنية للإعلام والبث في الأعمال الدينية وما ذا يعنى الاعتناء

بالتظاهر بالعبادات والعادات الخاصة التي تتصل بالحياة الخاصة ولا ينبغي أن يطلع عليها أحد، وما ذا يعنى نشر أسماء المحسنين والمتبرعين، ولما ذا يجاهرون بالصدقات إذا وفقوا إليها، ولماذا يحتالون للحديث عن تلك السويعات من العبادة والمناجاة التي يقومون بها في جوف الليل؟؟!

إن حياتنا بجميع ما تتسم به من أعمال ونشاط وحركات وممارسات أصبحت تعتمد كلياً على التظاهر بأكثر من الواقع، بل على تهويل حجم الواقع، وطالما رأينا أناساً يتحدثون عن "حقائق" مزورة وأحداث كاذبة ولكنها تنال من الثقة واليقين ما يتضاءل أمامه كل صدق، وكل واقع، وكل حقيقة.

هل إن إفساح الطريق للوسائل الدعائية في الأعمال التي قيمتها في الإسرار والإخفاء يصلح للذين ينتمون إلى الدين الخالص، وللذين يحملون لواء الدعوة، ويتميزون عن غيرهم بصفات الدين والإخلاص والورع؟

يجب أن نعين حدود الدعاية ـ فيما إذا كان لا بد منها، لئلا نتجاوزها في أداء مسئولياتنا الدينية، وأن نجرد أعمالنا الدعوية عن مفاهيم البث والإعلان بقدر ما نستطيع، وأن لا نكون حريصين على الاعتماد على مثل هذه الوسائل المادية البحتة في العمل الديني الخالص، وبذلك يمكننا إدخال عنصر الإخلاص في الحياة فردية وجماعية، وما أحوجنا اليوم إلى عنصر الإخلاص في متابعة مسيرة الإيمان والعمل!.

علاجنا في العودة إلى الدين

منذ مدة غير قصيرة نتابع أخبار تصفيات جسدية ضد المسلمين ، وتتم بأساليب متعددة تتلخص في إقامة المجازر البشعة وحمامات من الدماء تقشعر منها الجلود ، بمجرد سماعها ، فما يوم بيروت وآسام بسر، وإن جروح الشهداء لا تزال تفوح بالمسك ، ولم ينس العالم قصة الحبشة والفلبين وأريتيريا والبلدان التي لقي فيها المسلمون مصارعهم تحت مظلات الخوف والإرهاب ، وومن الذي لا يعرف أن دماء المسلمين سالت رخيصة ، وأنهاراً على الثغور الإيرانية والعراقية في الحرب الطويلة التي استمرت بين البلدين ، والتي ذهب ضحيتها ما يقارب مليون نسمة ، حسب ما تقول التقارير الصادرة عن تقدير خسائر الحرب ، هذا عدا ما خسره البلدان في مجال المعدات الحربية ، والتجارات الواسعة ، والأموال الطائلة ، ومنذ مدة قليلة انفتحت جبهة جديدة لإراقة دماء المسلمين في تشاد .

هذا ما كان بالأمس ، وما يتمثل أمام العالم اليوم رخص دم الإنسان في أفغانستان والعراق ، وما يجري في البلدين العريقين في الإسلام من العبث بأرواح المسلمين وتدمير البلاد والعباد بكل وسيلة ممكنة ، لا يخفى على فرد من البشر .

إننا لا نعرف فترة من التاريخ شهدت أحداث إبادة المسلمين بمثل هذا الاتساع والشمول، وأساليب التدمير، والظلم، وبمثل هذه الاستمرارية التي أصبحت جزءاً من الحياة، وعملاً روتينياً بالنسبة إلى القاتلين والمقتولين، ولقد تكشف للناس أن المسلمين أنفسهم يساعدون الأعداء في قتلهم وتدميرهم، ويمهدون الطريق إلى إبادتهم العامة، التي يسجلها التاريخ الإنساني، ولا يكاد يتجاهلها أحد مهما أراد أن يتغافل ويسدل الستار على الواقع.

لماذا يواجه المسلمون في كل مكان أوضاعاً مضادة ويعيشون أحداثاً غير عادية، ولا يقف في طريق أعدائهم أي حاجز ولا يعوقهم عما يريدون أن يفرضوه على المسلمين من مشكلات ويحدثوه من قضايا معقلة، وما السبب فيما تعيشه المجتمعات المسلمة في كل بلد من أوضاع سيئة تضيق عليها الخناق، وتسد عليها طرق المعيشة، فضلاً عن أن تجد هذه المجتمعات الإسلامية حرية لممارسة أعمالها، وطريقاً لأداء وظيفتها التي نيطت بها من دعوة الناس إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

ما السبب فيما يحيط بالمسلمين من ذلة وخسف ونكران ونبذ، لماذا بلغوا من الرخص وعدم المبالاة إلى هذا الحضيض؟! ألم يكونوا أعز قوم، وأكرم أمة؟ ألم يخلقوا لقيادة الأمم وهداية الشعوب؟ ألم يبعثوا إلى الأمم الضالة ليحرروها من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ولكي يخرجوها من ضيق

الدنيا إلى سعتها ، بل وقد قاموا بدورهم هذا إلى ما شاء الله ، وما ظلوا متمسكين بحبل الله ، وقائمين برسالة الله ، وعاملين بشريعة السماء .

لذلك فإن ما يجتازه المسلمون من ظروف قاسية ليست إلا من صنيع أيديهم ، ليست لأنهم مهدوا الطريق لإحداثها ، ولأنهم انزاحوا عن مكانة القيادة فاحتلها غيرهم ، ولأنهم انسحبوا عن منصب الوصاية على العالم فشغله أعداؤهم ، وكما يشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[1].

إن عودة قليلة ـ ولا أقول عودة كاملة ـ تتكفل بخروج المسلمين عن حصار التطويق والتطويع والظلم ، وتمنحهم الضمان لإزالة أسباب الذل ورخص قيمتهم ، ولا مانع من أن يعودوا إلى الدين الكامل ، ويعضوا عليه بالنواجذ ، حتى يتم لهم العز ، وتتمكن لهم خلافة الله في الأرض ، ويضطر العالم التائه الذي يبحث عن ملجأ إلى الالتجاء إلى شريعة الله عزوجل ، ولكن بشرط أن يتذكر المسلمون منصبهم الذي أكرمهم الله به ، ويعودوا إلى ظلال الإسلام ، وينصروا الدين الذي أنزله الله تعالى إليهم كمنهج للحياة دائم .

فذلك هو الطريق الوحيد للعز والانتصار على الأوضاع المعاكسة .

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[آل عمران : ٨٥]

---

[1] محمد الآية ٣٨

لا بد من العودة إلى شريعة الله

كان الإنسان يعيش في طور بداوته حياة واقعية لا مساس لها بالتصنع ، فإذا كره شيئاً في ذلك الحين كانت كراهيته تنبع من صميم واقع الحياة ، دون أن يخالطها شيء من المداهنة أو الأخلاق الكاذبة ، أو ما يسمى بالمجاملة ، وكان يصارح بما يدور في خلده من أفكار وآراء ، وكذلك إذا أحب أحداً فلم يحبه إلا من أعماق القلب مع إخلاص المحبة له ، والتأكد من العوامل التي تدعو إلى ذلك الحب ، ثم الاقتناع به من غير محاباة أو مراعاة للمصالح والظروف .

ذلك أن الإنسان كان يساير طبيعته التي أودعها الله فيه ، وما كان يرضى بالحيد عنها قيد شعرة في أي مناسبة ولدى أي مطالبة ، وهنالك كان عمله كله بعيداً وحياته كلها بعيدة عن الزخارف ، والتزويرات مهما كانت نوعيتها ، فكان الإنسان يومئذ ذا عزيمة صادقة من غير أن يخالطها شيء من ملابسات النفس أو عوامل الزمان ، وذلك ما جعله يقوم بجلائل الأعمال وصنائع العزة والمجد مما لا ينساه التاريخ أبداً.

وحسبنا في ذلك مثال الإنسان الجاهلي ، وذلك العربي لقح الذي إذا عزم على أمر كان لا يثنيه عنه ترهيب ولا

ترغيب ، وإذا آمن بفكرة أوعقيلة لم يكن يستغني عنها في أي حال ، والذي آثر المشاق كلها والمتاعب بأنواعها على اللذة والراحة في سبيل عقيدته وإيمانه ، وإن كان على باطل ، لقد كان العربي الجاهلي يتميز بأخلاقه وعاداته وشجاعته وصبره على الأذى ، وكان يتمتع بأوصاف حسنة من القرى والإيثار، والعفة والصيانة ، ولولا ضلال عقيدته وشركه وأوضار الجاهلية التي كانت تلازمه لكان إنساناً مثالياً في مجالات كثيرة.

فلما جاء الإسلام وأقام زيغ الجاهليين ، وهداهم إلى الصراط المستقيم ، وأنقذهم من الشرك ، والكفر، والأوهام وعبادة الأصنام ، أصبحوا مناراً للهدى ، ومثالاً للإيمان والاستقامة ، ونموذجاً للتضحية بالأموال ، والأرواح في سبيل المبدأ ، وترخيص النفس والأولاد ، والأهل والذراري في سبيل إعلاء كلمة الله ، ودحض الباطل والشرك وعبادة غير الله ، ونشأ منهم رجال عظام سجلهم التاريخ بمآثرهم الخالدة الجليلة نشأ بتأثيرتربيتهم وتوجيهاتهم الإيمانية النيرة أجيال من البشر كانت على محجة بيضاء ، ليلها كنهارها .

إن أفراد هذه الأجيال ضربوا أروع أمثلة للعبودية والطاعة ، وللوفاء والولاء لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، تبددت بهم ظلمات الجهل والأنانية ، وزال بهم طغيان المادة والأغراض النفسانية ، وأصبح العالم كله أسرة واحدة متعاونة في العمل لله ، وفي الأمربالمعروف والنهي عن المنكر، وفي جميع مجالات الخير والبر ، والورع والإحسان ،

فازدهرت بفضل ذلك دوافع الحب في الله والبغض في الله ، وأصبحت حياة الإنسان تعني الأمن ، والاستقرار، والأمانة والعفاف ، والهدوء والسعادة بجميع ما في هذه الكلمات من معان ومفاهيم .

فإذا كان الإسلام قد استطاع أن يخرج الإنسان من تلك الدياجير الحالكة والظلم المتراكمة ، من الظلم والقسوة وعبادة النفس والشيطان ، والهوى والشهوات ، ويحوله إلى خلق من نور وحب وسلام ، فماله لا يقدر على منح الإنسان المعاصر ما يفتقر إليه من الحب والوئام ، والثقة والوحدة ، والقيم الخلقية التي تساعده في تعيين هدفه النبيل ، والسعي له بالعمل الصالح ، والجهد الخالص ، والنوايا الطيبة ، وترفعه إلى مخلوق متميز يثير العجب ، ويبعث على التفكير في قيمة الإنسان الأصيلة .

حاجة العالم ليست اليوم إلى بناء حضارات زائفة، ورفع مستوى المعيشة إلى حيث يستغني فيه الإنسان عن استعمال طاقاته الجسمانية ويعتمد على الآلة والعقول الإلكترونية فحسب ، ليست حاجته إلى تشييد مصانع الفانتوم من النوع الأخير، وتكديس ذخائرالأسلحة النووية ، ولا في إثارة الحروب بين الشعوب وإجراء التجارب السرية للمدمرات ، والمتفجرات المهلكة للحرث والنسل ، إنما حاجته الأولى إلى بناء الإنسان المثالي ، وإصلاح قلبه ، وإرشاد أفكاره ، وتوجيه عقله ، وتعيين هدفه الصحيح ، ووجهته المرضية التي

تتولى البحث عن سعادته المنشودة .

تمادى الإنسان المادي في غي أوهامه وأحلامه إلى آخر ما يمكن ، وليس له الآن إلا أن يعود إلى ربه ، ويلتجيء إلى شريعته ، ويستظل بظلال رحمته ، حتى يعيش في سعادة لا سعادة بعدها في هذه الدنيا ، وتكون آخرته خيراً من الأولى .

كما أكد بذلك الله سبحانه وتعالى فقال :

﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ الأُولَى ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [١]

[١] الضحى : ٤-٥

أول هدف في الإصلاح

لولا أن الملائكة يعرفون طبيعة الإنسان، وتطلعاته النفسية، نحو الفساد وسفك الدماء لما قالوا لربهم تبارك وتعالى يوم أعلن أمامهم أنه سيجعل الإنسان خليفة في الأرض:﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[١].

فلماذا صرف الله تعالى نظره عما كان من الملائكة من إنكار لهذا القرار، وإقرار بالتسبيح بحمده وتقديسه؟ لعل في ذلك سراً إلهياً لم يكن يُدركه الملائكة، ذاك أن الدنيا جعلها الله سبحانه داراً واسعة للإنسان، لكي يقوم بعمارتها بالأعمال والنشاطات الإنسانية، ويعرف قيمته فيها، ويطلع على دوره في بناء مجتمع إنساني صالح يعيش على الطاعة والإيمان، ويكون ذا اتصال مخلص قوي بربه تعالى الذي خلق السماوات والأرض، وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش.

إذا تدبرنا في هذا النظام الرباني مع الإنسان تبين لنا أن الدنيا ليست إلا دار امتحان واختبار، يُختبر فيها الإنسان

---

[١] البقرة الآية: ٣٠

بما إذا عرف مسئوليته ووظيفته ، وقام بأدائهما في ضوء التوجيهات التي جاء بها الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فلم تكن بعثة هؤلاء المصطفين من عباده الأخيار إلا لهداية النوع البشري إلى الطريق المستقيم الذي يتولى البلوغ به إلى ساحة العلم والإيمان ، والطاعة ، فمن الناس من خضع لأمر الله تعالى ولتعاليم الأنبياء عليهم السلام ، وسلك مسلكاً واضحاً طبيعياً ، فهو على نور من ربه، وهو الإنسان المطلوب من خلال الدعوة التي تولاها الأخيار الصالحون من عباده الذين بذلوا مجهوداتهم في مجال الإصلاح وبناء المجتمع ، وتكوين مجموعة إنسانية صالحة تكون مثالا للآخرين ، شأن كل نبي في عصره وقومه .

وفي الأخير بعث خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم فكان سراجاً منيراً في غياهب الظلمات ، ودياجير الجهل والكفر، جاء برسالة الإسلام ، ومنهج الشريعة الإسلامية للحياة ، ولكنه رأى أن طبيعة الوثنية والشرك،قد رسخت في الناس أفرادا وجماعات ، وأنهم يرفضون كل دعوة تحارب الشرك وعبادة الأوثان ، وتدعو إلى عبادة الله وحده ، والخضوع لعقيدة التوحيد ، ويثورون ضدها ، فتلا علهيم آيات الله ، ومازال يعمل فيهم بلطف وحكمة ، وبلين وبطء ، ويتقرب إلى نفوسهم بتلاوة كلام الله المعجز ، الذي لم يكونوا قد سمعوا كلاما أبلغ منه ، وهم بلغاء العرب الذين لا يقرون بكلام ، ولا كانوا يقيمون له وزنا ، فكان من أقوى عوامل التأثير في

نفوسهم .

وكان الجو ملائماً بعد الهجرة للاهتداء إلى دين الله الأخير، وهنالك أقبل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على عمل تغيير الطبائع ، ونقلها من عبادة الأصنام إلى عبادة الله بالتزكية والتعليم ، وبالتربية الحكيمة الدقيقة ، حتى تم إنشاء بيئة صالحة ، وتحولت إلى مجتمع إسلامي أفضل .

فإذا رتبنا أمور الدعوة على هذا النهج ، واتبعنا الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وبدأنا باللقاء والكلام والملاطفة ، ثم حاولنا تغيير الطبيعة الفاسدة ، وإصلاح النفس بأساليب مناسبة ، ريثما ينشأ جو يلائم الاستمرارية في العمل الدعوي ، وبالتالي يساعد في تكوين مجتمع إسلامي صالح ، يكون نواة لدولة إسلامية يزدهر فيها الإيمان والطاعة ، وتكون مثالاً نادراً لحضارة الإسلام الكاملة .

أما إذا استهدفنا النظام الذي يألفه الناس ويعيشونه وجعلناه أول هدف في الإصلاح ، فسوف نخسر بذلك فرصة الدعوة ، ولا نجني منه إلا ثماراً مرة .

عودي إلى القيادة!

الأمة الإسلامية مثلت دور الوسطية في كل عصر ومصر، وتميزت بالتوازن والاعتدال في جميع الشؤون اليومية والحيوية ، فمن قيادة العالم إلى رعاية الأسرة اتسمت بهذه الميزة ، ونالت وسام الشهادة بمنجزاتها الواسعة في مجال العلم والإيمان ، والعقيدة ، والسلوك ، الواقع الذي يزخر به التاريخ الإسلامي ، إن خلعة الشهادة التي خلعها الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة مفخرة عظيمة من مفاخرالنوع البشري ، وهي تعني تركيز القوى ، وتجنيد جميع الطاقات ، والوسائل كلها في طريق الدعوة إلى الله ، وترسيخ دعائم التوحيد والرسالة في الحياة ، وتعميق جذور الإسلام الشامل الكامل إلى أعماق النفوس ، ذلك الإسلام الذي يقوم على أساس شهادة الحق ، ويرتفع صرحه العظيم على قاعدة أركانها الخمسة العملاقة الخالدة التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله :"بني الإسلام على خمس: شهاة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان"[1].

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، رقم ٨، ومسلم كتاب الإيمان، رقم: ١١٣

إذا تأملنا في هذه الشهادة التي صرح بها الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أدركنا حقيقة الحياة الإسلامية التي تتلخص في توحيد الله تبارك وتعالى بجميع أنواع التوحيد، والإيمان برسالة النبي الحبيب محمد صلى لله عليه وسلم الذي كان رسولاً مبعوثاً من الله تعالى كخاتم النبيين: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1]، ولذلك فإن الأمة الوسط مسئولة عن أداء واجب الشهادة على أن الحياة الناجحة المطمئنة السعيدة لا تتحقق في أي مجال فردي أو جماعي إلا بما إذا كانت الأمة قائمة بواجب الشهادة، وكان الناس متبعين إياها في كل شيء، كما أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يكون شهيداً على الأمة في أداء مسئولية الشهادة التي ألقيت عليها، والأمانة التي نيطت بها، وذلك بتعليمها أسس الشهادة، وقواعد الأمانة، وتربيتها على طرق أدائها بمناهجها وأنماطها، وأساليبها، وآدابها.

فقد قال الله تعالى وهو يتحدث عن هذه الأمانة وثقلها وتبعتها: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى

---

[1] الأحزاب: الآية: ٤٠

المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾[1]

ومن ثم يكون عمل أداء الشهادة والأمانة عملاً متقناً لا تغيره العوامل، ولا تؤثر فيه الظروف، ولا يحول دونه عوائق زمانية أو مكانية، وقد أمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ رسالته إلى الناس من غير انتظار أو تأخير: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾[2] فظل عليه الصلاة والسلام قائما بذلك، حتى أتم الله تعالى حجته على الناس، وآذن بكمال الدين.

وأعلن مدوياً مجلجلاً: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[3].

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

[1] الأحزاب الآية: ٧١-٧٣
[2] المائدة الآية: ٦٧
[3] المائدة الآية: ٣

هنا الطريق

من واقعية هذا الدين أنه لا يتأثر بأي شيء من تطورات العصر الراهنة وظروف الإنسان المتجددة ، والأحوال الاجتماعية المستحدثة ، وإنما يمثل الصمود والثبات كالصخور الصلبة ، بل الجبال الراسيات ، التي لا تؤثر فيها العواصف الهوجاء ، والأعاصير العاتية والأمطار الديم ، ولا أدل على خلود رسالته السماوية من هذه الطبيعة الثابتة التي يقوم عليها بكل قوة وإلحاح ، وبالعكس عن الديانات والنظرات الفلسفية التي تتغير مع تغير العادات والتقاليد وتدور مع الزمان حيثما يدور.

ولقد أعلن ذلك كتاب الله تعالى مدوياً ومجلجلاً، وأكد للناس أنه فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فكما أن الفطرة لا تعرف التغير والتطور والحدوث والتقلب كذلك دين الله لا يعرف لعوارض الزمان ، وطوارئ الحدثان معنى ، ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[١] .

من هنا دخلت الأفكار المريضة والآراء التافهة حول

---

[١] الروم الآية : ٣٠

هذا الدين في رؤس الناس ممن لا يعلمون هذه الحقيقة، فيرفضون أن يكون هناك منهج من الحياة شامل ينطبق على كل عصر وجيل ويتفوق المناهج الموجودة الوضعية كلها، ويتسم بطابع الخلود والاستمرارية والقيادة العامة للإنسان في جميع شؤون الحياة، ومن ثم فقد استهوتهم النظرات الجديدة البراقة وخاصة ما يتعلق بترفيه الحياة ورفع مستوى المعاش، ذلك كالشيوعية التي كانت تنادي بالمساواة بين جميع الطبقات، وتوحيد مستوى الحياة بحيث لا يبقى هناك فرق بين عامل باليد وموظف في الدوائر وتاجر في السوق وحاكم في الديوان الحكومي، ولقد جرب الناس بلهفة بالغة هذه النظرية المدوية فإذا بها نظرة جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع.

وفشلت المحاولات التي بذلت في سبيل دعم هذه النظرية المادية الزائفة التي لا تتفق وطبيعة الإنسان في شيء، وقد شهد الناس أن المركز الذي تولدت فيه هذه الشيوعية واجه الآن من الهزيمة والمشكلات الاقتصادية، ما لا حد له ولا نهاية، وحتى استولى عليه الجوع والفقر والقلق والخوف، مما هدده بمصير مشئوم، كان وصمة عار على جبين التاريخ.

وكذلك النظرات المادية ذات التهافت على اللذات السريعة الذوبان، فإنها لم تنجح في ترفيه الإنسان وإعطائه ما يروح به نفسه من عناء الحياة، وإنما زادته قلقا وشقاء، وقربته إلى أسوأ مصير وهو النار والدمار، ذلك الذي يعتبر سمة المجتمع المادي اليوم، الذي لا يستطيع أن يعيش فيه الإنسان

بهدوء أو طمأنينة ، بل يعيش كأنه على فوهة بركان لا يدري متى سيتفجر ويشمل ما حوله بتدمير واسع .

ويبدوأن الإنسان المتحضرالذي أجرى تجارب واسعة في الطرق والأساليب والنظرات التي تدعي بناء الحياة وترفيهها ، ونقل المجتمع البشري من تخلف وشقاء وظلام إلى سعادة ولذة ، ورفاهية ونور ، لم يعد من هذه التجارب إلا صفر اليدين ، وانهارت الدعاوي كلها فكانت هباءا منثورا ﴿أوكسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا﴾[1].

وكل تجربة أجراها الإنسان الجديد أو يجريها في مجال الحياة سوف تؤديه إلى يأس مرير ، وإخفاق قاتل ، وما ذلك إلا بتقدير من الله العزيز العليم الحكيم الذي أنزل للإنسان شريعة عادلة خالدة ومنهجا للحياة واضحا ، وطريقا للسعادة بينا ، ألا هو منهج الإسلام الذي ليس له نهاية إلا مع نهاية الإنسان ، وهو صراط الله المستقيم ، الذي أعلن عنه في كتابه فقال ﴿ وَأنَّ هَـذَا صِراطِـي مُسْتَقِيماً فاتَبِعُوهُ ولا تتبَعُوا السُّبُلَ فتفَرَقَ بِكُم عَنْ سبُيله ، ذلكم وَصَاكم به لعَلَكم تتقون﴾[2] .

[1] النور الآية : ٣٩
[2] الأنعام الآية : ١٥٣

ترشيد
الشباب المسلم

دونكم شبابكم وأبناءكم أيها المسلمون !

عملية تخدير الشباب ـ وبالأخص الشباب المسلم ـ مستمرة بجميع وسائلها الهدامة وقنابلها المدمرة ، فتارة بالحبوب والمواد المخدرة ، وأخرى بالبرامج الإعلامية التي تتزايد فاعليتها وتأثيرها مرات كثيرة من الحبوب والأدوية ، ولذلك يركز أعداء الشباب على وضع مخططات سرية تجذب الشباب بصورة مثيرة وتشغلهم عن جميع مسئولياتهم وأعمالهم الدراسية والوظيفية ، ومن خلال هذه العملية تنطلق موجات من الفساد والانحرافات الخلقية والنفسية نحوعقول الشباب التي طالما تكون فجة وكمواد خامة ، فإذا بهم يجهلون قيمتهم ويظنون أنهم لم يُخلقوا إلا لكي يملأوا العالم شغباً وفوضى ، وانهياراً خلقياً وفساداً من كل نوع .

الشباب أمانة كبيرة في أعناق الآباء والأمهات والمربين والأساتذة ، وكبار المسئولين والموجهين نحو التعليم والتربية ، فإذا أغفلوا في أداء هذه الأمانة بكل دقة وبراعة فائقة لجنوا جناية كبيرة على الناشئة الأحداث الذين هم في دورهم لا يعرفون إلا ما يشاهدون ، ولا يصطبغون إلا بالصبغة التي يجدونها جاهزة أمامهم ، وما هي إلا صبغة الفساد والانحراف

والدمار، صبغة شياطين الإنس والجن التي وعـدت بـالإغواء والإغراء ، وهددت بالقضاء على سلوكيات المسلم وتوجيهه إلى نار جهنم ، ذلك أن مكايدها لا تنجح ما دام المسلم على طريقه الطبيعي ، وسار على درب الإيمان والأخلاق .

تركز المعسكرات العالمية الكبرى على هذه النقطة في المجتمعات البشرية ، وتوفر جميع الوسائل الممكنة لهدم معنوية الشباب المسلم والجيل النـاهض ، والنشء النـابت ، لأنـها ترى هذه العملية التخديرية أسهل مرام وأوجز طريق لصد الصحوة الإسلامية التي تغزو البيوت والمجتمعات ، وتستهدف القلـوب والأفكـار، وتفتـح النفـوس لتعـاليم الإسـلام ، وتنفيذها في شـؤون الحيـاة ، وقـد جربـوا أن الصحـوة هـذه غيرت مجرى حياة كثير ممن كانوا قد يئسوا من العيش في ظل الحضارات المادية ، وسئموا من العادات الرتيبة والروتينيات الجافة التي لا تغني عن سعادة الحياة وهدوء القلب شيئاً .

قـد حـاولوا في أول وهلـة أن يحـاربوا الصحـوة الإسلامية بفرض الأنظمة والأفكار والبرامج الهدامـة بأسماء ولافتات لماعة جذابة ، وحاولوا كذلك أن يحاربوهـا بالتـهديد والوعيد أحياناً ، ولكـن جـهات الرفـض والأنانيـة في هـذه المعسكرات العالمية والدول الماديـة الكـبرى فشـلت في منـع القائمين بها عن متابعة جهودهم ، وأخفقت في فرض الحظر عليهم وقطع دابـر الذيـن أسـلموا ودخلـوا حظيرة الإيمـان والعقيدة ، إن هذه المحاولات والجهود كلها باءت بالفشـل ولم

تأت بثمارها المرجوة ، فاتجهوا إلى سلاح التخدير والتغيير، وجاءوا به بألوان جذابة وأشكال خلابة ، وقدموه إلى الجيل المسلم الناهض ووضعوه على أيدي الشباب كهدية جميلة تلهيهم عن الغاية ، وتصرفهم عن الهدف المرسوم ، دون أن يشعربه الشباب ويعرفوا قصدهم بذلك .

جاؤوا بالبرامج الإعلامية والمناهج التعليمية التي تغذي أفكار أبناء المسلمين بغذاء مسموم يؤثر في بطء ، ويحبب إليهم الفساد والرذائل ، ويهدم الخلق الإسلامي ، ويزعزع عقيدتهم ، ثم يجردهم عنها بتاتاً ، لقد كانت هذه التجربة مشجعة لهم فأدخلوها في صميم برامجهم ، وجعلوها من أكبر غاياتهم .

يواجه المسلمون اليوم في شبابهم وأولادهم هذه النكبة ، ويرون أن الدول المادية القوية تساعد في نشرهذه المخدرات في مجتمعات المسلمين وتحويل أبنائهم إلى أمة مجردة عن العقيلة وبعيلة عن الهدف ، وواقعة فريسة الانحراف والزيغ في الأفكار والعقائد الإيمانية ، إلى أمة لا تنظر إلى الإسلام إلا كدين ولّى دوره وطوي بساطه .

من ثم تتجه المسئولية إلى القادة والزعماء والعلماء والدعاة لكي يقدموا بكل ما لديهم من وسائل وإعدادات لإنقاذ الشباب والجيل المسلم عن هذه الهوة السحيقة التي إذا وقع فيها فلن تبقى له باقية ، ولن تقوم له قائمة .

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[١].

وهناك تصميم دقيق لإخراج هيبة الدين من قلوب النشء المسلم بأساليب مختلفة كذلك، ومن بينها تسهيل الرحلات إلى الخارج، وخاصة إلى بلاد الغرب، حيث توجد جميعات تستقبل الوافدين من الشباب المسلم، وتهيئ لهم الإقامة في الفنادق الكبرى والفلات الخاصة بجميع ما يتوافر فيها من أدوات الرفاهية وأسباب الراحة والمغريات والخدمات السريعة، مما يصرف الشباب عن التفكير الجدي في الأمور التي تهمه في سبيل بناء المستقبل المشرق اللامع، ويلهيه عن التمييز بين الضار والنافع، وهو يتهافت على كل شيء جديد يقدم له، وعلى كل برنامج يوضع لهدم معنويته، وتحبيب الرذائل إلى نفسه، فإذا به يحيد عن الطريق ويقع في شباك الإغراءات الجنسية والشهوانية، ولا يتمالك نفسه.

وهم يرصدون لتحقيق هذا الغرض الخسيس ميزانية هائلة ينفقونها بسخاء سواء باسم المنح التعليمية في الجامعات الغربية، أو الرحلات العلمية والتبادل الثقافي، أو الحصول على المعلومات والتجارب في مختلف مجالات الحياة، ويشغلونه بكل ما يسيء إلى دينه وخلقه وأمانته وعفته، ويصرفه عن هدف الحياة الأصيل، وبناء المستقبل النبيل، وقد يعتمدون على نشاطات من الفنون والآداب ويجعلونها

---

[١] سورةالتحريم الآية: ٦

أسهل ذريعة لتخدير العقول وشحنها بالأفكار الهدامة .

أما الأطفال والمراهقون الذين يقعون فريسة الأفلام السيئة والبرامج الترفيهية التي طالما يضعها المتكسبون المغرضون من المشعوذين والهازلين الساخرين ، فبلاؤهم أشد وأدهى ، وهم الذين يشكلون مصيبة لأولياء الأمور، ويثيرون فيهم دوافع الألم والكراهية ضدهم ، فيعانون من أجل ذلك ألواناً من العذاب النفسي ، ويتجرعون كأس الذل والإهانة والشدة والضراء ، نتيجة للغواية والضياع الذي يعيشه أولادهم وأبناؤهم ، ونتيجة للعادات السيئة والطبائع الإجرامية التي لا يكادون ينفكون عنها رغم كل تدبير وعلاج ، وما هي إلا مدة يسيرة إذ يقودون كل جريمة بشعة ولؤم وخسة وإثم وانحراف وضياع ، ويهيمون على وجوههم في الطرقات والشوارع ، فيشير الناس إليهم بالبنان ، ويوجهون إليهم اللعنة والشتيمة ، ويلصقون بهم التهم حيث لا يجدون عنها مهرباً .

وقد شحن الغرب ثغورنا بألوان كثيرة من أدوات اللهو والمجون ، ومعاول الهدم والتخريب ، وقام بتهريبها إلى بيوتنا ومخادعنا خبراء الفحش والدعارة وتجار الأعراض والحرمات ، وباعة الهوى والجنس ولم يدعوا طريقاً إلا استخدموه لترويج بضاعتهم الرخيصة ، وافتراس أولادنا وشبابنا وبراعم أسرنا ، في مصايد الانحراف والغواية والانطلاق والتية والانحلال ، وقد رأينا أن الآباء والأمهات

وأولياء الأمور لا يتنبهون ـ في معظم الأحـوال ـ إلى خطـورة الأوضـاع الـتي يعيشـها أبنـاؤهم وأفـلاذ أكبـادهم في مخـادع بيوتهم ومحافل أصدقائهم ومجالس زملائهم خـارج البيـوت ، وطالما يكون ذلك نظراً إلى انشغالهم بالمسـئوليات الـتي تقـع على عواتقهم ، وهـم لا يـدرون مـاذا يجـري حـول أولادهـم وبناتهم من ظروف خلقية مضادة ، وفيم يعيشون مـن أفكـار زائغة ، واهتمامات فاسدة ، ونشاطات هابطة .

ليست المسئولية في ذلك التيه والحرمان على الهدامين والمفسـدين ، وعلـى الذيـن يتولـون توفـير وسـائل الهـدم وأسباب الشقاء لشابنا وأطفالنا فحسب ، بل إنها تقع علينـا كذلك نحن الموجهين والمربين ، الذين يطلعون علـى مواضـع الداء والفساد ولكنهم لا يهتمون بإنقـاذ جيلـهم منـها ، ولا يركزون مجهوداتهم علـى إزالتـها وتوعيـة الشـباب بـالوعي الديني الذي يبعث فيهم الشعور بأهميتهم وبقيمة دورهـم في بناء الحياة والمستقبل والإنسان .

ونحن إذ نتحدث عن هذا الخطر الداهم الـذي يحلـق على رؤسنا ، يجب أن نبدأ العمـل ، وننشـط لأداء الواجـب ونمسح عنا غبار الغفلة والإهمال ، فإن الخطرعظيـم ولايـزال في تفاقم ، وإن أقل إهمال منا يسبب خسارة أجيال ، وضيـاع عقيلة وإيمان في بيوتنا وأسرنا ومجتمعاتنا ، فإن وسـائل الهـدم والإذابة لفي تنوع وزيادة مستمرة ، وإن أصحابها يتفننـون في عرضها بأشكال مثيرة وألوان جذابة على أمة المستقبل وقـادة

الأجيال القادمة ، ورجال الغد القريب .

إن عدونا في تيقظ كامل باحث عن أحدث أساليب الهدم والتخريب ، وهو يتعب في سبيل ذلك ولا يبخل بأي ثمن يكلفه لتحقيق آماله وأحلامه ، إنه مُجد ونحن متكاسلون ، إنه مُسرع ونحن في غفلة ساهون ، إنه يضحي بكل رخيص وغال في إنجاز مشروعه ونحن لا نرضى ببذل أرخص ما عندنا وإنفاق أقل شيء من مالنا .

فكيف نستطيع إذن أن نكف هذا السيل الجارف ، وكيف نتغلب على هذا الوضع الشائن الفاسد ؟؟

إننا مسئولون عن بذل اهتمامات كبيرة نحو هذه المشكلة الكبرى ووضع مشروع جدي عملي لإنقاذ جيلنا الحديث من هذا الشقاء الذي لا نهاية له .

لماذا ينحرف الشباب، وكيف نوجههم ؟

من المسئول عن تربية الشباب في هذا الجيل المعاصر؟
نرى أنه يتيه في ظلمات الحياة ، ويتردى في مهالك الجرائم ، ويتهاوى في المهاوي السحيقة من الرذائل والشهوات ، إنه يتمادى في الغفلة ، ولا يدري ما قيمة أوقاته ، ما غاية حياته ، وإلام يصير، وماذا يلاقي ، ومن ذا الذي يشفع له عند ربه ؟

إذا ناقشنا موضوع الشباب وحيرته اليوم لتوصلنا إلى أن الإهمال في التربية هو السبب في هذا الفساد ، وأدركنا أن الخطأ ليس إلا للذين تعود عليهم مسئولية التعهد به ، والاعتناء بتربيته ، فقد كان الأطفال يتربون في مدارس البيت وفي محاضن الأمهات اللاتي كن يسهرن على تربيتهم ، وإلقاء كل معنى جميل في روعهم ، وكانت البيوت نزيهة من كل انحراف وفساد وسوءة ، وبعيدة عن كل اتجاه مضاد ، وكانت تعرف بميزة عائلية شريفة ، وتقاليد بر وخير ومعروف ، فكان الأطفال يترعرعون فيها سائرين على الخط السليم المستقيم ، يتعلمون آداب الحياة ويلتزمون بخلال الكرم والدين والمروءة والأخلاق ، ويشبون عليها في رعاية

وحماية وإشراف .

كانت مدارس البيوت هذه محروسة من قبل الآباء والأمهات ، ممن كانوا لا يسمحون بدخول أفراد مجهولين من الرجال والنساء في هذه المدارس الداخلية ، وكان ممنوعاً أن يدخل فيها أي كتاب أو مادة يعكس أثرها السيئ على الأطفال ، وما كان فيها يوم ذاك من وسائل الإعلام شيء ، فلا جرائد ومجلات ، ولا البرامج الترفيهية ، ولا الأخبار والأحاديث ، ولا تلفزيون ، ولا فيديو ، وإنما كانت قلوب الأطفال كلوح صاف ، لا يسطرعليه إلا آيات الصدق والجد ، والحب والوفاء والأخلاق ، والولاء للآباء والأمهات ، والخضوع والطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان الطفل يتخرج من هذه المدرسة نزيها بريئاً ليس عليه مسّ من المظاهر السيئة ، والأهواء والعادات الكاذبة ، ولا عليه أثر من الظواهر الحضارية المضادة .

ولما جاءت الحضارة المادية بخيلها ورجلها وهجمت بيوت الأطفال ومدارس الآباء والأمهات بوسائلها الزاحفة ، وأسبابها الجارفة ، وسيولها العارمة من المغريات والمفاتن المادية الخالصة ، تغيرت طبائع الأطفال ، ووقعوا فريسة الحيرة والضلال ، وحادت بهم طرق التربية الأصيلة إلى جهات ودروب غير مرضية ، مما جعلهم يتطلعون إلى الملاهي والمشاغل التي لا تجديهم نفعاً ، وبقي أولياؤهم يبحثون لهم عن ملاجئ وبدائل حضارية ، ولكن دون جدوى .

إن وسائل الحضارة الحديثة وأسبابها أخذت بالحياة والمجتمع ، بحيث أصبح من الصعب جداً إنقاذهما منها ، ولم يتضرر بها طبقات المجتمع الأخرى كما تضررت بها طبقة الشباب ووقعت في شبكتها ، ذاك أن هذا العنصر المتحمس في الأمة والمندفع إلى كل إغراءة من غير هوادة لا يتمتع بالتفكير الهادئ ولا يعي الأسلوب الهادف ، فتنحرف به الطرق إلى حيث لا مناعة فيه ولا صيانة ، وتنزلق فيه الأقدام وتتوارى فيه الدوافع الإيمانية ، ولا يبقى هناك ما يمنع الإنسان عن الانسياق إلى الشهوات والنزوات ، وعندئذ يقع ما لا تحمد عقباه .

بمثل هذه الأساليب يضل الطريق شبابنا ويحيدون عن الطريق الذي يؤديهم إلى السعادة والهناء ، فكم من الشباب قد ضاعوا وأظلم مستقبلهم ، وكم منهم من افترستهم الأهواء والنزوات ودفعتهم إلى المهالك ، وكم منهم من اختار طريق الجرائم والعنف والإرهاب ، ولم يتبين أنه على شفا حفرة من الدمار والهلاك ، لقد وجد أن طريق العودة كان قد انسد ، وانه قد كتب له التيه والحيرة ، ولم يعد هناك أمل في النجاة .

إن الذين أكرمهم الله بالفهم السليم وفوض إليهم أمانة التربية والإصلاح ، لجديرون بأن يهتموا بشباب الأمة ويصونوا مستقبلهم من الضياع ، ويمثلوا لهم حياة الشباب المؤمن الذي قام بدوره الإيجابي البناء في بناء الحياة الإسلامية

والسيرة الإنسانية المثلى ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَـهًا ، لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[1] .

إن التربية المخلصة وتنشئة الشباب على خلال الإيمان والعمل والحب والفتوة تفتح لهم الطريق إلى القيادة العالمية ، وتجعلهم مثالاً رائعاً لشباب الأمة الآخرين ، ممن ضل بهم الطريق ، وخانتهم التربية الصحيحة السليمة .

إن على الدعاة والمربين أن يأخذوا شبابهم بالتربية الحكيمة ويربوهم على خلال الإيمان والعلم والدين والمروءة ، ويهيئوا لهم كل ما يحتاجون إليه من برامج ترفيهية وأساليب رياضية في حدود ما يسمح به الإسلام ، وتقر به الشريعة : ﴿والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ .

[1] سورة الكهف الآية :١٣- ١٤

الشباب والعمل الإسلامي!

اتسع اليوم نطاق العمل الإسلامي من خلال الأنشطة التربوية والتوجيهية ، وعبر التدوين والتأليف ، والخطابة والكتابة ، والندوات والمؤتمرات ، ووسائل الإعلام ، وأجهزته المتعددة ، والعلوم والحضارات الحديثة ، وقد اعتمد دعاة الإسلام على جميع الوسائل المتيسرة في مجال البلاغ والتوجيه ، ولا سيما في الغرب المتحضر الذي اتخم بالفلسفات والحضارات والإبداعات والصناعات ، وسئم أهله من الحياة الرتيبة التي يعيشونها والعمل الروتيني الذي يمارسونه في مكاتبهم ومصانعهم ، ومتاجرهم ، ومراكز ثقافتهم ، وهم يتطلعون إلى نهج جديد يزودهم بالطمأنينة والأمن والهدوء ، ويبعدهم عن صخب الحياة ، وضجيج الماكينات ، والإكباب على شاشة الكمبيوتر، والخضوع أمام العقول الإلكترونية ، ويفسح لهم المجال في الاهتمام بالحقوق التي تعود عليهم وهم مسئولون عن أدائها نحوأهلها ، وفعلاً عثروا على ذلك النهج المتزن للحياة ، الذي كانوا باحثين عنه ، وذلك هو النهج الطبيعي الذي وضعه الله سبحانه للخلق ، وأودع فيه جميع متطلبات الفطرة ، ووجه إليه

الإنسان ، وهو الدين القيم .

لقد شهد التاريخ المعاصر هذا التوجه إلى الإسلام في مراكز الحضارات المادية ، وموجة الاهتداء إلى حضارة الإسلام في الشرق والغرب على السواء ، ولا شك فيما إذا كان ذلك من معجزات الإسلام ، ودليلاً على خلود رسالته وكمال عبقريته وجمال نظامه ، كما كان برهاناً على فشل الفلسفات المادية ، والأنظمة الوضعية ، والنظريات المحدودة ، والعقول القاصرة ، فإذا ذهبنا نعدد المجتمعات البشرية التي لم تجد لها ملجأ إلا في المنهج الإسلامي ، ولم تدرك ضالتها إلا في دين الفطرة ، فسوف لا نقدر على ذلك ، ونعجز عن وصفها ، وليس واقع انهيار الاتحاد السوفيتي حامل لواء الشيوعية بسر، وما أمر الأفواج التي تدخل في دين الله في القارات العالمية كلها بحقيقة غامضة ، إنما هي أشهر من أن تعرف .

وسوف لا يكون من الإنصاف في شيء إذا لم نعترف بدور الشباب في هذا المجال ، دور الشباب من الدعاة الذين مثلوا قدوة صالحة ، ومثالاً عملياً في استلفات أنظار الناس في البلدان والمجتمعات المادية إلى الدين ، فإن صمود هؤلاء الشباب المسلم في وجه الإغراءات العاتية من كل نوع ، وسموهم الخلقي ، والنزاهة في القول والعمل ، منح الثقة - للمجموعات البشرية المتطلعة إلى الملجأ الحقيقي - بالإسلام ورسالته ، وأعاد إلى نفوس أصحابها اليقين بأن الإسلام هو العلاج الوحيد لجميع ما يعانونه من قلق وشقاء ، وعناء في

النظام المادي ، والحضارة الجوفاء التي يعيشونها ويشقون بها .

لقد كان هؤلاء الشباب المثل العليا في بلاد الغرب المادي ، إنهم مثلوا دور الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم الله هدى ، وربط على قلوبهم ، فجذبوا الناس إلى الإسلام كالمغناطيس ، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾[1] ، ولم يخل زمن من الأزمان من أمثال هؤلاء الفتية ، أولئك هم جوهرة الإيمان والأخلاق ، وقدوة المؤمنين في كل مكان ، وبهم ينال العمل الإسلامي قوة ومدداً ويزول ما لصق به من سوء ظن وتهم وأباطيل ، هم الذين يقومون بتعريف الإسلام إلى المجتمعات الإنسانية ، وتقديم نماذج عملية للحياة الإسلامية في جميع الأوساط والقطاعات .

فليكن شبابنا على جانب عظيم من الإخلاص في القول والعمل والسلوك ، وتطبيق الخلق الكريم على الحياة ، فردية وجماعية ، وتمثيل الحضارة الإسلامية في جميع الأعمال والأحوال ، وفي كل الأمكنة والأزمان ، فإن أقل ضعف يتمثل في سلوكهم وأخلاقهم يسبب أضراراً بالغة ، وخسارة فادحة في ساحة العمل الإسلامي ، فلنحذر من كل غلوأو تطرف أو سوء تمثيل لحياة المسلم ، ومن أن نكون ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

---

[1] سورة الكهف الآية : ١٣-١٤

إن شبابنا المسلم اليوم لا يجهل حقائق العلم والمعرفة والعقيدة والسلوك ، إنه يعرف كل المعرفة أن حياة الإنسان متحركة ، حافلة بالنشاط ، وصالحة للتطور في كل زمان ومكان ، فلا بد أن يعتمد الإنسان على منهج حي لا يفقد قيمته ونشاطه في أي حال ، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى ذلك المنهج القويم للحياة بالحق والعدل ، وسماه الإسلام:﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ وأعلن أن ذلك هو الطريق السوي للإنسان ، لا يفوته القصد والاتزان ، ولا الشمول والخلود ، فما دام المرء سائراً فيه ، ومتمسكاً بآدابه وتعاليمه ، فهو على نور من ربه ، وهداية من رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولن يصيبه الخور والاضمحلال ، ولا الذل والعار إلا إذا حاد عن ذلك الطريق ، وسلك مسلكاً لا يمت إليه بسبب ، ولقد وعد الله المؤمنين الصادقين بعزة الاستخلاف ، والعزة والقوة والأمن والسلام ، وما لم يحيدوا عن طريق العبادة والتوحيد ، وما لم ينصرفوا عن واقع كلمة الإسلام وحقيقتها : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾[١].

لا أظن أن ثمة إعلاناً أصدع من هذا ، ووعداً أوضح

---

[١] النور الآية : ٥٥

من هذا الوعد، وتهديداً أشد من هذا التهديد، فمن كفر بعد هذا الإعلان الصريح، فإنه لفاسق، لا يستحق رحمة الله، بل ولا يستحق الأمن والسلامة، فكيف بالخلافة والإمامة؟ ولقد كرر الله سبحانه هذا المعنى بأساليب مختلفة، وتعابير متعددة، فمثلاً قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1] ويطالب بالتقوى ويكرر المطالبة بها، ويحث على الإيمان والعمل الصالح، ويرفع قيمتهما، ويزيد من أهميتهما، بقوله: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ﴾، ويحذر المؤمن مما إذا نسي ربه فتغافل عن تحقيق العمل في الحياة، وتقديم الزاد للغد، فماذا جر ذلك عليه من نتيجة قاسية، وعاقبة وخيمة؟ أليس أن الله تعالى قد أنساه نفسه، وأي عذاب أشد من أن ينسى الإنسان نفسه، ويعيش في غفلة عنها.

ذلك هو الضعف والهوان الذي يقاسيه شبابنا المسلم، وذلك هو الخوف والجوع، وأنواع منوعة من التعاسة والشقاء، وألوان من الظلم والعدوان، يواجهها المسلم في نفسه وأسرته ومجتمعه ووطنه، وحتى في إيمانه وعقيدته، وشعائره وشرائعه.

من ثم نرجو شبابنا المسلم العزيز أن يمثل دوره في إزالة أسباب الضعف والخذلان من طبقات الأمة،

[1] سورة الحشر: الآيتان: ١٨-١٩

والمجتمعات الإسلامية التي تعيش اليوم بمعزل عن رسالتها السامية ودعوتها البناءة حتى يتمكن من بناء مستقبل عالمي مرتقب ، إن شبابنا هم رمز الإسلام ، وقوة الدعوة ، و رواد الفكر، وأمل الإنسان الشقي الذي يتطلع إليه ، ويعقد به آمالاً كثيرة .

وما أجدره أن يُنشد :

نحن الشباب لنا الغد ومجدُنا المخلّد

يا رجال التوجيه

كثير من شبابنا المسلم الذكي ممن يحرزون جانباً من العلم والثقافة ويبرعون فيما يتقنونه من مواد ومواضيع، تنقصهم التربية الصحيحة، والتوجيه السديد، فيصابون بداء أخطر، وهو داء الإعجاب بالنفس، والإعجاب بالنفس من أكبر عوامل الهدم التي تهدم شخصية الإنسان وتسوقه إلى نوع من الأنانية والكبر.

وكم شاهدنا وجربنا شباباً أذكياء كانت تعقد بهم آمال المستقبل، ويتجلى فيهم سيما القيادة، ويتوسم الناس فيهم سمات العظمة، والتوجيه، ولكنهم سرعان ما أصيبوا بداء الإعجاب بأنفسهم، وبدأوا ينظرون إلى كل شخص بعين فيها الشيء الكثير من الازدراء والاستهانة، وبنظرة ملؤها الهزء بشأن الآخرين، والاستخفاف بقيمة التراث الذي خلفه السلف للخلف مرة، وتقليل الأهمية لجلائل الأعمال ومهمات الأمور التي سجلها التاريخ مرة أخرى.

إن هذه الظاهرة في حياة شبابنا المسلم اليوم لمن أهم ما يحتاج إلى الاهتمام بشأنه، ويتطلب أنجع علاج لمقاومته، فإن لهذا الداء مضاره في جسم الأمة، ولهذه الظاهرة جنايتها

على المجتمع المسلم المعاصر، وتأثيرها السيء على الحياة العامة ، وذلك لأن هؤلاء الشباب يمثلون باكورة أدوارهم أول ما يبرزون في المجال الاجتماعي كرجال المستقبل وقادة الغد ، وكلما أصابوا أو أخطأوا في تمثيل دورهم كان تأثيرهم في المجتمع حسناً أو سيئاً .

ومن هنا نعتقد أن أبناء الأمة وشبابها إنما يحتاجون أول ما يحتاجون إلى من يتلقاهم بالتربية الصالحة ويتناولهم بالتوجيه الإسلامي الصحيح ، فهم في كل دولة وفي كل بلد وفي كل قرية ، وكل أسرة وبيت ، يفتقرون إلى مربين قبل المعلمين ، وإلى موجهين قبل المصممين ، وإلى حلقة من التربية الصالحة قبل حلقة الدروس .

ولكن ذلك لا يتيسر بما يصدر منا من إهمال وغفلة في هذا المجل ، والذنب في تيه شبابنا وحيرة أبنائنا لا يعود إليهم وحدهم بل الذنب يرجع إلى المسئولين من آبائهم وأساتذتهم .

إن المعجبين بأنفسهم من شبابنا يتمادون في ذلك بعض الأحيان إلى أعوام طوال ومنهم من يتنبه إلى هذا الداء وما يجره إلى نفسه من خسارة وعلة ، فيرجع إلى الرشد ، ويتحرى الصواب ، ولكن بعد ما أضاع كثيراً من منافع الحياة ، وخسر كثيراً من أرباح العلم والدين .

لفتة كريمة إلى هذا الجانب المهم من التربية في شبابنا أيها الآباء البررة والأساتنة العطوف والمربون الأجلة ، واتقوا الله فيهم يا رجال الدعوة والتوجيه ، وأحسنوا إليهم بالتربية الصالحة ﴿ فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾.

حجر الزاوية في سلوك المسلم!

كان فصل الدين عن السياسة ضمن الأسلحة التي أعدها الغرب، وشهرها من قديم في وجه الإسلاميين الذين قالوا عن الإسلام أنه دين متكامل يجمع بين جميع الجوانب الحيوية، ولا يوزع الحياة بين خلايا من الدين والدنيا، إنما يقوم بالجمع المتزن بين كل ما يحتاج إليه جسم الإنسان المادي، وروحه المعنوي، ويغذي العقول والقلوب معاً، ولا يقرر لأي واحد منهما فترة أو مدة من الزمن، ذاك أن يغذي العقل في أوائل الشهور والقلب في أواخرها، أو بالعكس، ولكنه يشكل جميع شؤون الحياة، وينظمها تحت مبدأ هذا الجمع المتناسق.

الدين الإسلامي وحدة كاملة ودائمة لا تخضع لنواميس التجزئة والتحليل، ولا تقبل أي تغيير وتعديل، وذلك ما يعد أكبر خصيصة لهذا الدين، لذلك فإنه يعامل الناس جميعاً بشريعة واحدة، وينفذ فيهم تعاليم الكتاب والسنة التي تتفق والفطرة، والطبائع البشرية من غير اختلال.

تلك هي الحقيقة الناصعة التي أشار إليها رسول الله

صلى الله عليه وسلم حينما سمع نفراً من أصحابه يتكلمــون بما يعارض قانون الاعتدال والاقتصاد حتى في أمــور الديــن ، وظنوا أن من الدين أن يكثر المرء من العبادة والطاعة مع قلة الاهتمام بأداء الحقوق الفردية والجماعية ، فأخبرهم بأن ذلــك ليس من شأن هذا الدين ، فإنه ليس كالنصرانية التي تفــرق بين العبادة والسياسة ، وتقول : ما لقيصر، لقيصر، وما لله ، لله وليس كاليهودية التي تخلع علــى البشــر لبــاس الألوهيــة ، ولكنه دين يمنح الإنسان المسلم حياة جامعة ، لا يغمــط فيــها حقه مع الله ومع الناس ، ولا يقف دون نشــاطاته في مجــالات الحياة المادية والمعاشية ، ولكنه يقف موقف الاعتدال والقصد ويضع الحد على المغالاة في أي جانب ، ذلــك لأنــه فطــرة الله التي فطر الناس عليها ، فيجعل التوازن ميزته البارزة في كــل زمان ومكان ، وفي كل قول وفعــل ، وكــلام وطعــام ، ولنقــرأ الحديث الذي رواه الصحــابي الجليــل أنــس رضــي الله عنــه قال:"جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النــبي صلــى الله عليــه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليــه وســلم ، فلمــا أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا: وأين نحن من النبي صلــى الله عليه وسلم ؟ وقد غفرالله له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر، فقال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً ، وقال آخــر: أنــا أصــوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء ، فلا اتزوج أبداً ، فجاء رسول الله صلـــى الله عليــه وســلم إليــهم ، فقــال: أنتــم الذين قلتم كذا وكذا ، أمــا والله إني لأخشــاكم لله ، وأتقــاكم

له ، لكني أصوم ، وأفطر، وأصلي ، وأرقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[1].

فقول النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم وتعليقه على ما ظهر من الصحابة رضي الله عنهم من الميل إلى المغالاة ، إنما هو الأساس الأول لبناء الحياة الإسلامية ، وحجر الزاوية في سلوك المسلم وسيرته ، إذ لا مجال للغلو والتشديد ، في منهج الحياة لدى المسلم ، وذلك ما يتجلى في جميع العبادات ، وجميع سلوكيات المرء مع دخوله في دين الله ، والتزامه بالطاعة .

والصيام من جملة العبادات ، يتميز بالإخلاص الكامل لله تعالى ، فكان أمره ذا أهمية كبيرة ، لأنه فرض لتطهير النفس من الشوائب المادية ، والإسراف في الكلام والطعام ، فيكون بمثابة محطة للتطهير ، وإصلاح بعض الخلل الذي يتسرب إلى الحياة من غير إيذان ، فهو يقوم على تربية النفس على خلال التقوى ، ويضع بعض القيود الجديدة خلال شهر كامل على تغيير بعض العادات مما يتعلق بالجوارح تارة ، وبالمعدة تارة أخرى ، وذلك ما يساعد في تصحيح مسيرة الحياة ، و دفع قطار الحياة على الخط المألوف ، ويمثل دوره شهراً كاملاً من كل عام .

لذلك لا يوزع الدين الإسلامي حياة الإنسان بين

---

[1] رواه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح رقم: ٥٠٦٣، وأخرجه مسلم في كتاب النكاح أيضاً رقم:١٤٠١، والنسائي أيضاً رقم: ٣٢١٩.

خليتين من الدين والدنيا ، ولكنه يجمع بينهما بالقصد والتوازن الكامل ، ويسهر على تنظيم الحياة بدقة كاملة دون إسراف ، وتقصير ، أو إفراط وتفريط.

هناك محاولات ارتجالية لزحزحة هذا الحجر عن مكانه ووضع آخر في محله مما لا ينطبق على تلك الزاوية ، بل يهدد المبنى بالانهيار، تتمثل هذه الجهود في الإشكاليات والتصميمات الدقيقة التي تنفذ باسم الحضارة تارة ، وبعنوان المتغيرات الاجتماعية أخرى ، ويتزعم هذه المحاولات عدد من الحركات والجمعيات العالمية التي تخطط لهدم بناء المجتمع الإسلامي ، وتشويه الحياة الإسلامية ، وذلك تحت غطاء التعديل والتطوير، ظناً منها أن الإسلام كان قد جاء لإصلاح ذلك الفساد الكبير الذي دخل في حياة العرب الجاهليين في الجزيرة العربية ، وسد منافذ الشدة والغلو في الحياة الاجتماعية والعائلية لديهم ، وقد مثل الإسلام دوره في هذا المجال ، وقلب تيار الجاهلية وأوضارها بتعاليم الإسلام الواضحة المعتدلة ، ولكن العالم الحضاري المتطور اليوم الذي تملأه العلوم والصناعات ، والتقنيات الحديثة ، واختلفت فيه المعايير والقيم ، وتبدلت فيه أنماط الحياة ، وأصبح فيه الإنسان يعيش المفاهيم الحديثة للحياة والمجتمع ، يحتاج إلى شيء من التغييرات والتعديلات في الأساس ، لكي يتفق وطبيعته الحضارية في العالم الحديث .

بمثل هذه التضليلات والأقوال الواهية يعمل الناس

في الخفاء ، ومن وراء الكواليس المزخرفة اللماعة ، وهم يضربون بمعاول الهدم والتشويه على أساس الدين الحنيف ، ويركزون كل جهودهم على تحقيق هذا الغرض الرخيص ، ويطلقون على ذلك اسم التعديل ، أو إيجاد القصد والتوازن في الإسلام ، حتى يكون جديراً بالمسايرة مع الحياة المعاصرة ، وإذا تبيّنا الموضوع وجدنا أن اليهود هم في مقدمة هذا التضليل ، أولئك الذين لا يراعون في ذلك إلاّ ولا ذمة ، ولا يألون جهداً ، بل ولا يدخرون وسعاً ، ولا يفيتون فرصة إلا وهم يستهدفون الإسلام ، ويريدون أن يقتلعوا جذور المنهج الإسلامي للحياة ، ويتركوا أفراد الأمة في العراء .

وكيف لا يدري هؤلاء أن الإسلام دين قصد واعتدال ، ودين يسر ومرونة ، يتفق مع الفطرة تماماً ، وينسجم مع طبيعة البشر في كل زمان ومكان ، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَتَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1] .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلو في العبادة ، والحيد عن طريق الاتزان فيها ، فقال لبعض أصحابه حينما أخبرعنه بأنه يأخذ طريق المغالاة ، ويحيد عن طريق الاعتدال في الصلاة والصيام :"فصم وأفطر، ونم ، وقم ، وصدق قول سلمان رضي الله عنه لأبي الدرداء حين منعه عن الغلو في العبادة ، وقال:"إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك

[1] الروم : ٢١

عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فاعط كل ذي حقه"[1] ، وقال النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم:"إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"[2]، وأعلن الله تعالى في كتابه العظيم فقال:﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾[3] .

فهل مع هذه الحقائق الثابتة والدلائل الصارخة يستطيع شخص أو جماعة أن يسدي إلى المسلمين بتعديل الإسلام ، وتقريبه من متطلبات النفس ، ويبذل جهوداً في عصرنته ، ما دام الإسلام منزلاً من الله تعالى كدين معتدل بعيد عن كل غلو ومشادة ، ومنسجم مع الطبيعة بطريق دائم ومستقل ، من غير إفراط أو تفريط ، أو نقص أو زيادة .

وذلك هو في الواقع ميزة هذا الدين بإزاء جميع الديانات التي مضت والفلسفات الحضارية التي اعتنق بها الناس ، وهذه الميزة هي ما نستطيع أن نعبر عنها بحجر الزاوية ، والقاعدة الصلبة للحياة الإسلامية ، يقول الله تعالى :

﴿وَمَا أُمِرُوا إلاّلِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[4] .

---

[1] رواه البخاري في كتاب الصوم رقم:١٩٦٨ ، وكتاب الأدب رقم:٦١٣٩ ، وأخرجه الترمذي في أبواب الزهد، رقم: ٢٤١٣

[2] والحديث بكامله"فسدّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب"الدين يسر" رقم: ٣٩

[3] البقرة الآية: ١٨٥

[4] البينة الآية: ٥

مَن للشباب الضائع !؟

هناك محاولات جادة وسريعة للغاية ، في مجال بث السموم الفتاكة من المخدرات والمسكرات بين قطاعات الشباب والمراهقين ممن يعيشون في البلدان الإسلامية ، وينتمون إلى المجتمع الإسلامي ، ذلك لأنه أسهل طريق لإلهاء الطبقة الشبابية التي سوف تتسلم زمام القيادة في غد قريب ، عن هدفها ، وتسريب الفساد من كل نوع إلى داخل المجتمع بطريق تخدير العقول والأعصاب ، وترويج بضائع من اللهو والمجون ، والجرائم الخلقية في مخادع هذا المجتمع ، أضف إلى ذلك برامج التسلية والأفلام الجنسية المكشوفة التي تدخل بأشكالها البشعة إلى غرف النوم على موجات الأثير، وتستنفد الطاقات والأوقات الغالية بل وتعصر القوى والطاقات من المشاهدين ، وتتركهم بلا روح ولا هدف ، وهي مستمرة في هذه العملية من غير غياب ولا انقطاع .

هذا الواقع الملموس المعاش ليس خافياً ، على رجال الأمة وقادتها ودعاتها ومفكريها ، وهم أولى بأن يدركوا عواقبه المريرة التي تعيشها الأمة في أفلاذ كبدها ، ورجال مستقبلها ، ولعلهم لم يقصروا في وضع الحد عليه ، وتشنيع

آثارها التي تترتب على العقول ، وتعوق سير النمو الطبيعي في نفوس المراهقين ، إنهم لم يغفلوا ثماره المسمومة التي تفتك بهذا الجيل الناشي ، وتحوله إلى أداة هدم ، وإجرام ، وتحرمه من ذلك الشعور بالمسئولية التي تتكفل بإعطائه مكانة القيادة الدينية ، وتضفي عليه لباس الخلق الجميل المتمثل في نظرته الإيمانية ، ودعوته العالمية .

شبابنا اليوم يعيش تحت وطأة عمليات إجرامية يخططها الغرب الراعن وفق المقاييس التي صنعها لإفساد جيل الشباب المسلم والأسر المسلمة ، سواء بتوفير المخدرات ، أم بتوجيه البرامج الهدامة من الأفلام العارية التي سرعان ما تهدم الأسر والعائلات ، وتدفعها إلى مجالات واسعة ، من الأوبئة الخلقية التي تكمش العقول ، وتسلب منها التمييز بين الفضائل والرذائل ، ومن الطبيعي أن العضو المريض لا يكاد يؤدي مسئوليته في صدق وأمانة ونشاط .

وهناك مجال أوسع مما ذكرناه ، وهو مجال التعليم والتربية والإعلام الذي يملؤه الشباب ، ويتظاهر فيه بأنواع من النشاطات التي طالما تكون خارجة عن نطاقه ، فإن لدينا علماً بعدد من الجامعات الكبرى التي يتوافر في طلابها جميع الألوان من الممارسات والفعاليات ، إلا جوانب التعليم والتربية ، فهي تبقى شاغرة بصفة دائمة ، بل تشغلها أنشطة من الأعمال الإجرامية التي تخجل منها الدواب والأنعام ، وهؤلاء الشباب المتخرجون من هذه الجامعات ، هم الذين سيتولون مفاتيح الحكم ومقاليد القيادة في غد قريب ، فماذا

ستكون النتيجة ؟

لقد سلبت الظروف الحضارية المستجدة في مجتمع الشباب همومهم الحضارية البنّاءة ، ودفعتهم إلى الإعراض عن الهدف المطلوب ، وإهمال شأن الفضائل والأخلاق ، والإقبال الكبير على مواقع الإجرام وممارسة الشهوات والأهواء بتأثير من الأجواء التخديرية والنفعية التي يعيشها العنصر الشبابي في كل مكان ، سلبت منه الشعور بالفضائل الإنسانية والموضوعية والوعي بمكانته في المجتمع ، وبدوره في قيادة النوع البشري ، فأصبح أداة هدم وإجرام ، مع القيام بالسباق في هذا المضمار، والحصول على أرفع درجة فيه .

تسربت هذه الأدوات المخدرة ومرافق الفساد الخلقي والإداري إلى جميع البلدان والأقطار وعلى جميع المستويات ، وإن الحقائق والأرقام التي تطالعنا حيناً لحين تؤكد فشوّ هذا الفساد على نطاق أوسع في البيئة الشبابية ، وتصرفهم عن الوجهة المطلوبة التي تترقبهم ، وتنظر إليهم من خلال منظار المستقبل المضمون الذي لا يبنيه إلا شباب الأمة ، ورجال الغد المخلصون ، الذين يقتفون آثار من سلف من قبلهم من الفتيان المؤمنين .

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [1] .

---

[1] الكهف : ١٣–١٤

ترشيد الشباب المسلم

كلما برز على ساحة الدعوة دعاة عاملون ركزوا على مهمة تربية وتوجيه الشباب حرصاً على استمرار العمل للإسلام في كل زمان ومكان ، ولذلك فإن الدعوة الإسلامية لم تفقد في أي عصر من عصورها جماعة من الشباب المتحمس الذي يرى من سعادة حياته أن يحمل راية الدعوة إلى الله ولا يبخل ببذل الرخيص والغالي في إنجاز مهمته ، وقد كان التوفيق حليف البعض من الدعاة المربين فبرزوا في هذا المجال بكسب وجمع عدد ضخم من الشباب المسلم الواعي ، حول دعوته وجهاده ، ففي الماضي القريب لا يكاد التاريخ ينسى السيد جمال الدين الأفغاني ، ذلك المصلح الثائر الذي استطاع بسحر خطابته وجاذبية دعوته وبإخلاصه للهدف أن يجمع حوله نخبة طيبة من الشباب ويثير فيهم الحمية الدينية ، والثورة ضد الاستعمار ـ بصرف النظر عن التحقيق الجديد في شخصيته ونواياه ـ ولكنه مع كل ذلك قد تمكن من منح الشباب قوة حركية فعالة مستمرة على المستوى العالمي ، ومن جمعهم على هدف الدعوة إلى الإسلام ، وإعلاء كلمة الله في جميع المجتمعات الإنسانية والثورة على

كل باطل والمحاربة ضد كل طاغوت .

ولكن الله سبحانه وتعالى قيض في الزمن الأخير الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ في مصر للقيام بهذا الواجب ، فاستطاع بتوفيق من الله وبتجرده وإخلاصه وتفانيه في سبيل الدعوة إلى الإسلام أن يسترعي انتباه الناس على اختلاف مذاهبهم ونظرياتهم ، إلى دعوته ، ويشعر الشباب المسلم بقيمته في هذا المجال ، وضرورته في تعميم المنهج الإسلامي للحياة بين الناس كافة ، وقد ركز على تربية وتوجيه الشباب المسلم الذي التف حوله ـ بأمر من الله ـ وتناوله بالحب والعقيدة ، وأشعل فيه جمرة الإيمان واليقين ، وغرس في قلبه الثقة بالإسلام وخلود رسالته وصلاحيته للحياة في كل زمان ومكان ، والاعتقاد الكامل الراسخ بأنه﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1].

ووفق إلى تخريج جيل عظيم من الشاب للقيام بعمل الدعوة ، والتوجيه والتبليغ ، ذلك هو الجيل المسلم الذي أكرمه الله بصفات الداعية وفجر فيه من ينابيع الحكمة والموعظة الحسنة ما تكفل بنجاحه في هذه المهمة ، ذلك هو الجيل الممتاز من الشباب الذي تميز بالفضائل وتحلى بجوهرة الإيمان والإخلاص والتجرد والورع ، والإقبال على الله والاتصال به في جميع الأحوال والظروف ، والإعراض عن

[1] الروم الآية : ٣٠

حطام الدنيا والحنين إلى الآخرة وما فيها من جنة ونعيم، مع الشعور القوي بالمسئولية الملقاة عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

قد استمر تأثير هذه التربية الدعوية من السلف إلى الخلف وانتقل هذا التراث إلى الشباب المسلم المعاصر، الذي ينهض اليوم بأعباء الدعوة والعمل للإسلام في العالم الإسلامي والبلدان التي يسكنها المسلمون، وفي كل بلد تتوافر له أسباب ووسائل العمل في مجال الدعوة والبلاغ، ولكن الشباب القائم بالعمل للإسلام اليوم يعوزه بوجه عام القيادة الدعوية، فهو يعتمد في معظم الأحوال على دراسته الخاصة للإسلام وفهمه العام لطبيعة الدعوة، وظروف العمل ومتطلبات العصر، وهو بطبيعة الحال يفوته أحياناً مراعاة المصالح وملاحظة الحكمة في عمل الدعوة، وقد يصدر منه بوادر التسرع في الحكم، وقد تبدر منه الارتجالية في مواجهة الأوضاع والحماسة الزائدة في الإصرار على مواقفه، حيث لا ينفع ذلك مصالح الدعوة، بل يعارض مع حكمتها وينافي فقه الداعية.

إن شبابنا المسلم أمانة كبيرة بأيدي الدعاة والعلماء والمربين، وهو بضاعة غالية في معرض الحياة، فلا بدّ من تركيز العناية عليه، وتوجيهه إلى الأنفع الأصلح له في مجال العمل للإسلام، حتى يعتبر نموذجاً مثالياً في حياته كمسلم

وداعية ، وعضو كريم للمجتمع الإسلامي ، وأعتقد أن شبابنا المسلم إذا تحلى بالصفات الإسلامية الخالصة ، من الإخلاص والتجرد ، ودافع التضحية بالنفس والنفائس ، والرؤية الصحيحة السليمة لمنهج الحياة في الإسلام ، والاقتناع الكامل بخلوده ، والثقة بكونه رسالة الحياة الدائمة مع تقدير المجهودات والأعمال التي يقوم بها المسلمون وجماعاتهم في مجال العمل للإسلام بأي نوع كان ، ومع الالتزام بالتواضع والخشية من الله والتحاشي من الخلافات المذهبية والآراء الشاذة ، والابتعاد التام عن كل ما له أدنى صلة بما يسمى الرذائل فضلاً عن المعاصي والمخالفات الشرعية الظاهرة .

إذا تميّز شبابنا بهذه الصفات الطبيعية ، غيّر الأرض والأوضاع الشاذة بغيرهما ، وأتى بالعجائب والمعجزات ، وأدّى مسئولية القيادة العالمية ، رغم جميع الظروف المضادة والمخططات السرية المعادية .

بناء الإنسان المسلم

بناء الإنسان وحده أهم وأفضل غاية لها من القيمة والعظمة ما لا ينكر في أي طبقة من الناس ولا في أي فترة من التاريخ ، أما بناء الإنسان المسلم فذاك ما توخاه الإسلام وأمر به في جميع تعاليمه وتوجيهاته التي خاطب بها البشر، وقد عبرعن هذه الغاية المثلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصيحة التي أتحف بها الناس فور بعثته كخاتم الرسل ورحمة للعالمين ، فقال:"الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم"[1].

هذه النصيحة إذا قامت على أساسها حياة المسلم وعمت جميع جوانب حياته ولم تترك عوزا ولا خللا إلا سدته ، فكأنها أقامت الحياة على أفضل ما يطلبه إنسان ، وبالتالي فهي تبني إنسانا مثاليا يجمع بين الفضائل والأخلاق ، والقيم والأقدار، والصفات والخصائص التي يتميز بها الإنسان المسلم عن غيره من الناس .

هذا الإنسان المسلم الذي يحلم به كل مسلم غيور

---

[1] رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة رقم: ٩٥، وأخرجه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في النصيحة رقم ١٩٣٦/١٧، والنسائي أيضا رقم: ٤٢٠٢، واللفظ لمسلم.

مخلص ناصح أمين، لا يوجد إلا بإيجاد الجو الإسلامي الخالص بإحياء جميع الصفات النبيلة والميزات الخلقية التي يوجه إليها الإسلام، إنه لا يوجد إلا ببناء السيرة الإسلامية العظيمة التي تتمثل في الفرد والمجتمع، والواقع أن الإسلام كان ولا يزال يوجه الإنسان إلى ما يتفق وطبيعته وينسجم مع الفطرة الإلهية، ويحثّه على اتباع توجيهاته وتنفيذها في الحياة والمجتمع ووضعها موضع الاعتبار في جميع المناسبات الفردية والاجتماعية وعلى ذلك يتوقف بناء الإنسان المسلم، والذي يتمنى أن يقوم بهذا العمل المبارك ويحرز قصب السبق في هذا المجال فعليه أن يفسح الطريق للإسلام بجميع توجيهاته وتشريعاته وبجميع أوامره ونواهيه إلى حياته وحياة أهله وأتباعه حتى يتمثل فيه الإنسان المسلم قبل كل شيء، ثم يتبعه الناس جميعاً ويسيرون خلفه، ويعتبرونه إماماً وقائداً، يقتدونه، ويمتثلون أوامره، ويقلدون حياته، وهنالك يتسع النطاق من أسرة إلى أسر كثيرة ومنها إلى مجتمع ومدينة وبلاد بأسرها، وهكذا كان الإسلام وهذه طبيعته.

إنه قدوة وعمل ونموذج، والناس يترقبون أن يروا القدوة فيتبعوها، ويروا السيرة فيقلدوها، ويروا النموذج فيطبقوه على الحياة الفردية والاجتماعية، والذي ينقص اليوم هو القدوة والسيرة والنموذج، أما القول والشرح والبيان فكل ذلك كثير، ولا يزال يتسع مجاله ونشاطه على مر الأيام، وتدخل فيه التحسينات والزيادات والآراء

والاقتراحات الجديدة الحديثة ، فذلك يتضخم ويتكاثر ولكن على حساب العمل ، والقدوة .

بناء الإنسان المسلم الذي يمثل الإسلام بكل ما فيه من معنى ومغزى ، لمن سعادة العالم البشري كله ، إذ لا شك أن هذا العالم شرقا وغربا يزخر بكل نوع من العلم والصناعة والعقل المبتكر، وبكل تقدم هائل في مجالات الحياة من رفاهية النفس إلى سمو الفكر والوجدان ، ولكن الذي يندر اليوم إنما هو وجود الإنسان المسلم .

الإنسان المسلم حاجة العالم الحديث بكامله ، فهو الذي يستطيع أن يضع الحد بين الشقاء والسعادة ، وهو الذي يتمكن من إعادة الحياة إلى الصراط المستقيم ، فقد ضلت الخط السليم وتفرقت بها السبل عن طريق السعادة ، والإيمان .

وبالإنسان المسلم تتحقق النصيحة التي أرادها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتعرف الحياة وجهتها الرشيدة التي تتكفل بالأمن والاستقرار في جميع المجتمعات البشرية في العالم كله .

يقول الله سبحانه وتقدس:

﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[1] .

---

[1] الأنعام: ١٥٣

مسئولية المسلمين
نحو تعريف الإسلام والبعث الإسلامي

مسئوليتنا نحو تعريف الإسلام

نحن أمة الدعوة والهداية وأمة الخير والنصح والطاعة ، أخرجها الله سبحانه وتعالى لغاية أسمى وهي تغيير المنكر وإقرار المعروف ، وإبدال الفساد بالصلاح ، وربط الإنسان التائه بالملكوت الدائم ، وبتعبير آخر: ربط الأرض بالسماء ، والجمع بين الدين والدنيا ، فالوضع الذي كان يعيشه الإنسان قبل الإسلام كان في غاية من الفساد والبغي والعدوان ، والانقطاع عن منبع النور واليقين ، إلى مراكز الظلام والأوهام .

ظهرت دعوة الإسلام في الجزيرة العربية فرفضها أهلها بقسوة ، ورأوا أنها لا تتفق ومبادئهم وأذواقهم الفاسدة ، ورأوا أنها تحارب الآداب والتقاليد التي كان آباؤهم يفعلون ، فثاروا عليها بادئ ذي بدء ، ولكن الداعية الحكيم والنبي الكريم المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم عرفهم بالإسلام ، ودعاهم إلى تجربة ذلك بحكمة وموعظة ، ورفق ولين ، وعرض عليهم الإسلام بطريق العمل والتطبيق ، وقدم لهم أسوة حسنة ، وقرّبهم من طبيعة الإسلام تدريجياً .

هذا الواقع ليس خافياً على أحد ممن له أدنى إلمام بتاريخ الإسلام وسيرة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولو لا أن هذا الأسلوب الفريد الذي تبناه صلى الله عليه وسلم للدعوة وتعريف الإسلام إلى الناس كان ذا تأثير سريع ، ولو لا إخلاصه الكبير مع ذلك لأداء مهمته التي بعث من أجلها ، لما كان العرب الذين عاشوا الجاهلية وامتزجت عاداتها بلحومهم ودمائهم ، والعرب الذين تميزوا بالفظاظة والغلظة ، وعُرفوا بقسوة واعتداء ، ووأد للبنات ، قد وجدوا في نفوسهم إقبالاً على دعوة الإسلام واهتدوا إلى دين الفطرة ولو بعد رفض وإنكار .

هذا الأسلوب الملهم للدعوة هو في الواقع ينال قبولاً لدى المدعووين ، وتنشرح لها نفوسهم رغم البعد عنها ، ويتأكد لهم مغزاها وما تتوخاه لهم من حياة سعيدة ، وقلوب مطمئنة ، ولذلك يتسع نطاقها ، ويتكاثر عدد أتباعها ، وتتوافر الظروف المواتية لتوجيه التعاليم الأساسية إليهم حتى يتفسح لهم المجال للتنفس في جوّ من السعادة والهدوء ، وفي بيئة ذات توجهات إيمانية تملأ العقول اقتناعاً بتعاليم تلك الدعوة التي لا تعتمد إلا على نداء من فطرة الله التي فطر الناس عليها .

أما أن يكون الإسلام مجموعة من نظريات فلسفية تتوزع بين مجالات الحياة المختلفة ، وبين خلايا كثيرة من الحياة الاجتماعية ، فليس مما عرفه السلف الصالح ولا شرحه أئمة

الإسلام المجتهدون ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم أمته تنظير دين الله ، وإنما وجه إليها توحيد الله تعالى على جميع المستويات ، واعتباره هو الله الذي لا إله إلا هو، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، والملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، وطلب منها الإيمان بأن محمداً عبده ورسوله الأخير ، الذي لا يأتي بعده رسول ولا نبي ، لأنه بعثه رحمة للعالمين ، وما بعد الرحمة من شيء يعمل في توفير السعادة والطمأنينة ، والأمن والسلام للإنسان .

وأهم ما يجب أن يعرفه المسلم هو الإيمان بالغيب والاعتقاد بجميع التفاصيل التي احتوت عليها شريعة الإسلام في موضوع الحياة الإنسانية ، مع العلم بأنها أمانة كبيرة أودعها الله سبحانه في هذا الكون وجعل المسلم مؤتمناً عليها حريصاً على صيانتها من كل مكروه ، ولكن ذلك لا يتم ما لم يكن لديه علم كاف بأهمية نعمة الحياة التي أكرم بها الإنسان ، ومن متطلبات النعمة أن لا يعيش في غفلة عن دورها في إيجاد الشعور بالنهج الذي يتولى النجاح له في كل مكان ، وذلك هو التمسك بالقصد في تقرير الموازين السليمة والمقاييس المستقيمة للعيش في هذه الدنيا ، والإعداد للآخرة ، ولاعتبار أن الدنيا الفانية قنطرة إلى الآخرة الدائمة ومعبر نحو المواقف الدقيقة من السؤال والحساب ، مما لا مفر منه لأي إنسان مهما كان ، فإما إلى الجنة ونعيمها وإما إلى النار وويلاتها: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا

يَسْتَوُونَ ، أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[١] .

بهذه العقيدة الراسخة ومع هذه الشريعة الخالدة ، يجب أن نقدم إلى الناس دعوة الإسلام ونعرف به إليهم بالجمع بين القول والفعل ، وبين التخطيط والتطبيق في جميع الشؤون والأحوال والظروف والأوضاع ، وكل زمان ومكان ، ونؤكد لهم أن الإسلام هو حاجة الإنسان في كل عصر ومصر.

وتتجه المسئولية في مجال التعريف بالإسلام إلى عامة المسلمين كذلك ، فضلاً عن الدعاة والعلماء ، وأهل الإصلاح والتربية ، فإن كل فرد من أفراد الأمة مسئول عن توجيه الخير والنصح والأمانة إلى غيره ، وهو ـ كمسلم ـ يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ولا تكتمل شخصيته ما لم تتحل بدافع عملي للتعاون على البر والتقوى ، وسلوك نبيل يحثه على إيثار مصلحة أخيه على مصلحته الذاتية ، ومن الذي لا يدري أن المسلمين لما هاجروا إلى المدينة وتمت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، عرض الأخ الأنصاري على أخيه المهاجر كل شيء من المال والمتاع والفرص ، حتى عرض بعضهم زوجته التي يطلقها لأخيه ، لكي يتزوج بها ويبني بيته الإسلامي معها ،

[١] حم السجدة الآية : ١٨-٢٠

هكذا كانوا يتمتعون بأخلاق فاضلة لا مثيل لها في تاريخ المجتمعات البشرية ، وسلوكيات رفيعة تجهلها الحضارات الجاهلية والمادية التي وُجدت قديماً وحديثاً .

كانوا نماذج الجاذبية بمستواهم الأرفع للخلق النبيل والسيرة العظيمة ، وكانوا قدوة لكل شخص يراهم أو يعيش معهم ، لقد كانوا خلقاً غير ما عرفته الدنيا ، وبشراً فوق ما كانت تتصور ، الواقع الذي سبب امتداد رقعة المجتمع الإسلامي الأفضل واتساع نطاق الفضائل والمكارم الخلقية ، ومن ثم ظهر الإسلام في كل شيء ، وتجلى الدين في الحياة ، يشمل كل صغير وكبير وكل دقيق وجليل .

كان ذلك من أقوى العوامل لتعريف الإسلام إلى الناس من غير أن يعتمد الدعاة على أي شيء من أداة القلم واللسان ، وإنما هو النموذج العملي والتطبيق السلوكي ، لم يكن يحتاج إلى شرح كبير لمحاسن الإسلام وبيان فضائله فحسب ، لم يكن يعتمد على تنظير الدين الإسلامي وتجميله بتقطيع أوصاله ، وتزيين صورته بالألوان والزخارف ، وذلك هو الإسلام العملي الذي خلف آثاره الباهرة والثابتة على الناس ، وحبب إليهم حضارة الإيمان وحياة العزّ والسعادة ، والأمن والطمأنينة ، وذلك هو الإسلام المعاش الذي جذب إليه القلوب كالمغناطيس ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، وما هي إلا مدة يسيرة فقط إلا وقد انتشر الإسلام في كل مكان ، وبسط جناح الرحمة والرأفة في كل مجتمع .

يعيش عدد كبير من غير المسلمين في البلدان التي يسكنها المسلمون ، ولكنهم لا يقتربون إليهم ولا ينجذبون نحوهم ، بل الواقع أن الشقة بينهم تتباعد ، وأن الثقة المتبادلة بين الفريقين تتذاوب ، ويحل التناكر محل التآلف ، والكراهية محل الألفة ، وقد يرى غير المسلم في الأخ المسلم صوراً كريهة ويجده على محك التجارب إنساناً زائفاً ، وتستقر هذه الصور المكروهة حتى يسيء ظنه بالإسلام ، ويتبادر إليه أن الدين الإسلامي لا يتفق وطبيعة الإنسان ، ولكنه دين الأجلاف والقساة والظالمين ، لأنه لم تتمثل فيه الفضائل الإنسانية والسلوكيات الطيبة المرجوة في مسلمي عصره وبلده .

لقد كان الواجب الإسلامي يحتم على المسلم الصادق أن يمثل الدين في كافة أجزاء الحياة والمجتمع ، ويؤكد للناس بالجوانب العملية أن الإسلام دين الله الذي أنزله لصلاح العباد والبلاد على وجه دائم وطريق خالد ، ولم يجعله سبحانه في أي حال وحين ديناً عوجاً إنما هو الدين القيم الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1] .

ما أحوج شعوب العالم اليوم إلى الإسلام الحي ، إلى شريعة الإسلام التي توجه إليها الأمن والسلام والسعادة ، وتنشر في العالم رسالة الحب والثقة والإيمان ، وما أحوج الناس إلى معرفة الإسلام على حقيقته وجوهره .

والمسئولية تعود إلينا ، أمة الدعوة والإيمان والعمل ،

---

[1] حم السجدة الآية: ٤٢

خير أمة أخرجت للناس تـأمر بـالمعروف وتنـهى عـن المنكـر، وتؤمن بالله ، وهي تتطلـب منـا أن نقـوم بـها في ثقـة وإيمـان وشكل عملي ، بكل دقة وأمانة ، ومن غير تأخير أو انتظار.

﴿وَقُـلْ اعْمَلُـوا فَسَـيَرَى اللَّـهُ عَمَلَكُـمْ وَرَسُـولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[١].

[١] التوبة الآية: ١٠٥

الشعور بالمسئولية ميزة الحياة الإسلامية !

يأتي في إطار العطاء الحضاري للإسلام الشعور بالمسئولية كدعامة أساسية لبناء المجتمع الأفضل، يعم هذا الشعور كل فرد من أفراد المجتمع في الحياة الفردية والجماعية، وفي الشؤون الخلقية والعائلية والسياسية والاقتصادية التي لا تجد طريقها نحو تحقيق الهدف المنشود من غير أن يتمتع الناس بهذا الشعور الكريم، ولقد كان المجتمع الجاهلي قبل الإسلام يعيش بمعزل عن هذا الشعور فكان مجتمعاً متفككاً بعيداً عن الجد المطلوب والتماسك والوحدة، لم يكن يعرف معنى التعاون على الخير والتضامن والتناصح، إنما كانت الكلمة النافذة فيه للقوي الذي يستند إلى قوته ولم يكن في معجم لغته كلمة تشير إلى مفهوم للمسئولية، فعاش الناس أهواءً وشهوات، ومعاصي ومنكرات، يكونون طوع إشارتها، وينفذون ما توحي إليهم النفس من أوامر، لا يراعون في ذلك إلاً ولا ذمة، فكانت الحياة فوضى، وكان المجتمع أشلاء جسد ممزق، تتحكم فيه العداوة والبغضاء والقسوة والجفاء، والذل والشقاء ليس غير.

وفي مثل هذا الوضع الشاذ والجو الخانق ركز الإسلام

على بناء مجتمع أفضل يقوم على أساس متين من الأخوة الإيمانية ، والاجتماعية الخالصة ، والحب والطاعة ، والنصح والعطف ، والإيثار والتضحية ، وهنالك دوّى الصوت النبوي الكريم يحذر من سوء عاقبة الجهل والأنانية والحسد والبغض والفرقة والانشقاق ، ويدعوهم إلى أخوة الإسلام وفضائل الأخلاق ، وآداب الاجتماع ،"إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم"[1] وأراد أن يقضي على الشعور بالتفاوت الطبقي والتفاخر بالأنساب والآباء ، وعلى العنصرية القبلية والعصبية الجنسية واللونية والدموية واللغوية فقال:"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[2] وقال:"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً"[3]، وقال:"لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى ، كلكم من آدم

---

[1] رواه مسلم بلفظ:"إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً" كتاب البر، باب تحريم الظن والتحسس والتنافس رقم الحديث: ٢٥٦٣، والبخاري في كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع رقم الحديث: ٥١٤٣ و: ٦٠٦٤ و: ٦٧٢٤

[2] رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم رقم الحديث: ٦٠١١، ورواه مسلم في كتاب البر، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم الحديث: ٢٥٨٦، وفي رواية البخاري"ترى المؤمنين".

[3] رواه البخاري في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، رقم الحديث: ٦٠٢٦، وأخرجه مسلم في كتاب البر، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم رقم الحديث: ٢٥٨٥

وآدم خلق من تراب".

بجميع هذه التوجيهات النبوية التي كانت من خلال الوحي الذي تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه الكريم ، أشار إلى مكانة كل مسلم وموقفه من غيره ، وأثار فيه معاني المسئولية التي يتولاها كفرد من أفراد المجتمع ، وطلب منه أن يكون مرهف الشعور بها ويأخذ العدة لأدائها على أحسن وجه ، ولا شك فإنه حينما يعرف ما عليه من واجب الإخاء ، وما تتطلبه الوحدة التي صرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يعود عليه من تبعة نحو إخوانه وأعضاء أسرته الدينية ، فإنه يسعى للقيام بذلك ، مما يتكفل بوجود المجتمع الأفضل ، الذي يأوي إلى ظلاله الوارفة الباحثون عن الأمن والعافية والحب والسلام .

ولقد ضغط الإسلام على إثارة الشعور بالمسئولية في نفوس المسلمين ، لأنه أراد أن يجعله صفة دائمة وميزة قائمة في كل شخص ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولته البليغة الخالدة التي سجلها تاريخ الاجتماع العالمي وجعلها مبدأ كل قوة ووحدة ، ومنبع كل نشاط وعمل:"كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته"، ثم فسرها بما يزيدها وضوحاً وتبياناً فقال:"فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها ، والرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته ، والخادم راع في مال سيده ، وهو مسئول عن رعيته"وفي ضوء هذا البيان الجلي تتبين

أهمية هذا الشعور ودوره في بناء المجتمع الذي يتوخاه الإسلام ، والمجتمع المتكاتف والمتعاضد ، والمجتمع المتماسك الذي يخطو نحو السعادة ، والازدهار، والأمن والاستقرار.

كان ذلك شعار المجتمع الإسلامي بالأمس .

بالأمس كان هذا الشعور الكريم صنو الطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان المسلم يعيشه في كل لحظة من لحظات الحياة وفي كل دقيق وجليل ، ولا يقر له قرار ما لم يرض ضميره بأداء الواجب الذي كان عليه بغاية من الدقة والأمانة ، لقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديد الإرهاف بالشعور بالمسئولية الملقاة عليه من قبل الخلافة ، فكان لا ينام ويبيت الليالى في التفتيش عن أوضاع الرعايا ، وتفقد أحوال البلاد والعباد ، مع حرصه الشديد على أداء مسئولياته الشخصية من عبادة الله تعالى ورعاية العائلة وتربية الأولاد وأداء حقوق الناس ، كان يعطي ولا يأخذ ، ويتعب ولا يستريح ، ويخدم مصالح الدولة ويضحي في سبيل ذلك بكل ما كان يملكه من قوة وصحة ، وعلم ومال ، وتدبير وفراسة إيمانية ، ثم يتحسر ويقول خوفاً من العاقبة وشدة الحساب:" ليتني لم تلدني أمي. . كنت شجرة تعضد".

فسواء كان الشعور بالمسئولية الاجتماعية أو المسئولية الفردية لا يُعفى عنه المسلم في حياته ، بل وإنه لا يكاد يعيش في هدوء وطمأنينة ، ما لم يكن قلبه عامراً بهذا الشعور، وهنالك تصلح الأمور، وتستقيم العلاقات بين الناس ،

وتعم العواطف النبيلة المشرفة في المجتمع ، من الحب والأخوة والثقة والإيثار ، وتسود عوامل الأمن والسلام والرخاء ، وتزول أخطار الجنايات والفساد والظلم والبغي والاعتداء على الأرواح والأموال ، ويقوم مجتمع مثالي عادل يتميز بصفات إنسانية وفضائل خلقية وخصائص إيمانية ، لا تتوافر في أي حضارة أو فلسفة اجتماعية في العالم اليوم ولا عرفها تاريخ الحضارات القديمة في اليونان والرومان ، وذلك العالم الحضاري العقلاني الذي حكم العقول والنفوس إلى مدة طويلة بفلسفته الحضارية وادعاءاته العقلية ، ولكنها لم تغن عن إنسانية الإنسان وشرف مكانته وعلو منصبه ، وعظم مسئوليته شيئاً .

فعاش الناس في الحضارات القديمة خواءً روحياً وفراغاً خلقياً وقلقاً نفسياً ، وتفاوتاً طبقياً ، مما حول الحياة إلى جحيم وشقاء ، وقرّبها من هوة الهلاك والدمار، يظلم القوي الضعيف ، ويذيقه ألواناً من العذاب ، ويتفرج على صيحاته ويتغنى على عويله وصُراخه إذا ألقي في كيس مملوء بالرمل ورُمي في البحر ، أو سلطت عليه النار وأوقدت المشاعل بشحم جسمه ، أو ألهبت أعضاؤه بضرب متتابع من سياط الجلد والحديد ، بهذه الأعمال الوحشية الإجرامية والسبعية كانت تعرف حضارات العالم القديمة ، التي كانت بمعزل عن أي نوع من الشعور بالمسئولية .

وجاءت الجاهلية الجديدة بعيدة عن هذا الشعور،

فانطلقت ترتع في الأرواح والأعراض والحرمات والعلاقات الإنسانية من غير شعور بأي مسئولية ، فانتشرت الرذائل الخلقية والجرائم الإنسانية ، والأمراض النفسية في هذا المجتَمع الجاهلي ، وعاش أفراده أحقاداً وعداوات ، ومنافسات ، واعتبارات مزورة ، دون أن يوجد فيهم مراعاة للكرامة والذمم ، واحترام العلاقات ، والصلات الدموية والقرابات العزيزة ، وما تاريخ الجاهلية بسر.

وظلت عجلة الحياة تدور حول الأهواء دونما نظام أو شعور بالمسئولية التي يتحملها كل إنسان إزاء نفسه وأهله وأولاده وإخوانه ومجتمعه ، وتلاشت كرامة الإنسان ورخص دمه وعرضه ، وأصبح كل شخص منطلقاً حراً في تحقيق ما توحي إليه نفسه ، وتملي عليه شهواته ، حتى وقفت الدنيا على شفا حفرة من النار ، تلفظ نفسها الأخير، لولا أبقت عليها رحمة الله وفضله الكبير.

ولما قدر لأوربا أن تخرج من زاوية الخمول إلى ساحة العمل والنشاط في القرن السادس عشر الميلادي ، وتجري بخطوات حثيثة في مجال السباق العلمي والحضاري وتُحرز قصب السبق فيه ، كان أكبر عامل في هذا الواقع شعورها بالتخلف في مضمار العلم والصناعة ، والإبداع الحضاري ، وذلك هو الشعور الذي أقض مضجعها ، وحرم عليها لذة الحياة الهادئة الرخية الناعمة ، فنهضت بعزم أكيد وقوة جدِيدة ، وتجاوزت جميع القياسات في النهضة العلمية

والصناعية ، وغيرت الفكرة القديمة عن نظام الكون وآياته بفكرة جديدة كانت أقرب إلى الحقائق الكونية ، وكان ذلك سبباً لتقدم أوربا في جميع المجالات الحيوية ، وتزعمها للموضوع العلمي الحديث .

ومن ثم تضاعفت مسئولية أوربا نحو إبراز دفائن الطبيعة واكتشاف الأسرار الكونية التي أودعها الله سبحانه في السماوات والأرض والجبال والبحار واختلاف الليل والنهار ، وفي الأنفس والآفاق ، حتى اعترف العالم كله بتبريزها في مضمار العلوم الطبيعية ، واقتفى الغرب كله خطواتها وركز وسائله وآلاته على مزيد من التقدم العلمي ، والإبداع الحضاري ، ولا يزال يتقدم ويتسع ويوفق إلى الإتيان بالحديث الأحدث من الصناعات والاختراعات ، مما قرب المجتمعات الإنسانية والأقطار البعيدة وأذاب المسافات والأبعاد المادية ، والتقى الشرق البعيد بالغرب الأقصى كأنهما شقيقان يتعايشان معاً .

لم يكن تقدم أوربا إلا نتيجة للشعور بالمسئولية على جميع المستويات الفردية والجماعية ، والشعبية والرسمية ، وقد بلغت في هذه الميزة إلى آخر المدى ، حيث إن أهلها اعتنوا بالوقت عناية بالغة ، وأقاموا له وزناً كبيراً ، ونظموه تنظيماً دقيقاً ، فضربوا أمثلة رائعة للمحافظة على الأوقات والمواعيد ، لا تراهم يتأخرون عن موعد العمل ثانية واحدة ، أو يتكاسلون في أداء الواجب ، أو يتحايلون فيه ، إنما يتمتعون

بشعور دقيق بالمواظبة على المواعيد ، والحضور في مواضع العمل قبل بدء الموعد بدقائق أو أكثر.

ثم إن الاهتمام بوفاء الوعد ، والالتزام بالصدق في القول والعمل ، والولاء لصاحب الإدارة ، والحرص الشديد على نفعه بجهود مخلصة ، وترقية المشروع ، وتوسعة نطاق الربح فيه ، كل ذلك مما يلتزم به الرجل الغربي ، ولا يحيد عنه للحظة واحدة ، بالرغم من أن ذلك ليس من تعاليم الديانات التي ينتمي إليها هو ، وإنما هي تعاليم الإسلام الخلقية التي أغفلها المسلمون وتمسك بها الغربيون .

إنني لا أرد بعض هذه الفضائل التي يُعرف بها الغرب إلا إلى تعاليم الإسلام الخلقية التي أثارت الشعور الدقيق بالمسئولية في المجتمع الإسلامي ، ونشأ عليه الأجيال ، وورثه الأبناء عن الآباء ، فكانوا قادة الشعوب والأمم ، وبينما كان المسلمون حملة لواء هذا الشعور العظيم أصبح اليوم أبناء الغرب ممثلين لهذه الميزة في جميع الأعمال والمناسبات ، ولعل ذلك هو السر في تقدم الغرب المادي ، وتخلف المسلمين العلمي والديني .

فمتى سنعود نحن المسلمين سيرتنا الأولى؟ !

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[١].

---

[١] الأحزاب الآية ٤

معارضة الإسلام ومسئولية الدعاة

إن أهل الغرب ومن على شاكلتهم من زعماء دول الشرق الكبرى شغلوا المسلمين في كل بلد بمشكلات سياسية واجتماعية كثيرة ، وجعلوهم من العجز والتخلف بحيث لا يستطيعون فيه أن يرفعوا رؤوسهم إلى عمل بناء فضلاً عن تطلعهم إلى مكانة للقيادة العالمية ، ولقد ركز هؤلاء الدعاة جهودهم على كبت الشخصية الإسلامية ، وطمس معالم الدين البارزة وخصائصه وسماته البينة أكثر من كل شيء آخر، لأنهم يعلمون عن تجارب عملية أن أخصر طريق للقضاء على أمة هو قطع علاقتها عن تاريخها وماضيها ، وفصلها عن خصائصها وسماتها ، وتهوين شأن العقائد والقيم الإيمانية التي يقوم عليها بناؤها الخلقي والاجتماعي .

ولكن العودة الملحوظة نحو الدين وصحوة المسلم في معظم دول المسلمين وخارجها بعثت يأساً كبيراً في نفوس زعماء الهدم والفساد ، وقد جنّ جنونهم في الأخير فالتجأوا إلى إشعال نار الحروب بين الدول الشقيقة المسلمة ، كما كان المشاهد في الحرب العراقية الإيرانية التي دمرت الحرث والنسل وأبادت الأجيال والعائلات بأسرها ، وكالعدوان

الصارخ على أفغانستان وشعبها المسلم ، وما قصة صبرا وشتيلا الغارقة في الدماء والأشلاء بعيدة ، وما خبر حمامات الدم البرئ في المخيمات بخاف ، وما قدسنا المحتلة بغريبة عنا ، وما قصة الغزو الأمريكي العراق العريق بشيء هيّن ، يتناساه التاريخ الحديث ، وهل جفت دموع المسلمين الغزار عليها ، بل وقد تزايد سيلانها منذ أن جرى تهويد القدس ، وهدمها بأساليب شتى ، ومن الذي يجهل ما حدث ولا يزال في كل يوم وليلة في البلدان المسلمة من مناوشات واشتباكات بين الإخوان ، والأشقاء من إبادات إنسانية على أوسع نطاق .

هذه حقائق صارخة يشاهدها كل من له عينان ، ولا يصعب عليه أن يدرك النوايا التي تختفي وراءها ، والإجراءات الانتقامية التي تكمن في خفاياها ، وما ذاك كله إلا لأن الإسلام يخرج ـ كما يزعمون ـ من زاوية الخمول إلى منصة القيادة العالمية ، ويتحدى القيادات المادية والفلسفات العلمية العالمية ، أن تأتي بمواصفات السعادة الحقيقية للإنسان في هذا العالم الحديث ، وليست هذه المخططات الإرهابية والإجراءات العدوانية نهاية المطاف لإبداء نقمتهم ومدى تخوفهم من منهج الإسلام للحياة ، ولكن هنالك مسلسلات من الدسائس والمؤامرات التي يواجهها المسلمون على اختلاف بلدانهم وجنسياتهم ويمرون من خلالها .

هنا تأتي المرحلة الحاسمة للتفكير، وتتطلب منا أن

ندرس هذا الواقع الخطير بشيء من الجدية والاهتمام لكي ندرك أبعاده ونتبصر الجذور الذاهبة إلى الأعماق ، ونعرف أن ما نواجهه من أعدائنا ليس مجرد صدفة ، إنما هو تدبير من الله العليم الحكيم ، ذاك أن العدو إذا كان باذلاً اهتمامه الكبير بجمع العدة والعتاد ، ومكباً على الإعدادات من كل نوع ، وكان الجانب الثاني في غفلة عن كل مقاومة أو رد عدوان ، أو دفاع عن النفس ، والنفيس ، فالنتيجة معلومة ، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى في مثل هذا الوضع بالإعداد الكامل والتأهب التام بالقوة والرباط﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1].

فكانت المسئولية علينا مزدوجة ، مسئولية الدعوة إلى الله مع استخدام وسائلها المشروعة لذلك ، ومسئولية الإعداد المادي من القوة والرباط ، مع الاستعداد الروحي ، فإذا كنا لا نستطيع أن نحسن القيام بهذه المسئولية الثانية نظراً إلى الظروف التي نعيشها ، والعجز الذي يفرض علينا فهلا نستطيع أن نستخدم سلاح الإيمان والسيرة الإسلامية القوية الذي طالما قام مقام السلاح المادي ، إذا استعصى علينا الموقف وحالت الظروف ، إن في التاريخ الإسلامي شواهد كثيرة على دور السلوك الإيماني أمام القوى الرهيبة ، وهو دور مستمر مع الزمان ، وهو الذي لا نستغني عنه في أي حال

[1] الأنفال الآية : ٦٠

من الأحوال .

إذا كنا نترقب الفرصة السانحة التي نتمكن فيها من مواجهة الوضع الخطير بالإعداد المادي الواسع ، ولم نتمكن من التوجه المخلص إلى بناء سيرتنا الإسلامية وإشعال جذوة الإيمان الخالص والطاعة الصادقة في القلوب ، فربما لا نقدر على إتمام أي جانب من هذين الجانبين ، وإنني لا أرى أن الإعداد المادي يغني عن السيرة الإسلامية والسلوك الإيماني ولا أعتقد أن بينهما تناقضاً ، بل الحق أن الإعداد المادي تابع لحياة الإيمان والإخلاص ، وسلوك الحب والطاعة ، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[1] .

[1] الحجرات الآية: ١٥

بناء الشخصية الإسلامية واجب أساسي وسياسي لكل بلد إسلامي !

أضحى الطفل المسلم اليوم فريسة العابثين بمصيره واللاعبين بمستقبله ، من قِبل أصحاب الحركات المشبوهة ، والديانات المنسوخة ، والأفكار الهدامة ، فقد انزوت جهودهم وبرامجهم الواسعة المكثفة إلى الطفل المسلم ، وركزوا عليه تركيزاً قوياً عن طريق التعليم ، ووسائل التربية ، وأجهزة الإعلام بأنواعها ، ذلك أن فطانتهم تركزت فيما يضر المسلمين أو ما يضعف أو يقطع صلتهم عن دينهم وعقيدتهم ، قد حدت بهم إلى اختصار عملية الهدم ، والبدء بالأطفال بالتوجيه المضاد الذي يتكفل بتغيير عقليتهم وتشويه عقائدهم ، وتقليل شأنها وأهميتها في مسيرة الحياة الإسلامية ، ولا مراء فيما إذا كان الطفل أسهل أداة وألين مادة تصاغ في أي بوتقة يراد بها ويرغب فيها .

ولقد أغفل المسلمون بوجه عام هذا المخطط البناء في ظاهره والهدام من داخله الذي دبره أعداء الإسلام من زعماء الفلسفات المادية لهدم المجتمعات الإسلامية ، وتشويه الأفكار والعقائد الإيمانية بواسطة الأجيال المسلمة التي تعيش بين

وسائل التعليم والإعلام وتتلقى تربيتها على أيدي رجال مشبوهين توفروا على تغيير عقلية ونظرية الجيل المسلم الصاعد في الدول والمجتمعات، وعاشت الجماهير المسلمة بوجه عام في غفلة عن كل ذلك، تاركة أولادها وأفلاذ أكبادها بأيدي المربين الأعداء، وتحت رحمة المدارس والمؤسسات التعليمية التي أنشئت لتربية الطفل المسلم والشباب الإسلامي الخاصة، ولترسيخ جذور المقت للفضائل الإسلامية، والعقائد الإيمانية في النفوس، وإحداث شعور بذهاب دور الإسلام في بناء الحياة الإنسانية في العالم الحديث، وانقضاء شأنه في تربية العقول والنفوس للإنسان المعاصر.

ومع ذلك فقد شمل نظام التعليم والتربية بجميع وسائله وأجهزته، أولاد وشباب الإسلام، وخاصة توجه هذا النظام نحو الأطفال الذين يسهل لديهم أن يستسيغوا كل تغيير ويقعوا فريسة لكل تخطيط دون أن يشعروا بذلك، وفعلاً ظهرت نتائج الانذياب والانصهار في مجموعات الشباب وأوساطهم ممن تظاهر بركونه نحو النظرات المادية والاتجاهات المضادة، وأهمل الإسلام ديناً وعقيدة ومنهجاً وسلوكاً، وعُرف بتحرره العقلي في كثير من المناسبات .

كانت تجربة تغيير العقلية والنظرة في الأطفال بطريق صامت من خلال التعليم والإعلام تجربة فريدة ناجحة مثيرة للغاية، تكلفتها قليلة، ونتائجها ضخمة ثابتة، ولكن الفئة

التي توصلت إلى هذا السر العظيم كانت من الحاقدين على الإسلام ومناوئيه ، ولكي لا ينتبه المسلمون إلى هذا الواقع أسدلوا عليه ستار العلم الحديث تارة ، وغطوه بالمصطلحات العلمية والتاريخية وبالأسماء الخلابة من الدراسة المقارنة بين الأديان والأفكار تارة أخرى ، ومن وراء ذلك تمكنوا من زعزعة أصول العقائد وثوابت الإيمان بمعلوماتهم الهدامة وإخراج هيبتها من قلوب النشء الحديث .

هذا واقع الحاقدين على الإسلام مع الأطفال المسلمين في كل مكان ، وقد أدركه أهل الدعوة والفكر الإسلامي والمعنيون بشؤون التعليم والإعلام في المجتمعات والدول الإسلامية ، ولكن اهتمامهم بتغيير هذا الواقع طالما انحصر في نطاق محدود من التحذير والتنبيه على مواطن الخطر، دون أن يصفوا علاجاً لمقاومة المخطط الدقيق الذي اكتوى بناره كل طفل مسلم في قليل أو كثير ، وذلك لا شك دليل على قلة الاهتمام بما يؤول إليه الطفل المسلم من سوء عاقبة ورهبة مصير، والله سبحانه يقول:﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [١].

إن المعنيين بقضايا الإسلام والدعوة الإسلامية لجديرون بالاهتمام الكبير بقضية الطفل المسلم ، وإنقاذه من ذلك المصير المشئوم الذي يساق إليه بوسائل التعليم وأجهزة الإعلام ، وذلك في تخطيط جدّي على ما يأتي :

[١] التحريم الآية : ٦

١ـ بوضع مناهج معادلة من الروضة إلى الثانوية على أقل تقدير، تغطي حاجات الطفل من التعليم والتربية في ضوء المنهج الخلقي والثقافي الذي يقرره الإسلام ثم يتناوله خبراء التعليم والتربية والتثقيف المسلمون بالتعديل والزيادة حسب متطلبات العصر وطبيعة التطورات العلمية والحضارية والثقافية ، بالختلاف الزمان والمكان ، واللغات ، واختلاف الأجواء والنفسيات .

٢ـ تطهير أجهزة الإعلام من البرامج الهدامة والمواد المضادة لفضائل الأخلاق ومن كل ما يتأثر به نفس الطفل وأخلاقه ويحيد به عن الطريق الطبيعي للتربية ، وهذا يتيسر للسلطات الحكومية في كل بلد مسلم عن طريق وزارات الإعلام والثقافة ، فإن المعنيين بقضية الطفل عدد كثير ، وهم يتمتعون بالاحترام في بلادهم ولدى مجتمعاتهم الإسلامية ، وإن الاعتناء الخاص بهذه القضية سوف يحل المعضلة ، ويقدم قدوة لجميع المجتمعات الإسلامية التي تريد حل هذه القضية ، في حدودها وضمن مناطق نفوذها ، ذاك أن قضية الإعلام الإسلامي بجميع أنواعه وأصنافه تبلغ من الأهمية بمكان ، وتتطلب الجدية في إثبات وجوده بالفعل .

٣ـ إعداد أدب إسلامي دسم للأطفال جميل المظهر والمخبر يغذي الطفل المسلم ويغرس في نفسه حب العقيدة والخلق الجميل ويدفعه إلى بناء السيرة المثالية ، والسلوك الإسلامي النبيل ، ويقدم له نماذج من رجال التاريخ وقصص

الأطفال المسلمين وأبطالهم مما يثير فيه الشعور بأهميته ووزنه ، وكونه عضواً مسئولاً في أسرته التي يعيش فيها ، فيشب على الفتوة والأخلاق الفاضلة تقليداً لآبائه وعظمائه الماضين ، وتنبعث فيه روح الإسهام في بناء مجتمع طفلي صالح .

وبعد فإن أولياء الأمور لمسئولون عن التركيز القوي على جانب تربية الطفل وبناء شخصيته القوية المثالية بكل الوسائل المعلومة ، من أحضان الأمهات المسلمات وتربية الروضات الإسلامية إلى وسائل التعليم والتربية وأجهزة الإعلام المنوعة ، على مستويات الفرد والجماعة والحكومة والمؤسسات الإسلامية ، وخبراء التعليم والثقافة والموجهين التربويين .

إن الطفل المسلم هو رجل الغد ، وموجه المستقبل ، وإليه تعود مسئولية البناء العقلي والخلقي والحضاري ، فهلا بذلنا جهودنا في تنشئة الطفل وتهيئة تربة صالحة لنموه وازدهاره ما دام مستقبل الأمة يتوقف على تربية الطفل المسلم الصحيحة المتزنة .

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾[1] .

---

[1] الأحزاب : ٤

مهمة البعث والتطهير !

لقد قام العلماء أصحاب اختصاص وتجارب في الدعوة والفكر الديني وأصحاب الفكر النير والفهم المتزن الصحيح للإسلام ببعث رسالة الإسلام من جديد وإحياء الفكر الديني ووضعه موضع الاعتبار، وشرح تعاليمه بحيث يتفق ومفهوم الحياة الواضح ويعين مسارها المستقيم، حتى يسبق العالم بسيره السريع في جميع المجالات، وحتى في المجال العلمي والتكنولوجي، وفي المجال الصناعي والإبداعي، مع التركيز على بناء الإنسان العظيم الذي يملأ العالم عدلاً ونزاهة، ويخلف الأنبياء والمرسلين في مهمة الخلافة فيستعرض الأوضاع السائدة ويتناول ما فسد منها بالإصلاح والتغيير، ويعالج ما جد منها بالتطبيق والتفسير، حتى يخضع هو الآخر لمصلحة هذا الدين وتعزيز فكره المستنير، وإعلاء كلمة الله على كلمة الإنسان المسكين، وفتح آفاق الفكر لتغطية جميع الجوانب الجديدة التي ظلت مهجورة ولم تلق عناية كاملة من الدراسة والتطبيق، ذلك كي تصبح أداة مفيدة في أداء دور البناء والإصلاح وتحقيق البعث الإسلامي الذي لا يتخلى عنه العالم المعاصر ـ ولا أن المجتمعات الإنسانية

تستطيع أن تثبت وجودها وتستحق الحياة والبقاء بدونه .

من هنالك توافرت لدينا مبررات كثيرة للقيام بواجب البعث الإسلامي في كل زمان ومكان ، واعتباره حاجة هذا الدين في كل عصر وجيل ، غير أن هذه الحاجة نحو بعث الدين من جديد ، والدعوة إليه أصبحت ذات جهات متعددة واتسعت دائرتها إلى مجالات عديدة لأنواع العمل من تفسير متقن للمفاهيم الدينية وعرضها على القطاعات العلمية والفنية والفكرية والإعلامية بأسلوب سائغ مقنع ومؤثر، وكذلك تمثيل الفكرة في الحياة العملية والمناحي التطبيقية بدءاً من النشاطات الرتيبة الشخصية والأعمال العادية إلى الوظيفة القيادية والمسئولية التربوية التي تتطلبها الخلافة المنصوصة الموهوبة من الله سبحانه للإنسان .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [1].

إن عمل البعث الإسلامي وتجديد الدين أو تطهيره من الأفكار الهزيلة ، والتفسيرات الخاطئة ليس مما يصعب على المسلم فهمه أو يتعسر عليه الإعداد للقيام به ، ولا سيما إذا كان لا يحرم سلاح الإيمان والعمل ، وسلاح العلم والفكر للخوض في هذه المعركة ، وأقولها معركة ، لأن ذلك في الواقع يقف بالمسلم في أحيان كثيرة موقف الجندي المهاجم الذي يشهد الصراع العنيف بين الإسلام بمعناه الكامل

[1] البقرة: ٣٠

والجاهلية بمفهومها الواسع ، وقد تتسلح هذه الجاهلية بأحدث الأسلحة وأفتكها بإزاء الإسلام الذي سيصرعها بقوة الإيمان والعمل ، كما حدث في أيام التاريخ الأولى ، ولكن لابد من إعداد واسع النطاق لتغطية البعث الإسلامي وتحقيقه ، وأعني بالإعداد أن لا يفوتنا الجمع المتزن التام بين الفهم الصحيح السليم للدين ، وتعاليمه في العقائد والأخلاق ، والأعمال والإيمان ، والاطلاع الواسع الشامل على جميع ما وُجد أو يُوجد في العالم الحديث من أفكار وفلسفات ، ومن مخططات ومرئيات وحضارات ، ومن تحديات يواجهها ومن نظريات وأيديولوجيات يعيشها ، سواء لخدمة العلم والدين أو لهدم القديم وتدمير المجتمعات وإبادة الإنسان الذي يؤمن بالقديم أو يعتقد في الدين .

وإذا كانت الجاهلية الجديدة تعتمد على أسماء ومصطلحات وعلى نظريات وأيديولوجيات وأفكار وفلسفات لفرض وجودها على العالم الحديث فإن إسلامنا كان ولا يزال في غنى عن أن يستند إلى نظريات وفلسفات ، وإن البعث الإسلامي النابع من نية صالحة وإرادة خالصة يغني عن أن يكون له أيديولوجية أو تكون له فلسفة ونظرية ، إذ أن الإسلام دين واضح من غير تفلسف وتعقد ، ورسالة إنسانية حية بدون التواء أو غموض .

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ، لاَ يَسْتَوُونَ﴾.[1]

---

[1] حم السجدة: ١٨

مسئوليتنا نحو بعث إسلامي

كل أمة ذات رسالة وتاريخ ركنت إلى الدعة والراحة ، ورحبت بالبذخ والترف ، وحنت إلى تقليد عادات الأمم المادية في معترك الحياة ، ونسيت وتناست مكانتها ورسالتها ، عوقبت بتشتت الشمل وتفرق الكلمة ، وأُخذت بتمزق الوحدة والقوة .

وقد ظلت الأمة الإسلامية مركز قوة عظيمة تنبعث من معنويتها وروحها المؤمنة ، وغيرتها الدينية التي اتصفت بها ، ولكنها في الآونة الأخيرة انفصلت عن مركز قوتها إلى حد كبير ، واتصلت بسفاسف الأمور وتوافه الأعمال التي جعلتها أضعف الأمم على وجه الأرض ، وأقلها صموداً في وجه الطغيان ، وأكثرها توزعاً في جبهات ومجتمعات وتمزقاً بين صفوف وجماعات .

لم يتمتع المسلمون بالقوة والصمود إلا عندما كانوا جبهة واحدة ويداً واحدة ، لا تفرقهم الأهواء ، والنزعات ، ولا تستحوذ عليهم الشهوات والاتجاهات ، بل كانوا كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، فكانوا في كل بقعة من الأرض ، وفي كل صقع من

الأصقاع ، سواء في الشرق أو الغرب ، والشمال أو الجنوب ، يتنفسون برئة واحدة ، وينظرون بعين واحدة ، ويتكلمون بلسان واحد ، ويفكرون بفكر واحد ، ويبطشون بيد واحدة ، وكانوا صخرة في وجه كل طوفان ، وسداً عالياً أمام كل سيل .

وفقد المسلمون مركزهم من القوة والوحدة حينما تغلبت عليهم الأهواء ، واستولى عليهم حبّ النفس والمال ، وأضاعوا معنويتهم الجبارة التي قهرت أكبر قوة في الأرض ، وإيمانهم الراسخ الذي تزلزلت منه الجبال الراسيات ، وقطّعوا جسدهم الموحد إلى أوصال وأشلاء ، وأصبح كل فرد مستبداً برأيه ، متفرداً بأهوائه ، وأعماله ، متحيزاً إلى جانب أو إلى فئة من بين فئات متعددة وجوانب مختلفة ، وصار كل إنسان له عين غير عين أخيه ، ولسان غير لسانه ، وفكر غير فكره .

هذه الحزبية أو الفردية التي أصيبت بها أمتنا أخيراً قد أضرت بها أكثر من كل شيء ، فهي التي جعلتها أضعف الأمم ، وجرتها إلى كثرة الخلافات والنزاعات ، وقد أدتها إلى صدامات مسلحة وحروب دامية وتركتها لحماً على وضم .

فبينما الأمة الإسلامية كانت تملأ قلوب الأعداء رعباً وخوفاً ، وتخوض في صفوفهم فتقضي عليهم وتطمس آثارهم ، وتأتي عن آخرهم ، وكان رجالها يدخلون في بلاط الملوك الجبابرة بدون خوف ولا ذلة ، فيجابهونهم مجابهة الند للند ، ويحدثون ضجة في البلاط لا يتجرأ عليهم أحد بالكلام ولا الإشارة ، أصبحت نفس تلك الأمة على عددها

وعدتها ووسائلها وإمكانياتها ، ورجالها وجيوشها ، وأسلحتها ، ومدمراتها تنهزم أمام عدو حقير ومقابل ذليل يصغر منهم عشر مرات .

إن هذا الضعف والخور لم يتسربا إلى معاقل الأمة الإسلامية إلا لأنها لم تعد متحدة النزعات والاتجاهات ، ولا متمسكة بمبدء الإيمان والعقيدة ، ومعتصمة بحبل الله الذي أمرها بالاعتصام به فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[1].

إن العمل لبعث إسلامي يفرض علينا أن نجمع قوانا وجهودنا المبعثرة على مركز واحد ، ويتطلب منا المشاركة المخلصة في هذا العمل بكل ما نملكه من وسائل وكفاءات ، ويدعونا إلى التضحية بالنفس والمال والمادة والمعنى في هذا المجال ، وتوجيه كل طاقة نملكها أو نقدر عليها لتقوية سواعد العاملين في هذا الحقل ، وتبني هذا العمل كلما وجد في العالم ، وتشجيع الهيئات والمؤسسات التي تقوم على هذا الأساس ، وتهدف إلى هذا العمل المبارك ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2].

---

[1] آل عمران الآية ١٠٥

[2] محمد الآية : ٧

ألسنا مسئولين ؟

الأدواء الخلقية التي يعاني منها إنسان اليوم لكثيرة وهي في الحقيقة تسبب كل مشكلة وكل اضطراب ، وكل فوضى ، وهي التي تجر إلى عداوات وخصومات ، وانتهاك حرمات ، وفتك بالأرواح ، وقتل وتشريد ، ثم إلى معارك دامية وحروب طاحنة ، ولعل أكثر الأمم معاناة من هذه الأدواء هم المسلمون ، المسلمون على اختلاف طبقاتهم ، وتباين درجاتهم ، والمسلمون في جوامعهم وجامعاتهم ، في بيوتهم وأسواقهم ، وفي داخل أسرهم وخارج ديارهم ، والمسلمون في مراكز حكمهم ومناصب قيادتهم ، والمسلمون في مقدساتهم ومناسبات دينهم ، والمسلمون في كل مكان .

ولقد كانوا فتحوا العالم ، وأصلحوا الأمم ، وطهروا الأرض ، وأزالوا أنقاض الفوضى الخلقية ، وأنقذوا الشعوب من حضيض الشهوات والأهواء ورفعوها إلى أوج الفضائل والمكرمات ، كل ذلك كانوا قد فعلوه بفضل أخلاقهم ودماثة طباعهم ، ونزاهة قلوبهم ، وبالتواضع المطلوب والسلوك الرفيع وبالسيرة الممتازة التي كانوا يتحلون بها في ظاهرهم وباطنهم ، ومع عدوهم وصديقهم ، ولا نعلم

مثالاً واحداً في التاريخ يؤكد أن المسلم أدى خدمة دينية بالعربدة وسوء الأخلاق، والقسوة والتفسخ، والمجاراة مع أهواء النفس.

تاريخ المسلمين يزخر بأنواع كثيرة من جلائل الأعمال والأدوار، وإنهم أنجزوا في مدة قليلة ما لم يكن بالحسبان، وأقاموا في التاريخ الإنساني من صروح العزة والفخار والمكرمات والبطولات ما عجز عن تصوره وإدراكه عقول الناس، إن المسلمين هم الذين سجلوا في صفحات التاريخ انتصارات باهرةٍ في مجال العلم والحضارة وفي مجال البسالة والقوة، وهم الذين صنعوا معجزات في مجال الحروب والفتوح، وحققوا مآثركثيرة في مجال الحب والأخلاق، ونشر السلام والعدالة في العالم المثخن بالجروح، وبين الأمم المظلومة المهضومة.

لقد فعل المسلمون كل ما فعلوه بالتزامهم طريق الإيمان والورع، وتمسكهم بمبدأ الحق والصدق، وتمثيل القيم الخلقية في حياتهم وأعمالهم، وتأسيسها على أساس المثل العليا.

وما دام المسلم شاعراً بمسئولياته وتبعاته وحريصاً على أداء ما عليه من الحقوق في ضوء التوجيهات الدينية في غاية من الدقة والإتقان والاتزان خرج من مسئولياته ناجحاً مسروراً، وسبب خيراً كبيراً في المجتمع الذي يعيش فيه.

وما كان المسلم مقتفياً أسوة الرسول صلى الله عليه

وسلم وجـاعلاً حيـاة الصحابـة والتـابعين رضـي الله عنـهم نموذجاً للاقتداء والاتباع عاش في سعادة وهدوء ، وكلما حــاد عن هذا الطريق ولو قيد شعرة أكب في الهاوية ، وعرقل سير الحياة ، ووفر من التعاسة والشقاء مــا يكفـي لهـدم المجتمـع ، وأعوذ بالله من كل شقاء و ذلة ، ومن كل ضعف وخور .

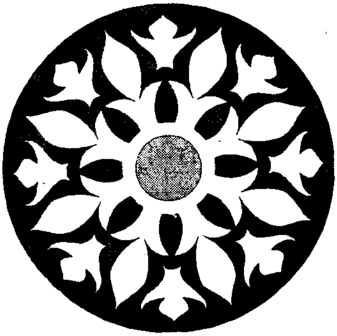

كيف
يتحقق نصر الله

كيف يتحقق فينا وعد الله ؟

لقد كان المسلمون سائرين على الدرب الذي اختاره الله سبحانه لهم ، فكانوا معتزين بما أكرموا به من دين وعقيدة وإيمان ، وكان غيرهم عالة عليهم في كل شيء ، حتى في ضرورات المعاش ، وحوائج الحياة المدنية ، والمصالح المادية ، وهنالك أتاح الله لهم أن يكونوا في قمة من العز والسعادة والسيادة والهداية ، فكانوا دعاة إلى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وكانوا سعداء الحظوظ في الدين والدنيا ، تغتبط بهم أمم الأرض وشعوبها ، وكانوا يسودون معظم المعمورة البشرية بكلمة الإسلام وشريعة الله ، وكانوا هداة الضُلال والغُواة إلى طريق الإيمان والعقيدة الراسخة ، لا يرضون بأي شيء من ذلك بديلاً ، ولا يبغون عنه حولاً.

أولئك هم المسلمون المخلصون الذين جمعوا بين الإيمان والعلم ، وبين العقيدة والعمل ، وبين العقل والقلب ، ومثلوا على مسرح هذا العالم حياة جديدة ، فريدة من نوعها ، لم تكن يألفها المجتمع البشري ولا اطلعت عليها الأنظمة والديانات والأساليب الموجودة في ذلك الحين ، إنها كانت مفاجأة كبيرة من جميع النواحي ، وكانت عجيبة من العجائب

لم يشاهدها البشر في أي فترة من تاريخه ، ولكنها كانت في الواقع المثل الكامل للحياة الذي أراد الله سبحانه وتعالى أن يعرفه الناس عن طريق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويروا نموذجه العملي فيمن تبعه من أصحابه وأتباعهم رضي الله عنهم ، حتى لا يحرموا ذلك السر الذي أودعه الله سبحانه في حياة الإنسان ، من خلافة الله في الأرض ، وما أراده من تحقيق هذه الخلافة بشكلها العملي في هذه الأمة التي سماها خير أمة أخرجت للناس .

ووعد الله سبحانه أعضاء هذه الأمة بالاستخلاف في الأرض والتمكين لدينهم الذي ارتضى لهم وتبديل خوفهم أمناً ما داموا يلتزمون بالإيمان والعمل الصالح ويوفقون بينهما ، ويعبدون ربهم بيقين من قلوبهم وثقة بنصره وتأييده ، مع محاربة القوى الباطلة التي تتألب على عبادة الله وتحاول أن تقتلع جذور التوحيد والعبادة الخالصة من القلوب ، وتتمنى أن تبث الشرك وعوامله وعناصره في حياة الناس ومجتمعات المسلمين .

ذلك أن الشرك أقوى عوامل الهدم والفساد في مجتمع التوحيد وأمة الوحدانية ، وسوف لا يضارعه عامل في الضراوة والشناعة وهدم المعنويات والعقائد الأساسية ، فإذا تمَّ له بقاء في مجتمع ما ، سرعان ما يتغلب هو على الأفكار والعقول ويستولي على رؤوس المشكلات والقضايا ، ويصبغ الحياة بكاملها بصبغة الشيطان ويصوغها في قالب الكفر

والحيرة والظلام .

هذا هو العنصر الذي خيم على المجتمع الجاهلي وتمكن من قلوب أهله فكانوا لا يكادون يفيقون عن غفلتهم المردية ويعودون إلى الرشد ، رغم الدعوات التي وجهها إليهم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبينها لهم أن الوثنية لا تستطيع أن تعالج الأدواء التي يعانون منها وهي لا تقدر أن تشق لهم طريقاً نحو السعادة في الدنيا فضلاً عن السعادة في الآخرة ، ولكن الشرك كان قد أعمى قلوبهم وأبصارهم ، لأنه امتزج باللحم والدم ، فباتوا على شركهم يعيشون في شقاء وذلة ، ويصرون عليه ، رغم أن الشرك ذنب ليس له غفران من الله تعالى .

﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[1] .

ثم لما تفتحت العيون ، وتبصرت الأبصار ، بأن الشرك لا يغني مما هم فيه من انتكاس وكبوة ، أقبلوا على توحيد الله تعالى وعلى عبادة الله تعالى وعلى الإيمان والعمل الصالح ، فتحقق فيهم وعد الله ، وأخذ النصر بأيديهم ، ورفع شأنهم ، وأعلا منازلهم في الدنيا والآخرة ، يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

---

[1] النساء: ٤٨

خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [1]

ولقد أصيب المسلمون في عهدهم الأخير بالإعراض عن عبادة الله ، و وقعوا ـ سواء عن شعور أو من غير شعور ـ في وثنيات متعددة الألوان والأسماء ، ومختلفة الأحجام والأنواع .

وضعفت صلتهم بالله تعالى بنصره ، وقل اهتمامهم بإخلاص النية لدى الأعمال والنشاطات ، مما أداهم إلى صنوف من التعاسة والشقاء والذل والهوان ، وقلل شأنهم وقيمة حياتهم ، كما نرى ذلك عاماً بين جميع طبقات المسلمين اليوم .

يقول الله تعالى :

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [2] .

---

[1] النور الآية: ٥٥

[2] النازعات : ٤٠-٤١

وما النصر إلا من عند اللّه ! [١]

لعل الإنذارات التي توجه إلى العراق لفرض حرب عليه ، و تغيير النظام القائم هناك ، تكون نذير خطر كبير لحرب كونية ثالثة ، تعتمد على التقنية الحديثة للحرب أكثر من أعتمادها على كثرة الجيوش وآلات الحرب ، ويبدو الآن وبعد فشل المحاولات لإيقاف نفسية العناد ، وتهدئة الأعصاب ، أنها واقعة بين يوم وليلة ، أو خلال عشية وضحاها ، وسوف لا يمكن تقدير خسائر هذه الحرب التي يجوز أن تتحول إلى حرب نووية ، رغم تدفق ترسانة الحرب بسرعة هائلة ، وتجمع المعدات والجيوش في المنطقة ، والأراضي المجاورة للعراق ، فقد تتجاوز هذه الخسائر الرقم القياسي في كل من القطاع الاقتصادي ، والأرواح البشرية ، كما أن تلوثات الحرب تستمر إلى مدة طويلة ، وتتعدى آثارها إلى جميع قطاعات الحياة الفردية والاجتماعية ، أما الاقتصاد العالمي فيصاب بأزمات وظروف سلبية تكون نذير خطر كبير ولا تزول آثارها في مدة قصيرة .

هذا ، وفي نلحية أخرى تستغل إسرائيل هذا الجو

[١] كُتب هذا المقال الوجيز قبل الغزو الأمريكي على العراق بأيام عديدة

الساخن لقصف الشعب الفلسطيني ، وإرغامه على الاستسلام أمام العدوان ، وخضوعه للكيان الصيهوني ، والعمل بما اقتضاه ، وما يدور الآن في هذا البلد المسلم من عمليات الإبادة والاجتياح الواسعة ضد المسلمين هناك ، وما يقوم به العدو الصهيوني من هدم جميع القيم الإنسانية ، والتدمير الشامل في مخيمات اللاجئين ، وبيوت السكان الآمنين ، إنما يفوق تلك الجرائم الإنسانية التي مرت على الأمة الإسلامية يوم"هلاكو" و"جنكيز"،والواقع أن أعداء الإنسانية اليوم أشد من أولئك بالنظر إلى الوسائل والآلات المبيدة المدمرة التي هي في حوزتهم ، وهم يترقبون الفرصة الواقعية لاستعمالها ضد الأمة الإسلامية بكاملها .

مع تزايد أخطار الحرب واندلاعها على العالم الإسلامي باسم العراق ، تكون الأمة مسئولة عن الإعداد المستطاع للدفاع عن القيم ، والمثل الدينية ، والوقوف بإزاء الطغاة المعتدين ، والأعداء الظالمين كجسد واحد ، ومقاومة الحرب بكل شيء من العدة والعدة ، والثقة بالنصر بكامل الإخلاص ، والتوجه إلى الله تعالى ، والاعتماد عليه وحده ، إنها أول حاجة في مثل هذه الظروف ، فمتى تقف الأمة كالبنيان المرصوص في وجه العدو ، وتصطبغ بصبغة الإيمان ، والتوكل ، والإنابة إلى الله ، وروح الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ومتى تتسلح بسلاح الوحدة ، وتتمثل كجسد واحد ، ويد واحدة ، هنالك يأتي النصر، ويفضح

العدو، ويخذل الشيطان ، ويفرح المؤمنون بنصر الله .

ولا شك فإن شتات الأمة ، وتغافل المسلمين ، وتشاغلهم بأمور لا تعنيهم ، واهتمامهم الكبير بالمصالح المحلية والفردية ، وقولهم ما ليس في قلوبهم ، وانشطارهم عن الصف الجامع ، وتوليهم أعداء الله ورسوله ، إنما جعلهم في المؤخرة ، وشغلهم بذات نفوسهم ، يقول الله تعالى استنكاراً لهذا الشأن :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[1]، ثم يدعو الله تعالى عباده المؤمنين إلى توحيد الصف ، والقتال في سبيله ، والصمود أمام الظروف القاسية ، والعدو المغرور بقوته ، كالجبال الراسيات﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [2]وفي السياق نفسه يدعو الله تعالى عباده المؤمنين إلى تجارة رابحة ، تكون سبباً للنجاة من كثير من الهموم والأحزان ، ومن الشقاء الذي يشمل الحياة وما إليها ، فلا يكون أقل من عذاب أليم ، وهي تجارة تتمثل في الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والتضحية بالنفس ، والمال في الجهاد في سبيله ، والمقابل الذي سيناله المؤمنون ، أغلى من الدنيا وما فيها ، وذلك هو الفوز العظيم ، ونعمة أخرى يحبونها وهي بشارة النصر من الله وفتح قريب .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ

[1] الصف الآية :٣
[2] الصف الآية : ٤

مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

---

[١] الصف الآية: ١٠-١٣

التضحية والإنفاق والإخلاص

إن وقفة قليلة أمام المجتمعات الإنسانية في جميع أزمنة التاريخ تعطينا فكرة عن أنواع التضحيات التي تتحقق من طريق الأفراد والجماعات، فقد يضحي الإنسان بأغلى ما لديه من وقت ونفس ومال طمَعاً في جاه أو منصب، وما أشبه ذلك، وقد رأينا أن طبقة من سفلة الناس ترى لزاماً عليها أن تقدم النذور والقرابين إرضاءاً للأصنام والأوثان، والكهان، أو المشعوذين ممن يتظاهرون بالقدرة على تغيير الأحوال والتصرف في الأرواح والأموال، وكثير من الناس يعتبرون أنفسهم مرغمين على التضحية بالرغائب وبالمحبوب المضنون في سبيل إرضاء السادة والكبراء زاعمين أن ذلك يوفر لهم حياة الأمن والرفاهية، ويتوج مستقبلهم بالسعادة والازدهار.

هذه طبيعة الإنسان ولكنه قد يتناساها أو يتغافلها في نشوة الانتصار وغمرة الرفاهية والأحوال المواتية، كما هو المشاهد الملموس لدى الفئات البشرية التي تتمتع بالقوة وتتحكم قبضتها على الظروف، وتتجمع حولها الوسائل من كل نوع، ولكنها سرعان ما يتقلص عنها ظل القوة

والمنصب ، ويتناثر ما لديها من القناطير المقنطرة من المال والثراء يميناً وشمالاً ، فتعود إلى الطبيعة المودعة في نفوس أفرادها ، وتتجلى فيها العبودية والعجز والضراعة والدموع ، ونذور من الأشواق والآمال ، وتتمنى على الله تعالى أن يقبل منها أي تضحية بما تملكه من مال ومتاع ، ويكرمها بالعودة إلى أحسن حال وأنعم بال .

كل ما يملكه الإنسان هو في الوقع ملك الله سبحانه وهو يختبر عباده بطلب القروض منهم حيناً وأخذ الصدقات حيناً آخر، يقول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1]، ويقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[2]، وكلما كان الإنسان أقرب إلى ربه كان اختباره عظيماً ، وإن لنا أعظم مثال في أبي الأنبياء إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا صلوات الله وسلامه ـ حيث إنه أمر بتقديم فلذة كبده في سبيل الله تعالى ، وذبحه له ، فلم يتأخر للحظة واحدة في امتثال الأمر ، وقد أكرمه الله بالقبول وترك ذكره في الأولين والآخرين ، وخلد سنته في جميع العالمين .

لا قيمة للحياة إذا لم تتحلّ بدوافع التضحية بكل شيء في سبيل الله تعالى ، إذا كان الإنسان يستطيع أن يضحي بأغلى ما لديه في سبيل الحب وينفق كل ما يمكنه إرضاءً

[1] المزمل الآية : ٢٠
[2] التوبة : الآية : ١٠٤

للمحبوب ، فما باله إذا كان يحب رب السماوات والأرض ويتفاني في حبه ، ثم لا يضحي بنفسه و رغائبه وشهواته وحاجاته وأحلامه وأمانيه في سبيل هذا الحب العظيم .

هنا موضع الامتحان ، فإما أن يرتبط المرء بربه ويؤثره على كل شيء ، ويعتز بذلك ويفتخر، وإما أن يتكاسل في الخضوع والعبودية وتقديم النذور والتضحيات بما لديه من نفس ومال أو منصب أو قوة ، ابتغاء وجه ربه تعالى ، ومن ثم يكتب له الشقاء اللازم ، والحياة التعسة في الدنيا ، وماله في الآخرة من نصيب .

دافع التضحية في الإنسان يرفع قيمته ، ويصله بالملكوت الأعلى ، ويوفر له السعادة والحظ الأوفر من الأمن والعافية والعيش المطمئن في هذا العالم المادي ، ويفتح له باب الكرامة والعزة في الآخرة ، ويرضى به مالك الملك ويكثر له العطاء من كل نعمة ويجزل له الجزاء من كل سعادة ، وذلك ما نراه يحث الله تعالى عباده على الإنفاق من المحبوب ، وعلى إيثار حياة الآخرة على الدنيا ،﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[1] ويكون جزاؤه مهيأً معداً في الآخرة بأروع شكل وأجمل صورة ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[2].

---

[1] آل عمران الآية: ٩٢

[2] المزمل الآية: ٢٠

ولكن لا بدَّ مع كل تضحية ومع كل برّ وكل إنفـاق من الإخلاص لله تعالى ، وذلك ما ينال مـن الله تعـالى قبـولاً وإعجاباً ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُـوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِـهِ عَلِيـمٌ﴾[1].﴿وَمَـنْ يَتَّـقِ اللَّـهَ يَجْعَـلْ لَـهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾[2].

"سئل رسول الله صلى الله عليه وسـلم عـن الرجـل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياءً ، أي ذلك في سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكـون كلمة الله هي العليا ، فهو في سبيل الله "[3].

[1] آل عمران الآية: ٩٢
[2] الطلاق الآية:٣
[3] متفق عليه (البخاري :٢٨١٠، ومسلم: ١٩٠٤)

الصبر ودوره في حياة المسلم

للصبر في جميع شؤون الحياة الفردية والجماعية دور كبير، وتتجلى قيمته في إيجاد الاتزان بين مختلف الجهات والاتجاهات ، وبين متعدد الاهتمامات والنزعات في الحياة الإنسانية ، عليه يرتفع صرح السعادة والهدوء النفسي في هذا العالم ، ومنه ينبع الحب الصادق لله ، والثقة الكاملة به ، والاعتماد القوي عليه ، وبالصبر يسبرغور الأصالة النفسية ، وعمق الإخلاص لله وقوة الإيمان به ، ولكون الصبر هذا العامل الأقوى في رفع شأن المرء وإعلاء قيمته ، أولاه الإسلام أهمية كبرى وأوصى المسلمين بالتشبث بأذياله لدى الشدائد والمصائب بوجه خاص ، وأمرهم بالحرص عليه والتمسك به في كل مناسبة ولدى كل حاجة .

فأمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالاهتمام الشديد بمعنى الصبر ، وأمرهم أن يتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر، لأن في ذلك تفادياً من كل خسارة ، وضماناً لكل فوز ونجاح وسعادة ، ولأن الإيمان والعمل الصالح لا يثمران الثمار المطلوبة بدون الصبر ، ومن غير المواظبة عليه في كل لمحة ، وقد بشر الله تعالى الصابرين بشارة عامة ، ولم يحدد لهم جزاء ،

فقال في كتابه العظيم:﴿وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[١] وقال في الحديث القدسي:"كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به"[٢]

ولزيادة أهمية هذا العنصر الكريم في حياة الإنسان كرر الله سبحانه ذكره في كتابه وعظم شأنه ، ورفع منزلته وجعله أساساً كبيراً للإيمان والإخلاص والحب والثقة ، وجميع الصفات الإنسانية المثلى ، بل أقام عليه في الواقع أساس السيرة المثالية والأسوة الحسنة ، وربط به السعادة والنجاح والغلبة والانتصار على الباطل والاعتبارات الزائفة ، وإن نظرة واحدة على تاريخ الإسلام البدائي تؤكد ما للصبر من دور كبير في ترسيخ أقدام المؤمنين ونصرهم وغلبتهم على قوى الشر والطغيان ، فكم صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أذى المشركين والكفار وكم صبر أصحابه رضوان الله عليهم على ما واجهوه من ظلم وقساوة وسوء مخاطبة ومعاملة ، ظهر من الطغاة والأعداء .

ولإبراز دور الصبر في حياة المسلم وتعويده عليه وتحبيبه إلى النفس شرع الله سبحانه وتعالى ركناً مستقلاً في الإسلام هو إحدى دعائم الدين ولا يكتمل بناء الإيمان بغيره وهو الصيام الذي جعله مرآة صادقة للصبر ومظهراً جلياً له ،

---

[١] البقرة الآيتان: ١٥٥-١٥٦

[٢] أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب فضل الصيام رقم: ١٦١-١٦٣ ، وأخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب فضل الصوم، رقم: ١٨٩٤ ، واللفظ لمسلم.

وفرضه لمدة شهر كامل بغية تثبيته في النفس، وترسيخ جذوره إلى الأعماق، لكي لا يغفله المؤمن في أعماله وعاداته وفي إسراره وإعلانه، ولا يتناساه إذا ما حلّ به امتحان أو أصابه بلاء، فالله سبحانه وتعالى طالما يبتلي المؤمن في أحب الأحباء لديه، وآثر الأشياء عنده، ويختبر صبره وقوة تحمله للامتحان، فإذا كان الصبر مألوفاً قد ألفه في كثير من الشدائد والصعابه وحيثما ينقطع الأمل، ويخيب الرجاء، فلا شك أنه ناجح في امتحان صبره وفائز برضا ربه(بإذن الله).

ولكن شهر الصبر هذا ينال من الجفاء وقلة الاحتفاء ما لا يخفى في مجتمعات المسلمين، فكثير من الناس يتجاوزون الحدود المألوفة في دعوى الإسلام والإيمان الخالص، ولكنهم لا يخجلون أبداً إذا أفطروا في نهار رمضان، وأعلنوا إفطارهم بوقاحة منقطعة النظير، أو صاموا ولكن لم يعرفوا للصيام معنى سوى الإمساك عن الأكل والشرب دون أن يحفظوا ألسنتهم وأيديهم من إيذاء إخوانهم المسلمين ويحاولوا التعرف بمعنى الصبر في الصيام، أو اكتفوا بالجوع والعطش فقط، ولم يروا بأساً فيما إذا تعاملوا بالربا مثلاً أو تشاغلوا بأمور ومعاملات محرمة، أو انتهزوا الفرص للانتقام من شخص أو النيل من عرض أو انتهاك حرمته.

في مثل هذا الوضع أو شبهه يعيش المسلمون هذا الشهر العظيم الذي هو ربيع القلوب المؤمنة وموسم العبادات والمكاسب الغالية على الإطلاق، على أن الرسول

صلى الله عليه وسلم أعلن مدوياً مجلجلاً فقال: من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة بأن يدع طعامه وشرابه"[1].

فكيف يفهم المسلمون ومتى يعودون إلى درب الصبر والتقوى ؟؟!

[1] رواه الترمذي عن أبي هريرة، أبواب الصوم، باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم رقم: ٧٠٧، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الحكمة ضالة المؤمن !

قليلا من التأمل في كثير من القرارات والإنجازات التي نتولاها حول المواضيع الشائكة والقضايا المحرجة مما يتعلق بحياتنا الاجتماعية ، يوضح أن عنصر التسرع في الحكم وأحيانا التطرف في الأمور ، يتغلب على أفكارنا وآرائنا ، وقلما نأخذ بالحيطة في بت الحكم النهائي حول الأوضاع والأحداث التي تواجه المسلمين على مستويات متعددة وفي أشكال مختلفة .

أظن أن العوامل التي تتحكم في مرئياتنا وإصدار الحكم نحو كثير من المشكلات والمحن التي نعيشها نحن اليوم في عالمنا الحديث ، هي عوامل حضارية واجتماعية وإعلامية وسياسية ، لا تقوم على تربية العواطف وفق الطبيعة بل ويكون لها تأثير معاكس على حياة الشباب وجميع أعضاء المجتمع ، فيفوتهم التفكير الهادئ والحكمة في شؤون الحياة ، ودراستها في ضوء الواقع والأصالة ، وقد ينحرف بهم الطريق السليم فيقعون على دروب ذات التواء وغموض ، فيها إثارة للعواطف المضادة ، وإشعال جمرة الغضب ، وهنالك يقع الخطأ ويتناسى المرء ما قد يواجهه من أجل ذلك من عاقبة سيئة في المستقبل ، فلا يتردد في الإقدام بآخر ما يمكنه من

تسرع وتطرف لا تحمد عقباه في معظم الأحوال ، وإن ما نراه اليوم من آثار الكبت والقمع في أوساط الشباب الذي يقع فريستها ليس إلا من نتاج التسرع وفقدان المراعاة للحكمة في مواجهة الأحداث والقضايا ، إن حضارتنا الإسلامية تنظم الحياة في ضوء الفطرة البشرية وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وتؤسس المجتمع على أسس سليمة من تبادل المنافع والمصالح والأخلاق الفاضلة والعلاقات المخلصة بين الإنسان والإنسان ، وبين الله والعباد ، فيكون بعيداً عن كل شائبة انحراف ، ويلتقي فيه الناس على مبدأ الحب والتعاون على البر والتقوى ، وعلى مبدأ الحب في الله والبغض في الله ، فلا ظلم ، ولا رذيلة ، ولا شتيمة ، ولا بغض ، ولا شنآن .

وهكذا تطيب الحياة الاجتماعية وتنهار دواعي الغيظ والتسرع والانتقام ، وتتساقط جدران البغض والشنآن والمحايلة والممالأة ، بل وجميع الرذائل الخلقية والنفسية والفردية والجماعية ، مما يتكفل بقيام مجتمع مثالي يعيش فيه الناس سواسية كأسنان المشط ، وتتمثل فيه الأخوة الإسلامية العالمية بأروع مظاهرها وأعمق مفاهيمها ، كما قد شهده التاريخ في مختلف فتراته في بلدان متعددة .

الحكمة التي فقدناها اليوم في حياتنا ، ليست هي حكمة الرأي والتفكير، وحكمة العلم والتحقيق فقط ، ولكنها قبل كل شيء حكمة المعايشة وحكمة التربية ، وحكمة الاجتماع والتعامل ، وكل ما يتصل بالتوجيه الخلقي

والعملي ، وما يتصل بالسيرة والقدوة ، والواقع الذي غيرته اليوم العوامل الحضارية المادية التي فرضها علينا الغرب والشرق والعالم المادي كله ، بواسطة الإعلام والتعليم ، وأجهزتهما وآلاتهما التي تحمل لون الهزل أكثر من الجد ، على أنهما بمثابة العمود الفقري في جسم أي أمة أو شعب .

ولا شك فإن أمة الإسلام تحمل ميزات اجتماعية كثيرة تمهد لها الطريق نحو بناء المجتمع الأفضل الذي يتوخاه الإسلام من أتباعه ومن بينها اتخاذ الحكمة والتأني في الأمور لكيلا تتخلخل بنيتها الاجتماعية بسلطات خلقية تضربها وتحدث زعزعة في داخلها ، فلا تلبث أن تتداعى جدرانها وتنهار بأدنى هزة وأقل محاولة مضادة .

إننا إذا توقينا التسرع في الحكم وتمالكنا أعصابنا عند حدوث ظروف صعبة أو مشكلة اجتماعية ، وإذا حاولنا أن نتوصل إلى حلول سليمة بالهدوء والصبر وفي ضوء الحكمة والتفرس الإيماني لاستطعنا أن نكسب القلوب ونتغلب على الظروف ، ونظفربأنصار وأصدقاء في مجال الدعوة وبناء السيرة المثالية ، ونشر العدل والرحمة والحنان .

ذاك طريق إيجابي نحو وقوفنا من الأمور والأحداث والقضايا الشائكة موقف من يريد الإصلاح ، والنصح والبناء ، ويريد أن يجنب الحياة والمجتمع كل ما يؤديهما نحو الهدم والتزعزع والانهيار.﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾[البقرة : ٢٦٩].

العقيدة والاستقامة

للعقيدة في حياة المسلم دور كبير نحو تنظيم حياته على أسس جامعة بين الدين والدنيا وتركيزها على قيم أخلاقية ، ومثل عليا ، وهي التي تميز الإنسان المسلم عن غيره ، وتمنحه وسامة الطاعة والولاء للسلطة العليا والحب والفداء في سبيل غاية مثلى ، إذ لا مناص للإنسان من الخضوع أمام القوة والسلطة والحكم ، وحتى إن الشخص الذي يعتبره الناس صاحب السلطة الأخيرة ومصدر الأمر والنهي يشعر بمسئوليته نحو أداء الواجب الذي يتولاه ، ويضطر إلى إرضاء الجماهير تارة وإخضاع الرأي العام لنفسه ولمصلحته تارة أخرى .

ولكن العقيدة تنقذ صاحبها من ذل العبودية للإنسان ، أو الخوف من الظروف والأحوال ، إنها تراقب حياته لئلا يتسرب إليها شيء من الحب غير المشروع للجاه والمال والشهوات من غير أن يشعر به صاحبه ، وتراقبها لكي لا تتلوث الحياة بالركون إلى ما يعكر عليها صفوها ، وإن هذه الرقابة تمتد إلى كل جانب وفي كل جزء من الحياة ، وتجعل صاحبها من التورع والأخذ بالحيطة البالغة في كل شيء على

القمة ، ومن فوقها يطل على الحياة والكون ، ويفرز نصيبه منهما بقدر ما يرى حاجته إليه ، فلا يكون متهوراً في الرؤية إلى حقائق الأشياء ونتائج الأعمال ، ولا يكون متكاسلاً في أداء واجبه نحو بناء السيرة وتكوين المجتمع الأفضل .

إن العقيدة الدينية هي التي تدفع المرء على ترخيص النفس والمال في سبيل إرضاء الضمير ، وتحقيق شريعة الله في الأرض، وهي التي تمنعه عن الوقوع في الهاوية التي أشار إليها كتاب الله فقال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ، نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ وهي التي تمنعه عن مساومة الضمير ، ومراودة أهل الحق ، وعن التنازل عن المستوى الإيماني ، والقيم الخلقية في أصعب اللحظات وأدق المواقف ، ثم إنها هي التي ترفع قيمة الإنسان ومكانته بين بني جلدته وأبناء قومه ، وهي التي تتولى ترسيخ جذور الإيمان بالآخرة في أعماق القلوب ، وتمكنه من التواضع في الله والاستماتة في سبيل إعلاء كلمة الله ، والنهوض لتحقيق السعادة في معنى الكلمة في الدين والدنيا .

ولو لا العقيدة الصافية الخالصة لما نالت البشرية بغيتها من الهداية والهدوء والالتجاء إلى ظل الأمن والسلام ، ولما كان في الدنيا عدل ولا رحمة ولا حب ولا إيثار، وإن هذه المعاني العالية إنما عرفها البشر عن طريق العقيدة ، وتعارف عليها العالم بواسطة رجال العقيدة والدين ، واستفادتها المجتمعات البشرية من تعاليم الإسلام الاجتماعية وتوجيهاته السماوية ، وهي مادامت تستنير من نورها وبهائها ، وما

كانت تعيش في ظلالها وتحت تأثيرها، رافقها النصر وساعدتها القوى الغيبية، وأتيحت لها الفرص للامتداد والاتساع، وتوجيه الحياة والإنسان إلى الاتصال بمنبع القوة والنور، ومصدر العز والعلو والسعادة.

ولما انحلت عرى العقيدة في النفوس وضعفت صلتها بالحياة تعرض الناس لأصناف من الويل والشقاء ووقعوا في ألوان من العوامل والظروف الصعبة، وواجهوا كثيراً من المشكلات المستعصية على مستويات شتى، ووصل العالم البشري على شفا حفرة من الدمار الخلقي والانهيار العصبي، وبلغت العداوات والخلافات من كل نوع إلى أقصى ما يمكن أن يتصوره أحد في كل طبقة من الناس، وقد تفاقدوا عنصر الألفة والأنس بوجه عام، وغابت الثقة والمؤاخاة فيما بين القلوب، وأصبحت الحياة الإنسانية سلعة تجارية يمارسها في سوق المناداة كل من خان وهان، وكل من قام بالغش والتزوير.

إن العالم البشري بجميع ما فيه من حضارات وعلوم ورقي وتقدم واتساع وتفنن، وبكل ما فيه من مظاهر وآثار ذات أهمية قصوى، لفي أشد حاجة إلى عقيدة جامعة تجمع شمل الحياة وتلم شعث المجتمعات، وترتق فتق الحضارات والنظرات، وتربط الإنسان بمصير الإيمان واليقين، ثم تتكفل له بالسعادة الدائمة الخالدة وحسنتي الدين والدنيا، إنها عقيدة الإيمان بالله وتوحيده، إذ أن الحياة إذا ارتبطت

بوحدة العقيدة واتصلت بالله الواحد القهار فلا شك أنها أدركت سر السعادة والعز، واهتدت إلى غاية الأمن والهدوء، وخرجت من حدود الحزن والخوف والمصائب والنكبات، والتجأت إلى ساحة الفرح والسرور وملجأ النعيم والحبور، والطمأنينة.

وذلك ما عبر عنه كتاب الله بالإيمان والاستقامة عليه، وبشر أصحابها بالأمن والسرور والجنة فقال: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾[1]

بهذه العقيدة والاستقامة عليها، يتمتع الإنسان بالسعادة الحقيقية، في كل مكان، ولذلك قال رسول الإسلام العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ردا على من سأله عن طريقة جامعة للحياة الإسلامية المطمئنة: "قل آمنت بالله ثم استقم".

---

[1] حم السجدة الآية: ٣٠

بالتوفيق والهمة لا بالأحلام والتمني

الطريق الذي يختاره الإنسان في حياته لقضاء مآربه وأهدافه لا يكون مفروشاً بالأوراد والرياحين حتى تستقبله بروائحها الزكية العطرة حيثما يمر عليه، بل إن هذا الطريق - مهما كان نوعه - محاط من كل جهة بالأشواك والقتاد، وبألوان من التكاليف والمسئوليات التي ترزأ المرء في كثير من صحته وماله، وراحته وسلامته، فلا يجد نفسه بمعزل عن المخاوف والأخطار وإنما يتعرض لها بوجه دائم وفي كل حال، و هذه هي حال الإنسان العام سواء كان مؤمناً أو غيره، وقد يكون المؤمن أشد تعرضاً للبلايا والمحن من غيره لأن مجرد قول الإيمان لا ينفعه في هذا المجال، ولا يحيد به عن الوقوع في الفتن ومواجهة الحالات الشاذة مما لا يحبه الناس في أي حال، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بشيء كثير من الجدية والصراحة فقال: ﴿ألم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1].

لذلك فإن الإنسان المؤمن لا يعفى عن الفتنة

---

[1] العنكوت الآية: ١-٣

ومواجهة الشدائد بل يختبره الله تعالى بأصناف من البلايا والاختبارات التي تؤكد صدقه وإيمانه ، وتحلي حياته بالزكاة والنزاهة وحسن الثبات والاستقامة ، ذاك أن الإيمان من غير استقامة لا قرار له ولا عبرة به ، وأن المؤمن من غير اختبار لا تتجلى جوهرته ولا تتبدى مواهبه في معترك الحياة ، فلما اقترن الإيمان بالطاعة والاستقامة ، انكشف كل غبار، وتجلى كل قلق، وذهب كل اضطراب ، وانتهى كل حزن ، وتمهد له الطريق نحو السلام والسعادة في الدنيا ، وتكفل الله سبحانه له بالجنة التي وعدها لعباده المؤمنين وكان له وليا في الحياة الدنيا والآخرة ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [١]

فالمشي على الطريق المحفوف بالمكاره والأخطار في ثقة وإيمان وفي صدق ويقين وباستحضار النصر المؤزر من الله العزيز ، يضمن كل نجاح وتوصل إلى الغاية المطلوبة في كل حال ، ومن هنا نستطيع أن نستبين أن الجزاء من غير عمل لا يتصور في أي دين ولا فلسفة ولا نظام ، وأن الإنسان مكلف في كل حال مهما كان مكانه في الحياة والمجتمع بالجهد والاهتمام بأداء المسئولية ، والإخلاص لها .

وذلك هو السر في الواقع في بقاء المجتمع وتقدم الحياة ، واتساع العمران ، وازدهار الحضارة والعلم والتجارة ، وتبادل

---

[١] فصلت الآية : ٣٠-٣١

المنافع والخبرات والتجارب ، وبذلك يبلغ الإنسان إلى درجة العبقرية في العلم والأخلاق والصناعات والفن وأنواع من الصفات الإنسانية العالية ، ويتمكن من تمثيل النموذج العملي المثالي للمفاهيم الإنسانية العالمية ، ومن تحقيق الأهداف السامية التي خلق من أجلها وبعث لها إلى هذه الدنيا ، وذلك ما يتكفل بنشر الأمن والهدوء والطمأنينة والسلام ، والعودة بالإنسان التائه الضائع إلى منصبه الأصيل ووظيفته الموقرة .

ومن هنا يتمهد الطريق نحو السعادة بمعناها الصحيح ، ويستعد كل إنسان للزيادة في رصيد العمل والعطاء والنصح والخدمة ، ويكتب له التوفيق إلى أداء الواجب والشعور المرهف بالمسئولية والبحث عن مواضع العمل ومواجهة المشاق من كل نوع في سبيل الهدف الذي يتبناه ، ولا يشعر بالتعب إذا تعب ، ولا بالسآمة إذا ما واتته الظروف ، ولا يحس بالعجز إذا صادفته قواصم الظهور ، ولا يخسر همته إذا ضربته الحوادث ووقفت في طريقه العراقيل ، فسدت عليه كل طريق وأغلقت عليه كل باب ، ولكنه يتغلب على الأوضاع كلها ، ويشق طريقه من وسط الخيبات والمشكلات ، ويعرف وجهته من خلال الظلمات والسحب المتراكمة ، وينهض بقوة جديدة وروح فتية ، وينجز من جلائل الأعمال ما يحير العقول ويدهش الألباب ، وهنالك يجد تصديق قوله تعالى في حياته وأعماله ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[1] .

---

[1] فصلت الآية : ٣١

لا سلاح فوق سلاح الإيمان !

خلال الرحلة التي نتابعها في أداء الأعمال والمسئوليات ، تستلفت أنظارنا تصريحات ، بل تشدقات عجيبة من بعض الزعماء السياسيين ، ورؤساء المعسكرات العالمية الكبيرة ، وهي لا تخلو في معظم الأحوال من تهديدات وتحديات ضد الإسلام والمسلمين ، وأحيانا تثير الحفائظ ، حينما تتناول القيم الخلقية ، والمثل الإيمانية بكلمات نابية قريبة من الشتائم ، إنها تكون توطئة لفرض عقوبات أو تعليمات شاذة على من يقوم بالعمل الإسلامي ، ويؤدي واجب الدعوة إلى الله ، بوسائل بريئة ، وفي غاية من واقع النصح والخير.

ينظرون إلى الجماعات التي تمثل الإسلام بالعبادات والمعاملات والأخلاق والعقائد ، وتحاول إقامة مجتمع إنساني نزيه ، بنظرة ملؤها الشك والريبة ، ويتهمونها بتهم هي منها بريئة ، ولا يكون الغرض من ذلك إلا توقيف النشاط الديني ، أو حسر مده في المناسبات والأعياد فقط دون أن يمتد إلى جو واسع ، أو يصل إلى مجتمع إنساني ، وذلك ظنا منهم بأن الدين عائق كبير في سبيل الحضارة ، والتقدم العلمي والثقافي ، وهو يسد جميع منافذ الرقي والتطور في عالم البشر.

وليس الدين وحده هدفاً لهذه التهم والأباطيل ـ بل الوسائل التي تساعد في التربية والتهذيب ـ وإصلاح الفساد ، وتزكية المجتمعات الإنسانية بواسطة التعليم ، ونشر الفضائل ، هي أكبر هدف لهؤلاء المناوئين الذين يسعون بخطى حثيثة لنشر الرذائل من كل نوع في جميع المجتمعات الإنسانية باسم الحضارة والعلم والفن حيناً ، وتنوير العقول ، وتشحيذ الأذهان حيناً آخر.

وما نراه الآن من الجرائم الخلقية والسياسية التي أبيحت على أوسع نطاق في بلدان المسلمين ، ليس إلا دليلاً على ذلك البغض والحقد العميق الذي تعيشه الشرذمة اليهودية في مختلف أنحاء العالم ، التي تملي إرادتها اليوم على جميع القدرات البشرية ، والشرائح السياسية ، والدول العالمية ، فخضعت الألسنة والقلوب كلها لهذه الإرادة ، وبدأت تعمل ما يرضيها ، ولو كانت تكرهها من أعماق القلب ، وما يجري في فلسطين على أيدي العدو الصهيوني ، ليس خافياً على العالم شرقاً وغرباً ، وبذلك نستطيع أن نقدر مدى تلك العداوة الشديدة التي تمتزج بلحمه ودمه ضد الإسلام والمسلمين ، إنه يرى هؤلاء المسلمين المؤمنين الذين يقاومون العدو بروح استشهادية خالصة يراهم أكبر خطر وأعظم خوف يستولي عليهم ، إنه قوة الإيمان ودافع الشهادة في سبيل الله التي لا تساويها الدنيا وما فيها ، ولا تعادلها حكومات واسعة ، ومعسكرات قوية .

هذه الـروح الإيمانيـة هـي الـتي يريـدون أن يقتلوهـا بدباباتهم وصواريخهم وقنابلهم ، وبجنودهـم المجنـدة ، ولكـن هيهات أن ينجحوا اليـوم أو غـدا ، وسـوف لا تغـني عنـهم القناطير المقنطرة من الأموال والخزائن ، والقـوى الإنسـانية المادية التي يتبجحون بها ، ويتحدون الإسـلام ، ويتمنـون أن يقضوا عليه نهائيا .

يخافون من قدوم الإسـلام ، وانتشـاره في العـالم كلـه بسرعة ، يخافون من بشائر الصحوة الإسـلامية المباركـة الـتي دخلت في مخادع الحضارات المادية ومخابئها ، وكسـبت قلـوب أبنائها وزعمائها وقادتـها ، فكـم مـن شـخصيات لامعـة في تاريخ هذه الأقوام المادية اعتنقت الإسلام بدارسـة واقتنـاع ، وكـم منـها مـن جربـت الديانـات والفلسـفات ، ثـم وقـع اختيارها على الدين الإسلامي .

شـعورا بـهذا الواقـع يندفعـون إلى مقاومـة الـروح الإيمانية التي تتمثل من جديد في العالم الإسلامي ، فيوجـهون تهديدات إلى مراكـز الدعـوة والتعليـم ، والتربيـة الدينيـة ، ويصرحون بأن مـن واجبـهم أن يدمروهـا ويقتلعـوا جـذور الدين الذي يدرب على "الإرهاب" المزعوم ، ويشكل خطرا على الجنس البشـري بأكملـه ، ومـن ثـم صحـت عزيمتـهم وصمموا على تجريد المسلمين من سـلاح الإيمـان أولا ومـن صلاح القوة ثانيا ، وسوف لا يستطيعون ذلـك مـهما جمعـوا القوة والأسلحة ، بمشيئة الله تعالى .

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾.[١]

[١] الصف: ٨-٩

فهرس الكتاب

المحتويات	الصفحة
المقدمة/ سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي	٣
كلمة بين يدي الكتاب	٧
المسلمون أمة الدعوة والقيادة	
الإسلام دين خالد كامل	١٣
الدين الذي يغير ولا يتغير	١٧
المسلمون أمة وليسوا كتلة	٢١
أمة العطاء والسعادة	٢٥
المسلمون أمة فذة وخالدة	٢٨
المسلمون هم أمة الخير والقيادة	٣١
أمة الدعوة في مجال الدعوة	٣٥
الإسلامية والانطلاق	٤١
ثلاث طبقات في أمة الوحدة والتضامن	٤٥
أمة العطاء تتحول إلى أمة الأخذ	٥٠
الأمة القائدة تواجه التبعية	٥٤
دور القدوة في مسيرة الدعوة	٥٨
لا تثمر الدعوة إلا بتمثيل السيرة	
الإسلامية في الحياة	٦١
وجادلهم في بالتي هي أحسن	٦٤
الدعوة حكمة وقدوة	٦٧

بالعمل والسلوك نغلب لا بالتسرع والهجوم ٧٠
أول لبنة في بناء الحياة الإسلامية ٧٣
بناء الإنسان المسلم ٧٧
المسلم في علاقته بالله ٨٠
متى سنعود أمة وسطاً ٨٤
الدعوة والتضحية معاً ٨٧
مواضع الضعف في المسلمين
نبوة صادقة تتحقق اليوم ٩٣
قبل أن تفاجئنا الفتن والمحن ٩٩
نحن والإسلام ١٠٣
أين القدوة للجماهير المسلمة ١٠٧
أين النموذج الإسلامي ؟ ١١١
هل نحن مخلصون ؟ ١١٤
أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ؟ ١١٦
السلوك قضية حاسمة لها
مساس بجميع القضايا الحيوية ١٢٠
نحن أقرب إلى الوهن منا إلى القوة ١٢٤
عدونا في داخل نفوسنا ١٢٧
ماذا ينقصنا في مسيرة الإسلام ؟ ١٣٠
هنا موضع الاختبار ١٣٤
هل هناك أمة أعجز منا ؟ ١٣٧
لماذا تناسينا هذا المقياس ؟ ١٤١

ماذا ينقصنا اليوم ؟ ١٤٤
الهدامون يستغلون ضعفنا
في الإيمان والعمل به ١٤٧
لا ! للمنظور الفردي ١٥٢
كيف نمثل الحياة الإسلامية ؟ ١٥٥

حاجات المسلمين

حاجتنا إلى مراجعة التاريخ ١٦١
أمة العطاء في حاجة إلى العطاء ١٦٩
ضرورة الاكتفاء الذاتي ١٧٤
ما أحوجنا إلى الصبر ١٧٧
حاجتنا إلى عنصر الإخلاص لا إلى وسائل الدعاية ١٨٠
علاجنا في العودة إلى الدين ١٨٣
لابد من العودة إلى شريعة الله ١٨٦
أول هدف في الإصلاح ١٩٠
عودي إلى القيادة ١٩٣
هنا الطريق ١٩٦

ترشيد الشباب المسلم

دونكم شبابكم وأبناؤكم أيها المسلمون ٢٠١
لماذا ينحرف الشباب وكيف نوجههم ؟ ٢٠٨
الشباب والعمل الإسلامي ٢١٢
يا رجال التوجيه ٢١٨
حجر الزاوية في سلوك المسلم ٢٢٠
من للشباب الضائع ؟ ٢٢٦

ترشيد الشباب المسلم ٢٢٩
بناء الإنسان المسلم ٢٣٣

مسئولية المسلمين نحو

تعريف الإسلام والبعث الإسلامي

مسئوليتنا نحو تعريف الإسلام ٢٣٩
الشعور بالمسئولية ميزة الحياة الإسلامية ٢٤٦
معارضة الإسلام ومسئولية الدعاة ٢٥٤
بناء الشخصية الإسلامية واجب أساسي
وسياسي لكل بلد إسلامي ٢٥٨
مهمة البعث والتطهير ٢٦٣
مسئوليتنا نحو بعث إسلامي ٢٦٦
ألسنا مسئولين ؟ ٢٦٩

كيف يتحقق نصر الله؟

كيف يتحقق فينا وعد الله ؟ ٢٧٧
وما النصر إلا من عند الله ! ٢٧٩
التضحية والإنفاق والإخلاص ٢٨٣
الصبر ودوره في حياة المسلم ٢٨٧
الحكمة ضالة المؤمن ٢٩١
العقيدة والاستقامة ٢٩٤
بالتوفيق والهمة لا بالأحلام والتمني ٢٩٨
لا سلاح فوق سلاح الإيمان ٣٠١
فهرس الكتاب ٣٠٥